الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيـــل: D.GL/3C /01/22

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

ميدان: اللغة والأدب العربي

شعبة: الدّراسات اللّغويّة **تخصص:** لسانيّات عامّة

المقتضيات التّداوليّة في خُطب محمّد البشير الإبراهيمي

إعداد: زهـرة كلاّل

تاريخ المناقشة: ...../...../2024

أمام لجنة المناقشة المكوّنة من السادة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة	الصفة
1				رئيسا
2	عز الدّين عمّاري	أستـــاذ	جامعة المسيلة	مشرفا و مقرّرا
3	صالح غيلوس	أستـــاذ	جامعة المسيلة	مشرفا مساعدا
4				ممتحنا
5				ممتحنا
6				ممتحنا

السنة الجامعية: 2024 /2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(المجادلة/11)

إهداء

إهداء

إلى روح والدي

إلى روح والدتي

إلى من هم في قلبي

شكر وعرفان

أحمد الله حمدا كثيرا وأشكره على نعمة إتمام الأطروحة، كما يسعدني أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى أسرة جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، أساتذة وإدارة وأقدم جزيل الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة، دون أن أنسى زملائي وعائلتي التي ساندتني في رحلتي البحثية.

زهرة كلال.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وصفوته من خلقه نبينا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، أما بعد:

عرفت الدراسات اللغوية اهتماما بالغا أبانت عنه أبحاث مختلف الحضارات، التي سعت لسبر أغوار ظاهرة اللغة الحامل المادي لها، وقد حظيت الحضارة الهندية بشرف افتتاحها هذه الأخيرة هدفت من خلال دراساتها اللغوية إلى الحفاظ على كتابها المقدس " البيدا" تلتها الحضارة اليونانية ولغة الفلسفة، فاسحة المجال لوريثتها الشرعية روما.

هذا، وإن تتبع كونولوجية المشهد اللغوي عبر التاريخ، يهدي إلى أن الحضارة الإسلامية هي الأخرى قد انفتحت الآفاق أمامها في رعاية الدرس اللغوي العربي للبحث في لغة القرآن خاصة في الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والرابع الهجري، والتي شكلت فيضا مدرارا.

وبعد مرحلة سكونية سادت طويلا، وفي قلب أوروبا فجر **دي سوسير** من جديد فتيل الدراسات اللغوية؛ ليشكل كتابه "محاضرات في علم اللغة العام" منعطفا بارزا لنيف من العلماء بمختلف أطيافهم، للبحث والتنقيب عن حقيقة الظاهرة اللغوية، وبعد تشعب الدراسات اللغوية والكل يدلي فيها بدلوه، وبعد بروز المدارس اللسانية بمختلف توجهاتها تباعا، جاءت التداولية هي الأخرى لتنعش البحث اللساني؛ ولتحظى بدراسة اللغة قيد الاستعمال، وتفرض نفسها من خلال دراسة الظاهرة في زمان ما، ومكان ما، وعند فئة ما، وإمعان النظر في السياق الذي يفرض سلطته على المخاطب.

وإذ أخذت التداولية نصيبها من البحث انطلاقا من جهود الفلاسفة الذين أسهبوا في دراستها، وأمعنوا في تحليل اللغة العادية والوقوف على تشخيص جميع أبعادها؛ ما أثمر عن ميلاد نظريات مختلفة كل نظرية تهتم بدراسة جانب خاص من تركيبة الظاهرة اللغوية واستعمالها ضمن سياقات مختلفة، وكان من نتائج هذا البحث العميق انبثاق نظرية أفعال الكلام والافتراض المسبق، والحجاج، والمواءمة، والاستلزام الحواري...

وبما أن التداولية أخذت على عاتقها البحث في استعمال اللغة عامة، فإن الأمر لا يسلم حين سوق المنجز الخطبي ميدانا للتحليل التداولي، إذ تشكل الخطب ساحة مثلى لمختلف الأبعاد التداولية، هذا ما جسد أهمية الموضوع سواء ما تعلق بالبحث في بواكير التداولية كدرس معاصر، أو من جهة الاغتراف من مدونة خطب الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** المائزة، فكان هذا مدعاة لوجود موضوع البحث من خلال العنوان:

المقتضيات التداولية في خطب محمد البشير الإبراهيمي

وباعتبار الموضوع يندرج ضمن بحث أكاديمي جامعي بعنوان:" تلقي الطالب الجامعي للمعرفة اللسانية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، أقسام اللغة والأدب العربي، اللغة والأدب الإنكليزي، الإعلام والاتصال أنموذجا"، والذي بدوره ضمن مشروع الدكتوراة دراسات لغوية تخصص لسانيات عامة 2020-2021، فقد كان هذا سببا موضوعيا للبحث والتقصي فيه ثم إن علما من أعلام الجزائر كالبشير الإبراهيمي يسترعي الاهتمام للخوض في معترك لغته، وهو الرحالة من مصر إلى ليبيا إلى باكستان إلى فرنسا...، حاملا معه فصاحته ليصدح في المنابر العربية والأعجمية، وتاريخه يشهد على ذلك، هذا خلق رغبة في نفسي لمعرفة فكره، وهذا التطلع وبعد قراءة خطب الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** زاد الشوق أضعافا لدراستها والتعمق أكثر فيها، ولا يستتب ويستقيم الأمر إلا بإخضاعها للدراسة التداولية مصداقا للقول:" قل لي كيف هي لغتك أقل لك كيف هو تفكيرك"، فكان للعنوان وقع في النفس وكان إذ ذاك الدافع الذاتي.

وتسعى هذه الدراسة لتحقيق هدف أساس وهو التعرف على المقتضيات التداولية التي ضمتها خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، يتبع بأهداف أخرى وهي بيان الأفعال الكلامية التي تشكلت منها خطبه، ومحاولة الإحاطة بكل أنواعها، كما ويهدف إلى الكشف عن كيفية بناء مقولات الشيخ على وفق ما هو مشترك بينه وبين المتلقي؛ ليسمح بالتدفق

الكلامـي اعتمـادا علـى تلـك الخلفيـة التـي تجمعهمـا، والوقـوف علـى محاججتـه الرشـيدة التـي طبعت هذه الخطب.

من هذا المنطلق، أخذ البحث على عاتقه محاولة الإجابة على الإشكالية التالية:

ما المقتضيات التداولية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؟

ولتوضيح أبعاد هذه الإشكالية رأينا أنه من المناسب الإجابة على جملة من التساؤلات:

1. مـا الأفعـال الكلاميـة التـي تعاضـدت بأنواعهـا تـأثيرا فـي المخاطـب إن علـى وجـه المباشرة أو على وجه الاستلزام؟
2. أين تتمظهر الافتراضات التي كانت معطيات مسبقة رسمت الشراكة بين الخطيب والمتلقي؟
3. بمـا أن الفعـل الحجـاجي مـن أبجـديات الخطبـة، وبمـا أن التـأثير ديـدن الشـيخ محمـد البشير الإبراهيمي، فكيف اشتغل بتقنياته طلبا لإذعان المتلقي؟

ومعلوم أن البحث لا ينطلق من فراغ، وإنما هو حلقة ترتبط بحلقة أخرى، فقد كانت لـه وقفات مع دراسات متقدمة سبقته في تناول أدبيات المقتضيات التداولية التي تم التطرق لها في هذا البحث من بينها:

1. دراسـة (عـز الـدين النـاجح،2011)، وعنوانهـا: "العوامـل الحجاجيـة فـي اللغـة العربيـة" ركـزت اهتمامهـا علـى بعـض الـروابط ودرسـت العوامـل الحجاجيـة مـن خـلال النفـي والقصـر والاستثناء، مـا أعطـى دراستنا فرصـة التطبيق من خـلال العوامـل الحجاجيـة المعجمية توسعا في البحث أكثر.
2. دراسـة (بـاديس لهويمـل، 2014)، وعنوانهـا: "مظـاهر التداوليـة فـي مفتـاح العلـوم للسكاكي" استدعت على وفق العنوان أن تنحصر في تداولية السكاكي، فكانت تقوم على محاولة تأصيل المعرفة اللغوية التراثية من خلال تتبع نظرية أفعال الكلام من

جانب النظرة الغربية وما يقابلها ممّا هو موجود في كتاب "مفتاح العلوم"، هذا فتح لدراستنا بابا آخر للتطبيق، فكان الجانب النظري محل اهتمام باديس لهويمل، وكان الجانب التطبيقي الإسقاطي في مدونتنا.

3. دراسة (مثنى كاظم صادق، 2015)، وعنوانها: "أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي- تنظير وتطبيق على السور المكية – " أين تطرق للحجاج بعرضه للعوامل الحجاجية ولبعض الروابط التساوقية والتعارضية، وفيما يخص السلالم الحجاجية فقد اقتصر على السلالم التصاعدية مجانبا في ذلك السلالم التنازلية والسلالم التراكمية، أما دراستنا فقد عمدت على تطعيم الأطروحة بالروابط المدرجة للنتائج والسلالم على كافة أنواعها.
4. دراسة (منى إبراهيم إبراهيم عزام، 2021)، وعنوانها: الافتراض المسبق في مسرح شوقي – دراسة لسانية تداولية – "وهي دراسة تطبيقية في مقال، تطرقت فيه للافتراض المسبق مصطلحيا وتراثيا ومن حيث الأنواع، بينما قامت دراستنا على إضافة جانب الافتراض المتعلق بأسماء العلم، وتضمنت اختبار النفي في الجانب التطبيقي للتأكيد على وجود الافتراض المسبق.

وقد اقتضت الإشكالية المطروحة أن تنهض خطة البحث على ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة.

ففي الفصل الأول، والمعنون: "الأفعال الكلامية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" تطرقت إلى جانب نظري تم من خلاله طرح مفهوم الفعل الكلامي ثم الأفعال الكلامية عند كل من **أوستين وسيرل** وفي الدرس العربي التراثي، وضم الفصل أيضا مبحثين لتطبيق مختلف أنواع الأفعال الكلامية على خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

أمـا الفصـل الثـاني، والموسـوم:" الافتـراض المسـبق فـي خطـب الشـيخ محمـد البشـير الإبراهيمـي" كـان الحديث فيه بداية عن مفهوم الافتراض المسبق، وخصائصه، ثم تم طرح أنواع الافتراض المسبق مزاوجة بين النظري والتطبيقي.

ويتضمن الفصل الثالث المندرج تحت عنوان:"الحجاج في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمـي"، والـذي سـار علـى خطـى الفصـلين السـابقين بمعطـى نظـري يتمثـل فـي تقـديم الحجاج "نظرياته ومفهومه وتقنياته"، وحاله حال الفصلين الأول والثاني؛ إذ تطرقت بعد ذلك للسلالم الحجاجية، ثم العوامل والروابط الحجاجية تنظيرا وتطبيقا على الخطب.

وفي الأخير ذيل البحث بخاتمة حاضنة لحصيلة نتائج البحث كله.

ولمعالجة هذا الموضوع اتبعت المنهج الوصفي، مزودا بإجراء التحليل بالإضافة إلى الإحصاء؛ وذلك وصفا لنظريات التداولية من أفعال كلامية وافتراض مسبق وحجاج، أما التحليل فكان الإجراء الأكثر حضورا في الدراسة من خلال بسط نماذج من الخطب والإحصاء في آخر كل فصل لمعرفة نسبة حضور كل من أنواع أفعال الكلام والافتراض المسبق والتقنيات الحجاجية في ثلاثة خطب مختارة.

وكأي بحث كان لزاما أن تنهض الدراسة على روافد تأخذ بها وتبنى عليها، فبالإضافة إلـى المدونـة مجـال التطبيـق:" آثـار الإمـام محمـد البشـير الإبراهيمـي"، قامـت الدراسـة علـى مراجـع أسـهمت فـي أن تكـون ركـائز لهـا، مـن بينهـا كتـاب **عبـد الهـادي بـن ظـافر الشـهري** "استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية –" وكتاب **أبـي بكـر العزاوي**"اللغة والحجاج"، واعتمدت أيضا على مرجع **هشام عبد الله خليفة** " الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية فـي التراث العربـي والإسـلامي"، كمـا وكـان لمؤلـف **علـي محمـود حجـي الصـراف**" فـي البراغماتيـة – الأفعـال الإنجازيـة فـي العربيـة المعاصـرة دراسـة دلاليـة ومعجـم سياقي" موقع حسن في الأخذ منه، ومثله كتاب "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" **لأحمد نحلة** الذي شكل منهلا هاما للأطروحة.

ومع توافر هذه المادة المعرفية على مستوى الشابكة، ومع طرح مقولة بعد المسافة جانبا حتى لا تكون شماعة لتأخير الدراسة؛ فإن البحث لم يسلم من وجود صعوبات أخرى اعترضت سبيله كونها من طبيعته الراسخة، تجلت في التلقي العربي للتداولية، والذي أبان عن اضطراب مصطلحي وتشابك مفاهيمي أحدثته الترجمة.

وختاما، وإذ تتلاشى الكلمات وتستحي التراكيب وتتوارى المعاني وينعقد اللسان أمام ما يمكن أن يكون أهلا لشكر المشرف الأستاذ الدكتور"**عزالدين عماري**"، فأفانين القول كلها خذلت هذا القلم الذي يصبو إلى كتابة ما يليق بثقته التي أولانيها، ومساعدته متى طلبت خدمته، كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة على قراءة الأطروحة، وفي المقابل سيكون تقييمهم لها قيمة إضافية يعتد بها في تقويمها.

الفصلُ الأوّل:

أفعال الكلام في خطب

الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي

توطئة:

منذ القديم كانت اللغة محل اهتمام العلماء، سواء ما تعلق بجهود البلاغيين أو النحاة أو حتى الفلاسفة الذين أولوا اهتماما خاصا بها؛ حيث شكلت عندهم بابا مفتوحا لبدء الجدل، وعرض الآراء ما كان متوافقا أو متعارضا، بكثير من التفحيص والتمحيص، إذ تفطن الفلاسفة إلى أن دراسة اللغة ينبغي أن تتجرد من القيود المختزلة في شكلها الكلاسيكي المعهود، وأن تنفتح نحو أجرأتها، وفاعليتها وتركيز الاهتمام حول اللغة من حيث هي صنيع المتكلم، ومن حيث مؤدى المتكلم ومن حيث الأثر الجاري على متلقي الكلام.

ولعل فلاسفة مدرسة إكسفورد، ومن قبلهم فلاسفة كمبردج، قد تطبعوا بهذا الطابع وخرجوا عن نمطية الدرس الفلسفي التقليدي، القائم على أن اللغة مجرد وصف أو جمل تحتمل الصدق أو الكذب، وإنما أداة تمكن من تغيير الوضع الخارجي، ويستشف منها فعلا كلاميا يقصده المتكلم، ويرعاه السياق، ولقد أضفى هذا الانفتاح إلى ميلاد نظرية الأفعال الكلامية، التي أسسها **أوستين Austin Langshaw Joh** تبعا لتوجهاته الفلسفية التحليلية، التي عنيت بالبحث في أفق اللغة العادية، إلى أن استلم مشعل الدراسة التداولية **Pragmatique**، تلميذه **سيرلJohn.Seale**، مطورا في نظرية أفعال الكلام؛ حيث إنه عمد إلى إعادة تقسيم الأغراض الكلامية، التي سبقها إليه أستاذه أوستين والتوغل أكثر في الأفعال المباشرة وغير المباشرة؛ والتأكيد على دور السياق والأعراف اللغوية في صناعة الفعل اللغوي، كل هذا جعل البحث ينساق لإسقاط نظرية أفعال الكلام وفق رؤية سيرل على خطب الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي**، من خلال دراسة أفعاله الكلامية الواردة في خطبه، واستجلاء قدرة الخطيب على تضمين كلامه قوى إنجازية متمايزة، خاضعة لمقصد الإمام وتابعة لتوجيه السياق، ومستوفية التأثير في ذهن المتلقي مع توصيف التحليل في معادلات رياضية مشاكلة لما أورده الباحث **سعيد محمد علي آل سرور** في مقاله "الأفعال الكلامية اللغوية المباشرة وغير المباشرة في كتاب ذكريات للطنطاوي".

المبحث الأول: أفعال الكلام

أولا – مفهوم الفعل الكلامي Speech act:

تشكل اللغة وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع، فهي أداة طيعة لتحقيق ذلك الغرض لكن أكثر ما يثير فيها هو تحقيق أفعال من خلالها، إذ لا تتوقف اللغة عن كونها أصواتا مقننة بقواعد نحوية صارمة؛ لتأخذ وجهة دلالية معينة، وإنما البحث الفلسفي التداولي كسر هذه النمطية للتحقق من مدى قدرة اللغة على إنجاز أفعال كلامية أثناء استعمالها فقد« أصبح مفهوم الفعل الكلامي (Speech act) نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية. وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية (Actes locutoires)؛ لتحقيق أغراض إنجازية(Actes illocutoires)، (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ)، وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا؛ أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما »[1]؛ مما يعني أن الدرس التداولي أخذ بزمام دراسة استعمال اللغة في بعدها الداخلي والخارجي« فهي ابتداء تتآلف في العادة: أي تنتج أصواتا عدة، تنتظم في مجموعات صوتية على أساس قواعد عرفية(نحوية) للصيغ وتكوينات الأصوات والمجموعات الصوتية، وفي الوقت نفسه على مستويات مختلفة فمن خلال إنتاج الأصوات نقوم في الوقت ذاته بأحداث فونولوجية ومورفولوجية ونحوية مركبة(...)؛ ولأن الأمر يتعلق هنا بأحداث مركبة، فإننا لذلك نقف أيضا على خطة غير واعية على نحو ما لإنجاز هذا الحدث الذي يطلق عليه فعل الكلام(locutionary act)»[2]؛ حيث تجاوزت هذه

[1] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص40.

[2] – تون فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة مصر، ط1 ، 2001، ص 130.

النظرة المنحى البنيوي الذي اهتم بدراسة اللغة، دراسة شكلية، قائمة على الفكر السوسيري وجعل اللغة بنية مغلقة، وذلك انعكاسا للتصور الحديث الحامل لشعار **دي سوسير Ferdinand de Saussure** (1857- 1913) "دراسة اللغة من ذاتها ولذاتها" بصرف النظر عن كل ما هو خارج عن بوتقة اللغة، وإذن« فلم يعد يهتم باللغة بوصفها نظام علامات، بل الاستعمال الذي نشكله من العلامات اللغوية، ولم يعد يسأل عن أبنية نحوية مستقلة، عن موقف استعمالها، بل يتعلق الأمر بمنطوقات لا ويمكن أن تحدد أساسا إلا بالنظر إلى مواقف استعمالها» [1]، فاللغة صانعة للحدث ولها دور مغير للفكر والواقع[2].

« ولا يتضح مفهوم الفعل الكلامي، إلا بالرجوع إلى الإطار المفاهيمي لنظرية الأفعال الكلامية التي جاء بها أوستن، وطورها تلميذه سيرل»[3]. فهذا المفهوم خرج عن الدراسات التقليدية التي تقوم على دراسة التراكيب النحوية والدلالية، وتضمن البحث في فاعلية الكلام كفعل يحقق إنجازا وتأثيرا.

ثانيا – أفعال الكلام عند ج.ل. أوستين:

1. أسس تحليل أفعال الكلام عند أوستين:

إن اللغة حسب أوستين ليست وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه؛ فموضوع البحث يتمحور حول ما يمكن فعله بالتعابير التي ينطق بها؛ وبذلك يكون أوستين قد تقدم بنظرية بسط القول فيها عبر كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات"[4].

---

[1] – زيبيليه كريمر، اللغة والفعل الكلامي والاتصال، مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1 ، 2011، ص82.

[2] – ينظر: سمية منصوري، مراد قفي، تلقي اللسانيات التداولية عند طه عبد الرحمان، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد 8، عدد1، 2024، ص261.

[3] – بن شريط نصيرة، التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي ناصر الفارابي، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف مسيلة، 2017/2016، ص121.

[4] – ينظر: العياشي أدواري، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب الجزائر،ط 1 ، 2011، ص 77.

ومن نافلة القول أن أوستين أقدم على تحليل الفعل الكلامي باعتماده على أسس لغوية، أبانت عن الهندسة الأولية التي يتم بها تحليل الفعل الكلامي من وجهة نظر أوستين وقد تمثلت في ما يلي[1]:

أ. **مفهوم الفعل:** بالمعنى الذي صار معروفا في تداولية أيامنا، وهو أن كثيرا من "جمل اللغة" هي "إنجاز"لأفعال وليست مجرد وصف أو تمثيل للواقع.

ب. **مفهوم القصدية:** وقد استعار مبدأ القصدية من الفلسفة الظاهراتية، وأدرجه كمبدأ تحليلي ضمن دراسة العبارات اللغوية، وتتجلى في الربط بين التراكيب، ومراعاة غرض المتكلم والمقصد من الخطاب، في شبكة مفاهيمية مستوفية للبعد التداولي للغة.

ج. **مفهوم القوة:** الذي ردده، واستبدله بمفهوم "الدلالة" دون أن يصرح، ويريد به معنى"القيمة"، ولعل أوستين استعمله في البداية من أجل التمييز بين الأفعال الكلامية المترشحة عن الجمل المتشابهة في الصيغة.

د. **مفهوم المواضعة:** وهو مفهوم يتبناه المجتمع وتمليه المؤسسات الثقافية الاجتماعية و يتمثل في بعض العادات والطقوس كالانحناء لآداء فعل التحية في مجتمع ما.

هـ. **مفهوم السياق بأنواعه:** وأهمها النوعان الأبرزان: السياق الحالي والسياق الثقافي إذ قرر أوستين أن الجمل تنطق في سياقات معينة، وأن جزءا هاما من الدلالات اللغوية يستمد من السياق الذي ينتج فيه، وقد كان يلح على القيمتين الدلالية والتداولية لعبارات كثيرة تستعمل في سياقات مختلفة في اللغة الإنجليزية.

[1]– ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، دار التنوير للنشر والتوزيع، دار أزمنة، الجزائر، الأردن ، ط1 2023، ص 131، 132 ،133.

2. تصنيف أفعال الكلام عند أوستين:

لا شك أن الدراسة التداولية أحدثت طفرة في المنجز اللساني؛ إذ إن الأعراف اللغوية التي هيمنت طويلا، ودأبت تحرِّي الصدق والكذب، تراجعت، فلقد « بدأت مسيرة أفعال الكلام بالثورة على مفهوم الوصف المسند في الغالب للغة، والذي أقصى كثيرا من العبارات المستخدمة بحجة عدم خضوعها لمعيار الصدق والكذب»[1]، وقد بدأ أوستين عمله بتوضيح التعارض بين المنطوقات، وهي التقريرية الوصفية، ونوع آخر يتشابه معه ظاهريا في البنية إلا أنه لا يقوم بالوظيفة التي يقوم بها هذا النوع، ويسميه بالمنطوقات الأدائية[2]،« فالنتيجة التي انتهى إليها أوستين، كما صار معروفا، هي "اعتبار القول هو الفعل" ثم تفريع "الفعل الكلامي الكامل" إلى ثلاثة أفعال متزامنة تحدث في نفس الوقت (...) ثم قام بمحاولة تصنيف أولية للأفعال المتضمنة في القول»[3]. وبذلك فقد صهر أوستين مفهوم الإنجاز والوصف في مفهوم واحد سماه الفعل اللغوي[4].

وعلى هذا يكون أوستين قد أوجد تحليلا للفعل الكلامي يقوم على ثلاثة أفعال هي:

أ. فعل القول Acte locutoire:

يشتمل على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعروفة مثل المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، والتي يسميها أوستين أفعالا؛ فالفعل الصوتي، هو التلفظ بأصوات تنتمي إلى لغة معينة، والفعل التركيبي يؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال وفق معان، وإحالات

---

[1] – رحيمة شيتر، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار نموذجا، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص 160 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 125.

[4] - ينظر: بلخير أرفيس، أصول التداولية في التفكير البلاغي عند العرب، مجلة المقري، مجلد1 ، العدد 1، 2017، ص50.

محددة[1]، ما معناه أن فعل القول هو النظرة المختزلة في العبارة، دون النظر إلى سياقات استعمالها؛ وذلك كبحث أولي من حيث إن فعل القول يتمثل في قول شيء ما.

« فقولنا مثلا:

إنها ستمطر.

يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي:

إخبار ب"أنها ستمطر" ؟

أم تحذير من "عواقب الخروج من الرحلة" ؟

أم "أمر بحمل مظلة"؟ أو غير ذلك...» [2] .

ب.الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire:

ومن أمثلة ذلك السؤال أو إجابة السؤال، تقديم معلومات، أو تأكيدات أو إصدار تحذير؛ فالفرق بين الفعل الأول، والثاني هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول ما، أما الأول القيام بفعل هو قول شيء؛ ففي مقابل ما يشتمل فعل القول على قواعد النحو، و تحديده المعنى والمشار إليه، فإن الفعل المتضمن في القول يشمل أمرا زائدا هو" القوة force " فيقال للجملة التي في موضع ما أن لها قوة الخبر، وفي موضع آخر أن لها قوة التحذير، وفي موضع غيره أن لها قوة الأمر[3]، وبالتالي فإن القوة تضفي على العبارة نفسها في سياقات مختلفة مسحة أسلوبية خاصة تجعل معنى الجملة متمايزا.

ج.الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire:

إن موضوع البحث بالنسبة لأوستين هو الفعل الثاني؛ أي: الفعل المتضمن في القول، والذي أراد استدراكه على من سبقه من الفلاسفة، فإلى جانب السؤال الذي طرح كثيرا

---

[1]– ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 141.

[2] – المرجع نفسه، ص 142.

[3]– ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة الغربيين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د ط)، 1994، ص8.

حول معنى لفظ معين، هناك سؤال آخر حول قوة ذلك اللفظ، ويرى أوستين أن استكمال عمل الفلاسفة يكون بإضافة نظرية جديدة حول جميع القوى التي يمكن للفظ مفيد أن يتضمنها، إلى جانب النظرية القديمة في المعنى[1]؛ وبالتالي لم تعد الدراسة عنده متوقفة على المخاطب، وإنما توجهت نظريته إلى المتلقي ليهتم بالبعد التأثيري، ومعاينة حاصل القوة الإنجازية، وما يمكن أن يحدثه الفعل المتضمن في القول من تأثير في المتلقي« وأخيرا يرى أوستين أنه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من الفعل المتضمن في القول، قد يكون الفاعل قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في مشاعر، أو أفكار، أو أفعال المخاطب، أو المتكلم، أو غيرهما، على نحو كان الفاعل، أي المتكلم، قد عمد إلى إيجاده. ومن أمثلته: الإقناع، التضليل، التثبيط »[2].

نستخلص أن أوستين استطاع أن يحدث ثورة في دراسة اللغة العادية، من خلال تقسيمه للفعل الكلامي، وتضمينه القوة للفعل المتضمن في القول، والفعل التالي المنعكس على المخاطب في ما يخص التأثير المتوقع فيه.

وقد صنف أوستين أفعال الكلام وفق ما يلي:

أ. **الحكميات Verdictives:** وهي إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة مما يصعب القطع به، ومن أمثلتها: برأ، قيم، حلّل، وصف، حسب، فسّر، أرخ، حسب، حكم.

ب. **الإنفاذيات Exercitives:** تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليهما، ومن أمثلتها: استقال، أعلن، عيّن، نهى، أمر، صرح، صوّت، سمّى.

ج. **الوعديات Commissives:** قد تكون إلزامات للمتكلم بأداء فعل ما، وقد تكون إفصاحا، نحو: نوى، عزم، وعد، نذر، عقد، راهن، أقسم[3].

---

[1] – ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة الغربيين والبلاغيين العرب ، ص9.

[2] – المرجع نفسه ، ص9.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص10.

د. « **السلوكيات Behabitives:** وهي أعمال تتفاعل مع أفعال الغير، نحو: "الاعتذار والشكر والتهنئة والرأفة والنقد والتصفيق والترحيب والكره والتحريض..."

هـ. **العرضيات Expositives:** وهي أعمال تختص بالعرض مثل: " التأكيد والنفي والوصف والإصلاح والذكر والمحاجة والقول والتأويل والشهادة والنقل والتوضيح والتفسير والتدليل والإحالة...» [1] .

استطاع أوستين، أن يقوم بتصنيف الأفعال الكلامية وفق الأغراض المتوخاة من الفعل الكلامي؛ حيث إن هناك أغراضا توصل لها، عهد بموجبها إلى تقسيم الأفعال لخمسة تصنيفات.

ثالثا– أفعال الكلام عند"ج. سيرل":

1. نمذجة سيرل لنظرية أفعال الكلام:

لم تتوقف نظرية أفعال الكلام عند أوستين، بل أخذ سيرل على عاتقه إكمال مسيرة أستاذه كمنطلق لرؤية جديدة، تفحص من خلالها الفكر التداولي الأوستيني؛ ليتخذ سبيلا معدلا؛ فقد« ...حاول سورل تقديم نمذجة عامة للأفعال الكلامية، مستفيدا من الانتقادات التي وجهها بعض التداوليين لنظرية أوستين، ونقطة الانطلاق بالنسبة لسورل تتمثل في تغيير المنهجية المعتمدة، من خلال التمييز بين الأفعال Verbs والأعمال Acts من جهة والتركيز على مقاصد المتكلمين من جهة أخرى»[2]، ولم يكن تصور سورل ثورة على أستاذه أوستن، وإنما كانت إضافة نوعية؛ حيث قدم بعض الأفكار التي تتعلق بشروط إنجاز الفعل

[1] – فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا ط1، 2007، ص62 .

[2] – جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص93.

الكلامي، وتصنيف أفعال اللغة، وفي البداية يقر على ما أكده أستاذه في أن القول هو العمل [1].

ونلمس أن « ما يميز المراجعات والتعديلات التي أجراها سيرل على النظرية، إضافة إلى إعادة التصنيف، أنه قدم تصورا آخر لفلسفة اللغة والمنطق " الأفعال المتضمنة في القول" وسماها "القوى الإنجازية"»[2]، وأكد سيرل أن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في اللغة الإنجليزية في نظام الجملة والنبر والتنغيم وعلامات الترقيم وصيغة الفعل والأفعال الأدائية[3]، « ثم أدخل ضمن الإنجازيات ظاهرة كلامية فرعية سماها الأفعال الكلامية غير المباشرة»[4].

والجملة الإنجازية للأفعال المباشرة وغير المباشرة وفق رؤية سيرل تتكون من دليل على الإنجاز يكون غالبا "لفظة" تعبر عن الفعل الإنجازي + محتوى قضوي [5].

والواضح أن « مما لم يختلف فيه سيرل مع أوستين مفهومه لوظيفة اللغة، فهي ليست مجرد أداة تواصلية أو وسيلة للتعبيرعن الفكر بل هي، فوق ذلك، فعل وسلوك اجتماعي، أي اعتبار "القول هو الفعل"،(...) كل ذلك لا يعارضه سيرل، ولكنه يضبط مفهوما آخر "الفعل المتضمن في القول"، ويحدد له، من ثم، بنية عامة مختلفة وتفريعات أخرى، أهم ما يميزها هو الجهاز المصطلحي – المفاهيمي الذي أراد سيرل أن يتميز به عن أستاذه وعن غيره من فلاسفة اللغة » [6] .

---

[1] – ينظر: بلخير أرفيس، في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب – البدر الساطع للطباعة والنشر، ط1، 2020، ص 45.

[2] – مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص160.

[3] – ينظر : أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د ط) 2002، ص47.

[4]– مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 160.

[5] – ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية – الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي – مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص63.

[6]– مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 161.

ومما يحسن قوله: إن دليل القوة في اللغة العربية متاح، باختلاف القوى الإنجازية لجملة واحدة، على أن حمل دليل قوتها في ما تعلق بالتوجيهيات على سبيل المثال لا الحصر، يمكن أن نستدل عليه في الأمر مثلا بصيغتي "افعل"، و "لتفعل"، وما تعلق بالاستفهام يكون بأداة الصدارة الدالة عليه، ناهيك عن علامة الاستفهام في حالة الفعل الكلامي المكتوب، أما النهي فيكون دليل قوته هو صيغة فعله" لا تفعل"، فهذه المؤشرات تحيل إلى نوع القوة الانجازية.

2. أسس بنية القوة الإنجازية عند سيرل:

اعتمد على معايير منهجية تقوم عليها القوة الإنجازية « وقد استوحاها ج. سيرل إما من الأفعال ذاتها، وإما من العلاقات السياقية بين الخطاب وملابساته، التي يقوم عليها فعل القوة حتى يتسنى تمييزه بسهولة عن فعل القضية الذي هو فعل عادي»[1]، وهذه المعايير جعلت الفعل الكلامي أكثر ضبطا وعمقا في الدراسة، مراعيا في ذلك الأسس الآتية:

أ.الغرض المتضمن في القول (أو الغرض الإنجازي):

الغرض الإنجازي illocutionnary point للفعل الكلامي، أي القصد التواصلي، الذي يبتغيه متكلم ما بمنطوقه (ما يريد المتكلم أن ينجزه بمنطوقه)[2]؛ فكل فعل كلامي ينتمي إلى تصنيف معين له غرض معين، هو هدف الكلام.

[1] – مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص171.

[2] – ينظر: كلاوس بر ينكر، التحليل اللغوي للنص – مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج – تر: سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2005، ص133.

ب.اتجاه المطابقة direction of fit :

. **من القول إلى العالم:** وذلك بإنشاء فعل كلام يطابق العالم مثل التأكيد والإنكار والوصف[1]؛ أي الاتجاه يكون بالنظر في الكلمات على أنها أدوات تعطي صورة عاكسة واصفة لما هو خارج عن كيان اللغة.

. **من العالم إلى القول :** يتحقق نجاح الفعل في المطابقة بتغير العالم ليطابق المحتوى القضوي للفعل الإنجازي كما يحدث مع فعل الوعد.

. **اتجاه المطابقة المزدوج:** يتحقق النجاح في المطابقة بتغير العالم ليطابق المحتوى القضوي مع إمكانية قيام الفعل الإنجازي والفاعل بدور يسمح بتطويع المحتوى ليتلاءم مع العالم.

. **اتجاه المطابقة الفارغ:** هنا لا توجد مشكلة في نجاح تحقق المطابقة بين المحتوى القضوي والعالم؛ لأنه –عموما– يقع القول مع افتراض حصول المطابقة قبل ذلك»[2].

وفي هذا السياق، نشير إلى أن اتجاه المطابقة من العالم إلى القول، يكون نجاح الفعل فيها كامنا في مدى تحقيقه في العالم الخارجي؛ فإن كان كذلك؛ نعتبر أن العالم تغير وبالتالي اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات بات أمرا جليا، أما في تعريجنا على اتجاه المطابقة المزدوجة فإننا نرصد وجود تناظر حيني آني ما بين العالم والقول فبمجرد النطق بالفعل يكون الفعل موجودا، وبالتالي فإن كينونة الفعل قد تحققت مع نفس الزمن الذي ينطق فيه الفعل الكلامي.

[1] – ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص173.

[2] – علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة – دراسة دلالية ومعجم سياقي – ص57.

ومثلما يوجد تطابق مزدوج، يوجد النقيض وهو عدم وجود مطابقة، وهذا من قبيل أن المتكلم لا يريد إحداث تغيير في العالم، وإنما يتعلق الأمر بإفراغ لحالته النفسية؛ حيث يصرّح ويبوح بأحاسيس تصورها اللغة وتصبح هي بذلك وعاء يختزن مشاعر المتكلم.

ج. شرط الإخلاص sincerity condition:

ويتحقق هذا الشرط « حين يكون المتكلم" مخلصا أو صادقا في أداء الفعل الإنجازي فلا يقول ما لا يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع، وبعبارة أخرى: لابد أن يكون لمتكلم يريد "حقا" أن ينجز الفعل من قبله أو من قبل المتلقي»[1]، والمتكلم يعبر عن حالة أو موقف معين، تتضمن اعتقادا أو أمنية أو قصدا وابتهاجا بأداء الفعل الكلامي، وهذه الحقيقة مسجلة عن طريق الحقيقة القائلة: إنه من غير المقبول أن نربط الفعل الكلامي بإنكار الحالة السيكولوجية المعبر عنها، بنطق الفعل الغرضي هي شرط الإخلاص للفعل[2]، مما يوضح أن الإخلاص يكون بتوخي أداء الفعل، وليس مجرد هذر زائد أو عبث قولي، فهذه المنهجية التي اعتمدها سيرل، جعلت الأفعال الكلامية، تنطبع بطابع التمايز في ما بينها؛ فالغرض الإنجازي يخضع لهدف المتكلم، واتجاه المطابقة يختلف من صنف إلى آخر، والإخلاص يختلف من صنف لصنف وفق سيكولوجية المتكلم.

3. أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة عند سيرل:

أكثر ما يشد الانتباه في أفعال الكلام عند سيرل، إعطاؤه مكانة هامة في درسه التداولي لفكرة الأفعال المباشرة وغير المباشرة مفصلا فيها أكثر من أستاذه ،« ومن الملاحظ انصراف أوستين عن الاهتمام بالافعال غير المباشرة أو الأولية كما أسماها وتركيزه على

[1] – علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة – دراسة دلالية ومعجم سياقي –ص 53.

[2] – ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط 1،1993، ص227 – 226.

الجانب الصريح المباشر»[1]؛ حيث فرق بين الأفعال اللفظية، والأفعال الإنجازية وفرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية، ثم جاء سيرل فخطا في هذا الاتجاه خطوة واسعة تتمثل في التمييز بين ما أسماه الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة أو الثانوية والأولية أو الحرفية وغير الحرفية، وأكثر الأسماء شيوعا عنده هو المصطلح الأول "المباشرة وغير المباشرة"، فالأفعال المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقوله، و يتمثل ذلك في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين[2]، «أما الأفعال الكلامية غير المباشرة، وهي التي تدل هيئتها التركيبية على معنى لا يقصده المتكلم فكأنه يقول شيئا ويعني شيئا آخر»[3]، إذ تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم فالفعل الإنجازي يؤدى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر، فقولك لصاحبك وأنتما جالسان إلى المائدة "هل تناولني الملح؟"، فهو فعل إنجازي غير مباشر إذ معناه الحرفي هو الاستفهام، وهو مصدر بالدليل الإنجازي "هل"، لكن الاستفهام غير وارد لك، ولا تنتظر إجابة صاحبك بنعم أو لا، وإنما المراد أن تطلب منه طلبا مهذبا وهو أن يناولك الملح، إذن فالفعل الإنجازي السابق غير مباشر، إذ تخالف قوته الإنجازية الحرفية قوته الإنجازية غير الحرفية التي تمثل مراد المتكلم[4].

أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة وفق **مسعود صحراوي**:ف« هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل ما يلي:

---

[1] – علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة – دراسة دلالية ومعجم سياقي – ص124.

[2] – ينظر: محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، 80 – 81.

[3] – المرجع نفسه، ص 113.

[4]– ينظر: المرجع نفسه ، ص81 .

- **معاني عرفية**، وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.
- **معاني حوارية**، وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية» [1].

تتميز الأفعال غير المباشرة بكونها تتجاوز البنية الظاهرة؛ حيث« إن المشكلة الأساسية التي تطرحها الأفعال الكلامية غير المباشرة هي معرفة كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئا ما ويعني ذلك، وهو في الوقت نفسه يريد أن يقول شيئا آخر؛ ومن ثم معرفة كيف يمكن للمتلقي أن يفهم الفعل الكلامي غير المباشر، مع أن ما يسمعه يدل على شيء آخر» [2].

وجدير بالذكر أن في هذه الأفعال« يستطيع المتكلم أن يبلغ للمتلقي أكثر مما يقوله بالفعل، باستناده إلى معلومات خلفية، لغوية أم غير لغوية، مشتركة بينهما وباستناده إلى مقدرات المتلقي العقلانية والاستدلالية. وبوجه أدق، فالنموذج التفسيري لما هو غير مباشر من الأفعال الكلامية يتضمن نظرية الأفعال الكلامية وبعض المبادئ العامة للمشاركة في الحديث، وخلفية من المعلومات الواقعية الأساسية المشتركة بين المتكلم والمتلقي، كما أنه يفترض مقدرة من المتلقي على إقامة الاستدلالات»[3].

هذا الفيض، طابع رائع تتلبس به الأفعال غير المباشرة، يبدي قدرة اللغة الإنسانية على مد أفق التواصل المتمثل في انفتاح ذهن المتلقي؛ ليشتغل على إدراك ما يصبو المخاطب إليه، فالمعلومات الخفية تطفو متجلية في ذهن المتلقي، وما هو متضمن يصبح ظاهرا؛ فالمتكلم يلقي بفعله الكلامي، وما على المتلقي إلا فك شفرات ما هو مخبوء وراء المعنى الصريح، بتجاوز المحتوى القضوي والقوة الإنجازية الحرفية؛ ليظفر بالتعرف على

---

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص35.

[2] – علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، ص 125.

[3] – عادل فاخوري، المعجم الفلسفي، معهد الإنماء العربي، ط1،1988، ص 1340، نقلا عن علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص 125.

القوة الإنجازية غير المباشرة، من ثم يقع الفعل التأثيري، وإن كان سيرل يرى أنه لا يكون التأثير دائما؛ « لذا فالتداوليون لا ينظرون للغة على أنها مجرد وسيلة للوصف والإخبار »[1].

وهناك بعض الخطوات التي يسلكها المتكلم عند التلفظ بالأفعال غير المباشرة، وهذه الخطوات هي:

- يدرك أن معنى الخطاب الحرفي لن يناسب السياق، ولن يعبر عن القصد المراد فيختار التعبير وفق أسلوب التلفظ بالأفعال الإنجازية غير المباشرة.
- يبحث عن آلية مناسبة ينتج بها خطابا ليبلغ بها قصده.
- يختار الآلية التي تؤدي المعنى المستلزم من الخطاب، والمغاير للمعنى الحرفي[2].

وعليه، فإن هذه الخطوات التي يتبعها المتكلم في أدائه للفعل الكلامي غير المباشر تجعله يحقق الغرض الإنجازي منه، وهكذا« يبدو جليا أن الاستراتيجية المباشرة تنحصر في كيفية التعبير عن القصد الظاهر أصلا في الخطاب حسب ما يستلزمه السياق؛ أي في شكل الخطاب، في حين تنحصر الاستراتيجية غير المباشرة في التعبير عن القصد أو المعنى المراد باطنا، ويرى **أحمد المتوكل** أن القوة الإنجازية التي يمكن أن تواكب العبارة قوتــان:

- قوة إنجازية حرفية.
- قوة إنجازية مستلزمة»[3].

ويورد مثالا على ذلك بقوله:« لنفترض أن الجملة (1) واردة في مقام تحمل فيه، كقوة إنجازية، مجرد السؤال وأن الجملة (2) مقصود بها استدراج المخاطب إلى مصاحبة المتكلم إلى المسرح:

---

[1] - وهيبة بوشليق، الفاعل بين السمات النحوية والتداولية في اللغة العربية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد6، العدد2، 2022، ص166.

[2]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديدة المتحدة ط1، 2004، ص384 .

[3] – المرجع نفسه، ص369 .

(1) من في هذا البيت؟

(2) هل تصاحبني إلى المسرح »[1].

تنحصر حمولة(1) الإنجازية في مجرد قوتها الحرفية "السؤال" في حين أن (2) تحمل بالإضافة إلى السؤال قوة إنجازية مستلزمة مقاميا يمكن أن نعتبرها التماسا [2].

يتبين أخيرا أن سيرل أفاض في دراسة الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وهو أكثر ما ميز دراسته التداولية، فبعد أن تحدث عنها أستاذه أوستين كأفعال أولية وثانوية، جاء هو ليصنع الفارق بإعطائه مساحة هامة لها في بحثه اللغوي.

رابعا – أفعال الكلام في التراث اللساني العربي:

1. موقع ظاهرة أفعال الكلام في البحث اللغوي العربي:

شاع كثيرا أن للغرب فضلا كبيرا في الدرس التداولي، لكن هذا لا يمنع أن للعرب باعًا في ذلك خاصة ما تعلق بمباحث علم المعاني، وهو« تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره» [3]، وهي الرؤية المتقدمة لنظرية الأفعال الكلامية في صورتها العربية؛ إذ« يشكل مفهوم الخبر والإنشاء في التراث العربي بعامة سواء عند اللغويين أم البلاغيين أم الأصوليين بابا مهما يقف على قدم المساواة، مع ما تعرضه نظرية أفعال الكلام لأوستين"Austin . J "التي طورها من بعده "جون سيرل"J.Searle"، فالخبر ما قبل الحكم عليه بالصدق أو الكذب انطلاقا من مطابقته للخارج أو عدم مطابقته والإنشاء

[1] – أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، ط1، 1993، ص22.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – يوسف بن أبي بكر(أبو يعقوب السكاكي)، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 1987، ص161.

ما لا يقبل ذلك الحكم، ويتميز بأن مجرد النطق به هو تحقيق له وإنجاز على أرض الواقع»[1].

ومع التنقيب عن مفاهيم تتعلق بالأفعال الكلامية في الدرس التراثي، نجد أن البحث فيها شمل ما هو نظير لها؛ والأمر يتعلق بمبحثي الخبر والإنشاء؛ فكانا ميدانا شكل أرضية خصبة للبحث، جمع علماء من أطياف مختلفة، « فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة والبلاغيون والنحاة والأصوليون، ومن ثم صار متعينا على من يدرسها أن يتتبع فروعها وتطبيقاتها في مؤلفات عدد من العلماء الذين أسسوا هذه النظرية في تراثنا أوالذين عمقوا البحث فيها، وهم كثر لا يكاد لايحصيهم العد[2]».

ومع تمايز القصد من الدراسة الموجهة لأفعال الكلام من مختلف أطياف البحث التراثي على وفق الخلفية الخاصة بكل فريق فإن أجرأتها وقعت « ولم تتضرر ظاهرة "الأفعال الكلامية" في تراثنا بكون بحث كثير من العلماء لها بحثا عرضيا، غير مقصود لذاته، وهم الأصوليون والمناطقة، بخلاف بحث البلاغيين والنحاة الذي كان في صميم التخصص »[3].

ويعرض المخطط التالي أهم مباحث الخبر والإنشاء في التراث اللغوي العربي، بلاغة ونحوا وأصولا، ويبين أهم ما تتضمنه هذه الثنائية (الخبر والإنشاء)[4]:

---

[1]– باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 ،2014، ص 122.

[2]– مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية ، ص 196–197 .

[3]– المرجع نفسه، ص 198.

[4] – ينظر: باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص122.

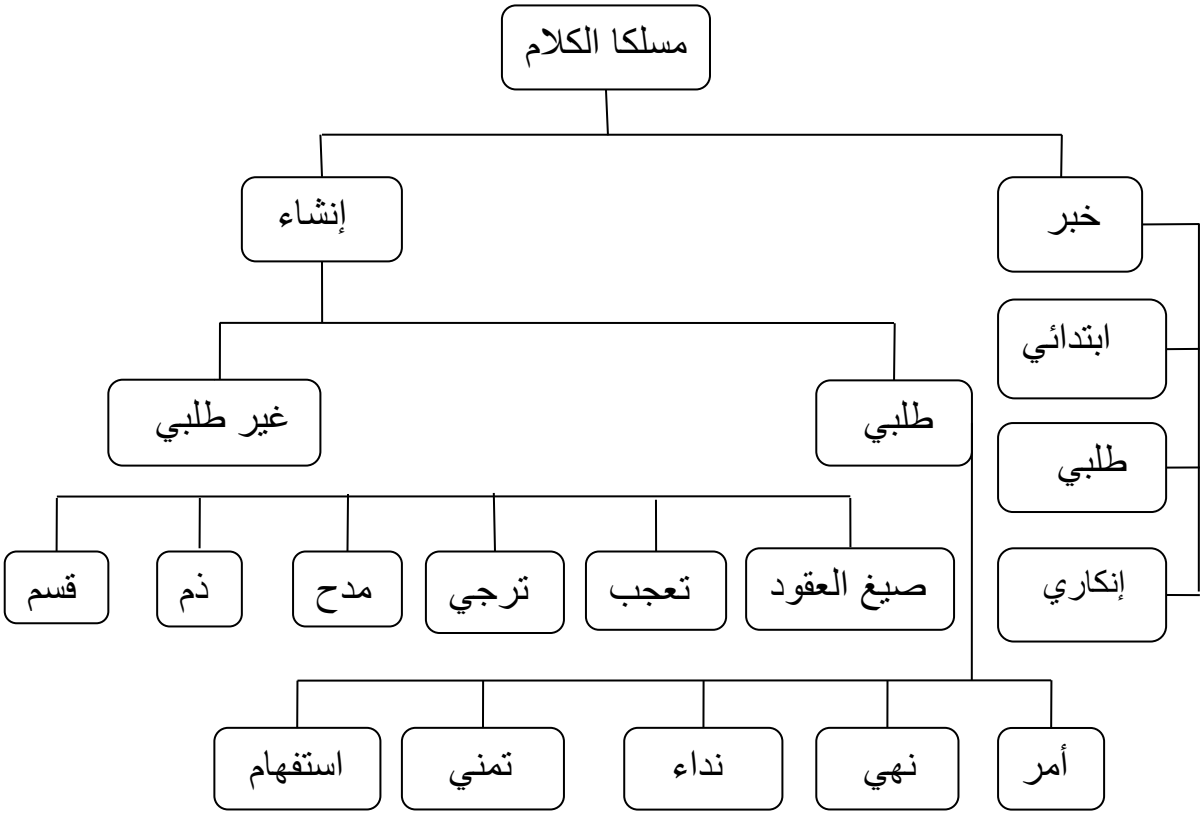

المخطط (1): مباحث الخبر والإنشاء في التراث اللغوي العربي

وحاصل القول: إن جهود علماء الدرس الأصولي واضحة إسهاما في تحليل الفعل الكلامي، بطريقة تداولية؛ وذلك في بحثهم عن تفسير المسائل الشرعية، وخاصة ما تعلق بأفعال الإيقاع كالطلاق مثلا، وبدون شك إسهام البلاغيين بعلم المعاني، وهو الميدان الأثرى.

2. معايير التمييز بين الخبر والإنشاء:

تعددت المعاني عند العرب القدامى؛ فعلى حد قول ابن فارس(ت395هـ) في باب معاني الكلام:« هي عند أهل العلم عشرة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي ودعاء، وطلب وعرض، وتحضيض، وتمن، وتعجب[1]»؛ إذ لم يدرس هؤلاء هذه المعاني دون وضع منهجية

[1] – أحمد بن فارس (أبو الحسين بن فارس القزويني الرازي)، الصاحبي في فقه اللغة، تح: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1997، ص 133.

دقيقة؛« للتفريق بين الظاهرة الأولى من الكلام المتمثلة في الخبر، وما تلاها مما ينطوي تحت ظاهرة الإنشاء وفق المعايير التالية:

أ. **معيار (قبول الصدق والكذب)**: وهذا هو التمييز الأشهر بينهم، وكان محل إجماعهم، فالخبر هو ما يقبل الصدق أو الكذب، والإنشاء هو ما لا يقبل الصدق أوالكذب.

ب. **(معيار مطابقة النسبة الخارجية)**: فالخبر هو الكلام التام المفيد، أو الخطاب التواصلي الذي لنسبته الكلامية نسبة خارجية، والإنشاء ليس له تلك النسبة الخارجية»[1].

من هنا يتضح أن معيار الصدق والكذب يخص الخبر، ومعيار المطابقة في النسبة الخارجية هو الآخر يختص به الخبر، على أن الإنشاء يخلو من تتبع هاتين الخاصيتين.

ج. **(معيار إيجاد النسبة الخارجية)**: ما تم من الكلام وأمكن السكوت عليه[2]، وقال ابن يعقوب المغربي(ت 1128هـ) في هذا:« أن الكلام الذي يحسن السكوت عليه لا محالة يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد منه الدلالة على أن تلك النسبة المفهومة من الكلام حصلت في الواقع ووقعت في الخارج بين معنى المسند والمسند إليه فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد الدلالة على اللفظ وجدت به تلك النسبة فالكلام إنشاء»[3].

د. **(معيار قصد المتكلم)**: اتخذ العلماء قصد المتكلم قرينة، إذ يصبح الكلام خبرا إذا انضم إلى اللفظ قصد المتكلم الإخبار به، وإنشاء إذا انضم إلى اللفظ قصد إيجاد النسبة الخارجية.

---

[1]– علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية – الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة – ص 101.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – مسعود بن عمر (أبو سعيد سعد الدين التفتازاني) ، شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط) (د ت)، ج1 ، ص168.

هـ. **(معيار عدد النّسب):** ويقصد به أن للخبر ثلاث نسب، نسبة كلامية، ونسبة ذهنية وأخرى خارجية، أما الإنشاء فله نسبتان؛ نسبة كلامية ونسبة ذهنية[1].

وقد درست هذه النظرية بما يوافق التمييز بين الأقوال الوصفية والإنشائية الذي عقده أوستين[2]، وقسم العرب الإنشاء إلى طلبي، وغير طلبي. والإنشاء الطلبي ما يستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب، وغير الطلبي ما لا يستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب ومن الثاني: أفعال المقاربة و التعجب، والمدح والذم وصيغ العقود، ونحو ذلك، والبلاغيون لا يكادون يلقون بالا إلى هذا النوع الثاني، لقلة المباحث فيه؛ ولأن أكثره في الأصل أخبارا نقلت إلى معنى الإنشاء، وأما غيرهم من النحويين فيوجهون عناية إلى معظم أنواعه في النحو، وقد عقدوا لبعضه أبوابا خاصة، وأما النوع الأول – وهو الإنشاء االطلبي – فقسموه إلى: أمر، ونهي واستفهام، ودعاء، وتحضيض، وعرض، وتمني، وترجي، ونداء[3].

والذي يشد انتباهنا هنا هو وجود تشابه بين تقسيم العرب للخبر والإنشاء، وبين رؤية سيرل؛ حيث إن الخبر، يندرج ضمن الإثباتيات، والإنشاء يتوزع ضمن ما عداها من الأصناف.

3. الأفعال المباشرة وغير المباشرة في الدرس التراثي العربي:

نستشف حديثا عن الأفعال المباشرة وغير المباشرة في تراثنا العربي مما ذكره **عبد القاهر الجرجاني**(ت471هـ) في قوله:« الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج عن الحقيقة، فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو، وقلت:عمرو منطلق، وعلى هذا القياس، وضرب

[1]– ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية – الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة – ص101 – 102.

[2] – ينظر: زكور نزيهة، غيلوس صالح، قضايا التداولية في التراث العربي – أفعال الكلام انموذجا – مجلة العمدة للسانيات وتحليل الخطاب، مجلد2، العدد 5، 2018، ص121.

[3] – ينظر: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1979، ص 13– 14.

آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة» [1].

فقد درج علماء البلاغة على التعمق في الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة وعلى رأسهم **أبو يعقوب السّكاكي**(ت 262هـ)، الذي اهتم بدراستها، وهو يرى« أن أي نوع من أنواع الإنشاء أو الخبر تقوم فيه جملة ما بإنجاز غرض– بحسب تعبيرنا – معين من خلال صيغته الرئيسة – أي إجراء الغرض على أصل الاستعمال – فإن هذه الجملة تكون جملة إنجازية مباشرة، وعند خرقها لشرط إجرائها على أصل استعمالها فإنها تنجز فعلا غير مباشر»[2]، هذا التحليل المنطقي جعل رأي السكاكي يوافق الرؤية التداولية لمفهوم الفعل المباشر وغير المباشر، « ويرى المتوكل أن السّكاكي قدم تفسيرا دقيقا لتولد المعاني الفرعية عن المعاني الأصلية، ولفهم الانتقال من المعنى الحرفي غير المقصود إلى المعنى غير الحرفي المقصود، وهي المعاني التي تتولد مقاميا عن التراكيب الأصلية، مثل تولد التقرير من الاستفهام، أوالتمني من الاستفهام، أوتولد معنى الاستبطاء منه أيضا ويحصل الانتقال في رأي السكاكي، إذا أجريت التراكيب الأصلية غير مطابقة لشروطها(عدم الإجراء على الأصل)» [3]، وبالتالي ما يفهم من قول السّكاكي أن أي خرق لشروط الأفعال الواجب التقيد بها؛ لحصول الفعل على وجهه الأصلي، يحدث بالضرورة فعلا كلاميا غير مباشر، فتتولد بذلك المعاني الثاوية خلف المعاني الأصلية، ولعل الاستفهام خير ما استدل به السّكاكي في إثبات رأيه؛ أي إن المتكلم يستنجد بالاستفهام؛ لإيصال معان أو لتحقيق أغراض إنجازية أخرى، فيغدو الاستفهام غير حقيقي في حال انزاح عن أصل استعماله.

[1] – عبد القاهر بن عبد الرحمان، (أبو بكر الجرجاني)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 202.

[2]– علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية – الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة – ص103.

[3]– مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 199.

« فالخيط الرفيع الذي كان يربط بين الجرجاني والسكاكي، وقبلهما سيبويه ومن تلاه من النحاة، وبين أوستين وسيرل، ومن اقتفى أثرهما، إنما هو وحدة الظواهر المدروسة خصوصا منها ظاهرة الإنشاء، فلا سبق البلاغيين والأصوليين والنحاة العرب في اكتشاف الإنشاء كان مانعا للمحدثين من صياغة مفاهيم جديدة أقوى في تحليله، ولا كانت جدة المفاهيم التي صيغت ضمن نظرية الأعمال اللغوية بمانعة من أن نرى الصواب في كثير من تحاليل القدماء وتفسيراتهم ومقترحاتهم»[1].

وبهذا نلحظ أن ظاهرة الأفعال المباشرة وغير المباشرة، قد تمت دراستها من قبل العلماء العرب، سواء ما تعلق بأعلام المنحى البلاغي، أوالاتجاه النحوي، أو الدرس الأصولي، كل في سياق تخصصه.

[1] – شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، دارالكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010 ص 6.

المبحث الثاني: الأفعال الإخبارية والتوجيهية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

أولا – الإخباريات Assertives:

تسمى أيضا الإثباتيات والتقريريات، وتتأسس على وصف لما هو في الخارج، استنادا على توثيق لمقال المتكلم قائم على الدعم الشاحن للمحتوى القضوي« ونقطة الفعل الكلامي الإثباتي هو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر؛ فهي أن تقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم، ومن أمثلتها الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات، وتنطوي جميع الإثباتيات على اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم، وشرط الصدق في الإثباتيات هو دائما الاعتقاد، فكل إثبات هو تعبير عن اعتقاد، وأبسط اختبار لتحديد هوية الإثبات هو أن نسأل ما إذا كان المنطوق صادقا أو زائفا بالمعنى الحرفي؛ ولأن للإثباتيات اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم، فهي يمكن أن تكون صادقة أو زائفة»[1].

وقد تم استيقاء بعض النماذج من خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، يتم عرضها كالآتي:

النموذج الأول:

«حياكم الله وبياكم، وأدامكم وأحياكم، وأبقاكم للعربية تصونون عرضها» [2].

تحليل النموذج:

يشتمل الفعل الكلامي للشيخ البشير الإبراهيمي الذي أورده ضمن كلمته التي ألقاها في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء الجدد في حفل تنصيبهم يوم 12 مارس 1962م، على

[1] – جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، الجزائر العاصمة، الجزائر، بيروت، لبنان، بيروت، لبنان،ط1 ، 2006، ص 217–218.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،ط1،ج 5، 1997 ص292 .

ما ظاهره خبر وباطنه دعاء؛ حيث إن الفعل يحتمل معنيين، أولهما حرفي صريح مباشر وثانيهما خفي غير مباشر، أما الأول فيتكون من محتوى قضوي، وهو(دوام المخاطبين للعربية)، وقوة إنجازية ظاهرة، تتمثل في (الإخبار)، وأما الثاني فهو الدعاء للمخاطَبين أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة بأن يديمهم الله للعربية، لكن الخطيب آثر الدعاء بصيغة الفعل الكلامي الإخباري- وهو توجه تداولي رصين- من أجل التفاؤل بحدوث المطلوب، يتجلى في الأفعال الماضية (حياكم، أدامكم، أحياكم، أبقاكم) وهذا على نحو ما هو مذكور في كتاب شروح التلخيص للتفتازاني(ت791هـ): « (قوله بلفظ الماضي) متعلق بيقع وإنما قيد بلفظ الماضي؛ لأن التفاؤل لا يكون إلا به لا بالمضارع ولا بالاسم (قوله وفقك الله للتقوى)؛ أي اللهم وفقك فعبر بالفعل الماضي الدال على تحقق الحصول موضع الإنشاء لإدخال السرور على المخاطب بتحقق حصول التقوى»[1].

هذا التمسك الذي أبداه الخطيب في طرحه للدعاء خبريا هو آكد، وأقوى طرحا في نفس المخاطب، وأدعى لشد الانتباه وجذب السامع للتفاعل مع انطلاقة الملقي، والتواصل معه فيتحقق بذلك التأثير.

أما الحالة النفسية المتلبسة لهذا الفعل الإنجازي؛ فهي رغبته وإرادته في تحقق الفعل الكلامي غير المباشر، وهو الدعاء لجمهور المخاطبين، كما أن اتجاه المطابقة أو تغيير العالم الذي يصبو إليه الخطيب من العالم إلى الكلمات، يتجلى في تحقيق الدعاء ميدانيا من وجود من هم أهل للحفاظ على اللغة العربية، والذود عنها، وإبقاء فاعليتها وحركيتها في جميع المجالات.

يمكن التمثيل بمعادلة كمايلي:

[1] – مسعود بن عمر (أبو سعيد سعد الدين التفتازاني) ، شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط) (د ت)، ج2 ، ص338.

الدليل التداولي=(دليل القوة الإنجازية= حياكم + بياكم + أدامكم+ أحياكم + أبقاكم) + محتوى قضوي (دوام المخاطبين للعربية) + تحقق شرط الإخلاص برغبة الشيخ البشير الإبراهيمي+ (تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات= فعل غير مباشر، غرضه الإنجازي الدعاء للمخاطبين بدوامهم خدمة للعربية).

النموذج الثاني:

«لا مثال للبلاهة والبلادة أوضح من محالفة القوي للضعيف إلا إذا صح في الواقع وفي حكم العقل أن يحالف الديك النسر، أو تحالف الشاة الذئب» .[1]

تحليل النموذج:

يحمل قول البشير الإبراهيمي والذي ذكره في سياق كلمته التي ألقاها بإذاعة صوت العرب "موالاة المستعمر خروج عن الإسلام" بالقاهرة في 1955م فعلا كلاميا إخباريا، ذو حمولة دلالية حرفية مباشرة، تتكون من محتوى قضوي، وهو(بلاهة محالفة القوي للضعيف) وقوة إنجازية تتمثل في النفي مؤشر لها ب"لا"، فالخطيب يقرر أنه لا مثال للبلاهة والبلادة أوضح من محالفة القوي للضعيف إلا أذا صح في الواقع وفي حكم العقل أن يحالف الديك النسر أو تحالف الشاة الذئب، واستثناؤه الواقع بعد "إلا" جاء لتأكيد وتدعيم إخباره، وذلك أنه يستحيل أن يتحالف الديك مع النسر أو الشاة مع الذئب، بل هو من اللامعقول، فاستدل به الخطيب كشاهد قوي؛ ليؤكد من خلاله فعله الكلامي.

لأن« الشرط المعد لجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي»[2] ، وكما يظهر فإن الخطيب يقدم وصفا للبلاهة والبلادة بجعلهما مماثلة لمحالفة الضعيف للقوي، ونلاحظ أن اتجاه المطابقة كان من

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص70.

[2] –Searle ,j . and d.Vandervcken :Foundafionsof Illocutionary Logic Cambridge University – Press, 1985. P 54

نقلا عن: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص30.

الكلمات إلى العالم؛ ذلك أن الخطيب قام بإنكار أن يكون هناك مثال أوضح من محالفة الضعيف للقوي في فعل قوله، وبذلك يكون قد أنشأ فعلا كلاميا مطابقا للعالم، ففعلا من يحالف القوي من الضعفاء لا بد أن تكون جينات البلاهة والبلادة عالية عنده ولايجني إلا خيبة الأمل وهذا واقع معاش.

ومن الأكيد أننا « عندما نهتم بالمنطوقات التقريرية فإننا نميل حقا إلى التركيز على جانب القضية أكثر من التركيز على القوة الغرضية؛ لأن القضية تستلزم التطابق مع الوقائع»[1]، وهذا ما كان في مطابقة المحتوى القضوي للخطيب مع الواقع؛ مما يجعل المتلقي يهتم بمضمون هذا المحتوى؛ ليرصد الواقع من خلاله، ومن المتوقع – بل من الأكيد – أن التأثير في المستمع، يكون قد وجد له سبيلا في ذهن المتلقي، فالفعل الإخباري لم يكن فعلا عارضا، لخبر عابر؛ وإنما مماثلته البلاهة بمحالفة الضعيف للقوي وإيراده الاستثناء اللامعقول، جعل الفعل الكلامي أكثر شدا للانتباه وأقوى تأثيرا.

أما مسألة الإخلاص فإنها تكمن في الحالة النفسية الخالصة من حيث الاعتقاد الجازم بما يخبر به البشير الإبراهيمي.

يتم التمثيل بمعادلة على النحو التالي:

دليل تداولي= (دليل القوة الإنجازية= لا مثال)+ محتوى قضوي (بلاهة محالفة الضعيف للقوي)= تحقق شرط الإخلاص باعتقاد الشيخ البشير الإبراهيمي+(تحقق المطابقة من الكلمات إلى العالم)= فعل تقريري مباشر، غرضه الإنجازي إثبات بلاهة وبلادة محالفة الضعفاء للأقوياء.

النموذج الثالث:

«نشأت العلوم الإسلامية في ظروف متفاوتة وفي أمم متفاوتة يجمعها الإسلام» [2] .

[1] – صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، ص 220.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص47 .

تحليل النموذج:

من المعلوم أن الخبر يكون مباشرا متى جرى استخدامه على أصل استعماله الذي يعد الجانب الإنجازي الأبرز فيه هو إلقاء الخبر؛ فإذا كانت الجملة خبرية لفظا، إنجازية معنى، فهي إنجاز مباشر؛ أي أن يكون الفعل الإنجازي خبريا من حيث اللفظ، إنجازيا من حيث المعنى، فمتى عبر عن معنى آخر خرج من الصورة المباشرة إلى أخرى غيرمباشرة[1].

وأخذا بهذا القول فإن المثال السابق والذي كان ضمن خطبة تأبين الشيخ لمحمد بن شنب* في العاصمة في1929م بحضور أسرة المفكرين والكتاب؛ يتكون الفعل الكلامي الإخباري فيه من معنى صريح، يحوي محتوا قضوي (نشأة العلوم الإسلامية)، وقوة إنجازية مباشرة، تتمثل في الإخبار، وبطبيعة الحال فإننا نلاحظ في هذا الفعل الكلامي أن الشيخ البشير الإبراهيمي، أورده على أصل استعماله، واعتمد الخطيب على الفعل الماضي الدال على الحركة، والذي يفيد التقرير، وقد قدم البشير الإبراهيمي وصفا لنشأة العلوم الإسلامية في ظروف متفاوتة وفي أمم متفاوتة مخبرا أن الإسلام يجمعها، هذا الوصف للعالم الخارجي صوّر واقع نشأة العلوم الإسلامية، من هذه الناحية يتبدى لنا اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم؛ حيث إن قراءة في قول البشير الإبراهيمي، ثم تتبع حيثيات نشأة العلوم الإسلامية، تجعلنا نلاحظ وجود ملاءمة بينة بينهما؛ مما يحقق شرط التطابق في الفعل الكلامي الإخباري.

إن نقل الخطيب للخبر، تأسس على علمه بالظروف التي طبعت كرونولوجية نشأة العلوم الإسلامية، وطبيعة الاختلاف العرقي للأمة الإسلامية؛ مما أضفى طابع الصدق في

---

[1] – ينظر: علي محمود حجي الصراف – الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة – ص 110 .

*محمد بن أبي شنب(1869– 1929م): من أبناء المدية ومن الجزائريين القلائل اللذين تحصلوا على الدكتوراة، معروف بإجادته لعدد من اللغات، من الكراغلة، مما أنتجه: تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، ودراسته حول بقايا الألفاظ التركية والفارسية في الجزائر، كما قام بتحقيق التراث، وهو أول من حضر مؤتمرات المستشرقين ودخل المجامع اللغوية، للاستزادة ينظر: أبوالقاسم سعد الله، أبجاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 1996.

فعله الكلامي؛ فنفسية الخطيب تتمتع من خلال كل هذا، باعتقاد متجذر لحقيقة فعله الكلامي الواصف لنشأة العلوم الإسلامية، تحمله أعماق البنية السيكولوجية للخطيب؛ لتطفو الاعتقادات في شكل محتوى قضوي ذو قوة إخبارية صريحة.

يترتب عما تم عرضه التمثيل بالمعادلة التالية:

الدليل التداولي=(دليل القوة الإنجازية= نشأة العلوم الإسلامية، ظروف متفاوتة، أمم متفاوتة، يجمعها الإسلام)+ محتوى قضوي (نشأة العلوم الإسلامية)= تحقق شرط الإخلاص وهو صدق اعتقاد الشيخ البشير الإبراهيمي+(تحقق المطابقة من الكلمات إلى العالم)= فعل تقريري مباشر، غرضه الإنجازي وصف نشأة العلوم الإسلامية.

ثانيا – التوجيهيات Directives:

وتسمى كذلك الطلبيات والأمريات، ويعرفها سيرل في كتابه العقل واللغة والمجتمع بأنها « محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى الخبري للتوجيه. وتتوفر النماذج على التوجيهات في الأوامر والنواهي والطلبات، واتجاه الملاءمة هو دائما من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق النفسي المعبرعنه هو دائما الرغبة، كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به، والتوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات لايمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن يمكن أن تطاع أو تهمل، أو تخضع لها أو تستنكر...إلخ».[1]

ويذكر الشهري سببين باعثين لتبني المرسل الأفعال التوجيهية وهما على حدّ رأيه:

- « إما أن يكون فعل المرسل قد وقع في الزمن الفعل الماضي ويستدعي نقده، أو الاعتراض عليه؛ فيكون الفعل السابق هو علة الاعتراض، وبالتالي فهو الدافع للتوجيه إلى فعل في المستقبل؛ ليكون التوجيه تعديلا لسلوك المرسل إليه، وبالتالي عدولا عن ذلك الفعل إلى قصد المرسل الواضح في الخطاب .

[1] – جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع – الفلسفة في العالم الواقعي – ص 218.

- وإما أن لا يكون الخطاب بسبب فعل وقع في الماضي، بل يريد المرسل فعلا يقع في الزمن المستقبل فقط، وينشأ تحقيق هدفه بإنجاز التوجيه»[1].

1. التوجيه بالأمر:

- **الأمر**: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وله أربع صيغ: فعل الأمر، المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر[2].

وهو « في عرف البلاغيين والنحاة طلب لإيقاع الفعل وإيجاده، وهو نقيض للنهي يكون استعماله على وجه الاستعلاء كي ينبئ عن الفعل المعبر عنه والمستدعي له»[3].

وفيما يخص الدراسات الحديثة فقد « جعل بعض العلماء المتقدمين الأمر قسما مستقلا من أقسام الكلام، كما صنفه كثير من المحدثين على أنه جزء من الأفعال التوجيهية ومنهم (سيرل وباخ Bach، وبراون Brown، وليفنسون Lev inson)، وتفاوتت تعريفات الأمر؛ بالنظر إلى أكثر من عنصر، مثل دلالة بعض أدواته، أو اعتبار القرائن الأخرى بما فيها رتبة المرسل، وتناولوا كيف يعد الخطاب أمرا، وكيف يخرج عن ذلك إلى مقاصد أخرى وشروط إجرائه على أصله، وشروط خروج دلالته عن ذلك الأصل، ويعود سبب ذلك الاختلاف والتعدد إلى تعدد الخلفيات الثقافية التي تقف وراء كل من يتناول الأمر بالتعريف أو بالتحديد»[4].

وعليه، فليست المسألة لغوية فقط، ولكنها لغوية تداولية، فليس الوضع اللغوي هو المعيار، بل لابد أن تعضده مرتبة المرسل؛ لأنها هي التي تحول دلالة الصياغة من الأمر إلى غيره[5]،« فهناك عدة عناصر تتضافر في توجيه دلالة الأمر لغوية وسياقية، ومن العناصر المؤكدة لحدوث الأمر عنصر الإمكان، فالقيام بالفعل المأمور به في قدرة المتلقي

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 339 .

[2] – ينظر: بلخير أرفيس، في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب – ص 81 .

[3] – باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص151.

[4] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص 340 .

[5] – ينظر: المرجع نفسه – ص342 .

وبعد زمن النطق بالأمر»[1]، وبهذا يبدو أن التوجيه باستعمال صيغة الأمر ليس تابعا للمواضعة اللغوية فقط، وإنما المعول عليه هو اتفاقها مع سلطة المرسل، بشرط أن لا تتعارض مع سلطة أعلى من سلطته، وفي المقابل قدرة المتلقي على القيام بما أمر.

وقد وقع اختيارنا في المدونة على النماذج التالية، كأمثلة رصدنا فيها ورود الأمر وهي كالآتي:

النموذج الأول:

«وطهرّوا أنفسكم وعقولكم من هذه العقائد الباطلة الرائجة بين المسلمين اليوم» [2].

تحليل النموذج:

وجه البشير الإبراهيمي في خطبته التي ألقاها بمناسبة عيد الأضحى في سنة 1939أو1940م، هذا الفعل الكلامي المباشر، المشتمل على محتوى قضوي (العقائد الباطلة الرائجة بين المسلمين)، وقوة إنجازية حرفية، وهي الأمر بصيغة (افعل)؛ فالمتلقي ليس في حاجة إلى أن يمعن فكره بأن يستنتج مقولات الخطيب؛ لأن الفعل الكلامي المباشر الصريح، كفل توضيح المعنى دون اللجوء إلى رصد الخلفية الكامنة وراء الكلمات، والمراهنة على نجاح الفعل الكلامي راجعة للسياق الخاص بالمتكلم، الذي خول له اتخاذ الأمر قوة إنجازية خيارا لعرض قضيته، ففي التداولية « يرتبط مقصد المتكلم بالسياق، يوضح السياق ما يفعله المتكلم على نحو أفضل أي إن كان يريد بمنطوقه التهديد أو التحذير أو نحوهما»[3] بحيث إن أمر الخطيب بتطهير الأنفس والعقول من العقائد الباطلة واضح لا غبار عليه فالقوة الإنجازية بقيت محافظة على الفعل التوجيهي" الأمر"،« طالما جرى استخدامها على أصل استعمالها دون أن يصيبها تغيير بسبب تدخل عناصر سياقية معينة»[4]، وبطبيعة

[1] – علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص112.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،ج 1، ص 406.

[3] – محمد العبد، ، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، مصر،2014، ص 223.

[4]– علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 108 .

الحال فإن تضافر الصيغة، ومساندة السياق عامل داعم لمحافظة فعل الأمر على عدم انزياحه لفعل آخر.

والقول بمطابقة العالم للكلمات، أو التغيير المنشود في ذهن الخطيب إزاء عالم المخاطبين مستقبلا، قول فيه إنصاف للشيخ؛ فلا معنى لطلب الشيخ البشير الإبراهيمي لولا أنه كان على دراية بحدسه النافذ، أن المتلقي سيذعن للأمر ويستجيب.

ومن نافلة القول، أن الرغبة في تحقيق الفعل كان ديدن الخطيب في كل خطبه، فهو يتطلع فعلا في أن يقوم المخاطبون بتطهير أنفسهم، وعقولهم من الأباطيل التي لحقت بعقيدة الإسلام.

يجري التمثيل لما سبق وفق المعادلة التالية:

الدليل التداولي:(دليل القوة الإنجازية= طهروا) + محتوى قضوي (العقائد الباطلة الرائجة بين المسلمين)= تحقق شرط الإخلاص برغبة الشيخ البشير الإبراهيمي+ تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات = فعل توجيهي حرفي مباشر، غرضه الإنجازي حمل المخاطبين على تطهير أنفسهم وعقولهم من العقائد الباطلة الرائجة بين المسلمين.

النموذج الثاني:

«فاحرصوا، رحمكم الله، على أن تكون لحياتكم قيمة» [1] .

تحليل النموذج:

يشتمل هذا المثال الذي ذكره الإمام في خطبته التي ألقاها في جامع قرية "رأس الوادي" في أول جمعة أقيمت فيه سنة 1930م، على فعل كلامي توجيهي طلبي مباشر تتكون معانيه الصريحة من محتوى قضوي (قيمة حياة المخاطبين) وقوة إنجازية حرفية تتمثل في الأمر بصيغة (افعل)؛ وذلك من حيث إن منزلة الخطيب اقتضت ذلك؛ نظرا للسلطة العلمية الدينية التي يتمتع بها الشيخ البشير الإبراهيمي، والتي منحته شرط الاستعلاء؛ مما يعني أن

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص65.

الفعل الإنجازي في الأمر يتحقق من خلال إتيانه على أصل استعماله، وعلى هذا فإن الفعل الكلامي التوجيهي جاء محققا للقواعد اللسانية والتداولية المطلوبة التي بمقتضاها يبقى فعل الأمر محافظا على قوته الإنجازية الأصلية؛ حيث ينبغي «أن يكون الفعل تاما ودالا بصيغته المستعملة على الأمر أو بالأداة "اللام الجازمة"، وأما القواعد التداولية فترتبط بوضعية كل من المتكلم والسامع، إذ لابد لتحقيق الفعل الإنجازي الأمري من" شرط الاستعلاء" بالنسبة للمتكلم؛ كي يحقق غرضه الإنجازي من فعل الأمر»[1] .

وبهذا فإن فعل الأمر قد حافظ بموجبه على دلالته الأصلية، وقد أراد الخطيب أن يحدث تغييرا في العالم بواسطة فعله الكلامي؛ فجاء الفعل توجيهيا، ينتظر من خلاله الشيخ تنفيذا من قبل المتلقي؛ فيحدث بذلك التغيير المرجو؛ ليتطابق العالم مع كلمات الشيخ، وذلك بحرص المصلين على أن تكون لحياتهم قيمة كما طلب الخطيب، وهذا هو التأثير المطلوب في المتلقي، وشرط الإخلاص تشكل من خلال رغبة البشير الإبراهيمي في أن يقوم المخاطبون – فعلا– بإنجاز فعل الأمر.

يتم اللجوء للمعادلة التالية لعرض ما تقدم:

الدليل التداولي =(دليل القوة الإنجازية= احرصوا)+ محتوى قضوي (قيمة حياة المخاطبين)= تحقق شرط الإخلاص وهو رغبة الشيخ البشير الإبراهيمي+(تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات)= فعل توجيهي حرفي مباشر، غرضه الإنجازي حمل المخاطبين على أن يجعلوا لحياتهم قيمة.

النموذج الثالث:

«فاحمدوا الله تعالى على الهداية» [2].

تحليل النموذج:

[1] – باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص152.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص64.

يطلب البشير الإبراهيمي من المخاطبين في نفس سياق المثال السابق، أن يحمدوا الله على الهداية، بفعله الكلامي الذي يظهر فيه المحتوى القضوي(حمد الله على الهداية) ويحمل قوة إنجازية هي (الأمر على وزن افعل) والواقع أن دلائل مطابقة العالم للكلمات ستكون واضحة كاستجابة من المتلقي لأمر البشير الإبراهيمي الظاهر في عبارات الخطيب وذلك مما يحمل المخاطب على القيام بالحمد؛ وبالتالي فإن فعله يلائم الواقع، ويكون العالم مطابقا للكلمات التي أصدرها الخطيب، فمن المهم بمكان أن يتحقق هذا الشرط حتى يكون الفعل الكلامي ناجحا.

« إن فكرة اتجاهات المطابقة بين القول والعالم تمثل الأساس المهم في فهم الغرض المتضمن في القول؛ حيث يقرر كل من سيرل وفاندرفكن (Daniel Vanderveken) أن جزءا جوهريا من الغرض المتضمن في القول في كل حالة هو تحقيق اتجاه المطابقة من جهات مختلفة»[1].

ومما يحسن قوله: إن شرط الإخلاص واقع لا محال؛ ذلك أن الشخصية المتلفظة بالكلام الخطبي لا يمكن إلا أن تكون حاملة لرغبة إنجاز الفعل؛ باعتبار المرجعية الدينية والمرجعية العلمية التي يتمتع بها الشيخ البشير الإبراهيمي، وحتى التفكير في ما ناقض ذلك، يعد خرقا للبديهيات الاخلاقية التي ينأى بها الشيخ عن كل ما يشوشها، ويعكر صفو مصداقيتها، وبالتالي كان الفعل مباشرا، أما غرضه الإنجازي فهو محاولة الشيخ البشير الإبراهيمي التأثير في المتلقي وحمله على حمد الله.

يعرض الفعل الكلامي وفق المعادلة التالية:

[1] -Searle ,j . and d.Vandervcken :Foundafionsof Illocutionary Logic Cambridge University Press, 1985. P 93.

نقلا عن: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة الغربيين والبلاغيين العرب ص120

الدليل التداولي=(احمدوا) +محتوى قضوي (حمد الله على الهداية) + تحقق شرط الإخلاص+ تحقق شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات= فعل إنجازي حرفي مباشر يتمثل غرضه الإنجازي في دعوة المخاطبين إلى حمد الله.

2. التوجيه بالاستفهام:

- **الاستفهام:** وهو« طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل»[1].

وبالتعبير التداولي الحديث، فالاستفهام فعل كلامي إنجازي مباشر، إذا ورد بحسب أصل استعماله، ويمكن اختصار آليات إجراء الاستفهام على أصله في شروط ثلاثة:

- **عنصر الزمان:** فيكون الاستفهام في المستقبل.
- **عنصر الإمكان:** أن يكون في إمكان المسؤول الإجابة عن استفهام السائل.
- **عنصر الإرادة:** أن يريد المستفهم حقيقة الاستفهام، ويكون أمر المستفهم عنه يعنيه.

فإذا تم استيفاء هذه الشروط يتحقق إنجاز الفعل الكلامي منه بصيغته الإنجازية المباشرة ويسمى استفهاما حقيقيا، ويصنف بحسب أوستين، وسيرل، في خانة التوجيهيات أما إذا تولدت عنه أغراض تواصلية أخرى أثناء خروجه عن أصل الاستعمال، فيصنف بحسب دلالاته الإنجازية الجديدة[2]، لكن في الأصل« يعد استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها ومن ثم، فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب اتجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون. وتعد الأسئلة خصوصا الأسئلة المغلقة من أهم الأدوات اللغوية لإستراتيجية التوجيه»[3]، والشرط الأساسي في تحقق الاستفهام المباشر، هو عدم الخروج عن المعنى الحقيقي للاستفهام إلى معنى آخر محوّل عنه. ويمكن تقديم بعض النماذج من الخطب، وذلك كما يلي:

---

[1] – بلخير أرفيس – في تداوليات الخطاب دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب – ص 85 .

[2] – ينظر: باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص 149–150 .

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص352.

النموذج الأول:

«ومتى رأينا مستشرقا بلغ في العربية وفهم أسرارها ودقائقها ومجازاتها وكناياتها ومضارب أمثالها ما يبلغه العربي في ذلك كله؟» [1].

تحليل النموذج:

يتشكل فعل الاستفهام الذي أورده الخطيب في حفل تنصيب الأعضاء الجدد لمجمع اللغة العربية في القاهرة يوم 12مارس 1962م، من معنى حرفي مباشر، ينقسم إلى محتوى قضوي (فهم المستشرق للغة العربية مقارنة مع أهل العربية)، وقوة إنجازية هي الاستفهام المؤشر له بالأداة "هل" إلا أن فعل الاستفهام يتجه نحو حمل معنى آخر غير مباشر نستدل على الخرق من خلال إدراك الخطيب لعدم بلوغ المستشرقين لمستوى أهل العربية ناهيك عن أن المخاطبين أعضاء المجمع على دراية تامة بأن المستشرقين لا يمكنهم بلوغ ذلك، إذن هذا الخرق المزدوج الذي أصدره الخطيب أصالة عن نفسه، وعن المخاطبين أشّر لخروج الاستفهام الحقيقي عن معناه المعتاد، وانزياحه نحو معنى غير مباشر، وهو نفي القضية نحو(ما رأينا مستشرقا بلغ في العربية وفهم أسرارها ودقائقها ومجازاتها وكناياتها ومضارب أمثالها ما يبلغه العربي في ذلك كله)، ومن المناسب القول: إن القدرة على فك شفرات الفعل غير المباشر كامنة من حيث إنه « لا يكفي وجود بعض الشروط فقط في المرسل، بل لابد أن يكون المرسل إليه قادرا على فهم القصد ولن يتحقق ذلك ما لم يشارك المرسل في الأبعاد الثقافية والاجتماعية وبالقدر نفسه» [2]، وبإسقاط على فعل كلام الخطيب، المعرفي المتمثل في معرفة المخاطبين بالثقافة العربية الاستشراقية، قد ساعدهم على المرور إلى فهم الفعل غير المصرح به، على أنه نفي، وليس استفهاما؛ لأن المخزون الثقافي لدى المخاطب لا يستوعب بأي وجه كان المقارنة بين اللغة عند المستشرقين، وأهل اللغة العربية فما بالك بتقبل سؤال الخطيب حول رؤية المستشرقين، وقد ضاهوا علماء العربية؛ فكانت

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 293.

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص 379.

بذلك المعرفة الخلفية عاملا مفككا للفعل الكلامي نتج عنه الاستغناء عن البنية الصريحة والولوج إلى البنية المتخفية وراءها.

ومن الكلمات إلى العالم نلاحظ أن الخطيب قد استطاع أن يصف ما هو خارج؛ حيث تلاءم وصفه بالكلمات مع حالة المستشرقين اتجاه اللغة العربية مقارنة مع العرب أنفسهم فهو يصف الخارج بواسطة الكلمات فجاءت كلماته مطابقة العالم.

وشرط الاعتقاد مستوفى فقول البشير الابراهيمي نابع من حالة سيكولوجية قائمة على الإيمان بعدم قدرة المستشرقين على مجاراة أبناء العربية في لغتهم، يمكن التمثيل لما سبق في المعادلة التالية:

الدليل التداولي= (دليل القوة إنجازية متى) + محتوى قضوي (مدى فهم المستشرق للغة العربية مقارنة مع أهل العربية) + تحقق شرط الإخلاص+ تحقق شرط المطابقة من الكلمات إلى العالم = فعل إنجازي غير مباشر، يتمثل غرضه الإنجازي إثبات عدم مضاهاة المستشرقين للأبناء العربية.

النموذج الثاني:

«متى كانت هذه الأمة مجتمعة حتى يقول قائل أن الجمعية فرقتها؟ وأنّى لها أن تجتمع وأن أمامها في كل طريق ناعقا ينعق باسم طريق وداعيا يدعو إلى التفريق؟

بل كيف تجتمع وللشيوخ فيها ما للذئاب الضارية في قطيع الغنم؟ أم كيف تجتمع والشيوخ قد قسموها مناطق نفوذ، وأحاط كل شيخ رعيته بأسوار منيعة من الترغيب والترهيب؟»[1].

تحليل النموذج:

يحمل هذا المقتطف – من الخطبة التي ارتجلها الشيخ في الاجتماع العام للجمعية– أوت 1934م، متوالية من الأفعال الكلامية التوجيهية التي أوردها الخطيب، والظاهر أنها ذات حمولة دلالية واحدة وهي (عدم اجتماع الأمة)، وقوة إنجازية تتمثل بالاستفهام بالأدوات

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص139.

(متى، أنّى، كيف) ولا يقصد البشير الإبراهيمي هنا الاستفهام في حد ذاته، ففي الاستفهامات خروج من المعنى الحقيقي المتمثل في الاستفهام، إلى معنى غير مباشر، وهو النفي والاستبعاد، والتعجب؛ حيث عدل عن النفي وما يشوبه، كفعل إنجازي مباشر إخباري إلى التعبير بواسطة الاستفهام؛ ليصل إلى معنى غير مباشر، يتمثل في النفي المشوب بالتعجب والاستبعاد.

والاستفهام عن الاجتماع جاء في مقام لا يسمح فيه للأمة بحصوله، وهو ما ذكره الخطيب من أسباب؛ حيث إن السياق اللغوي اللاحق للفعل الكلامي شكل استدلالا على خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، وقد أكدت **ردة الله الطلحي** ب« أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل)، أو يجعل منه وجها استدلاليا »[1]؛ لذلك فمن البديهي أن الاستفهام في غير محله؛ لأن المقام السائد تبعا للفكر المتردي لأصحاب التوجه المضلل يمنع اجتماع الأمة.

فكيف يسأل البشير الإبراهيمي عن زمان، ومكان وكيفية الاجتماع، والأحوال تمنع ذلك وهو مدرك للواقع، هذا جعل هناك معنى آخر ناسب المقام، وهو النفي والتعجب، وبالتالي هو المعنى غير المباشر الذي يتوقع البشير الإبراهيمي من المخاطب من حاضري الاجتماع الوصول إليه.

أما عن اتجاه المطابقة؛ فإنه من الكلمات إلى العالم؛ ما يعني أن تعجب، ونفي اجتماع الأمة من قبل الخطيب يستلزم أن التطابق بين كلماته، والواقع أمر أكيد، فوصف البشير الإبراهيمي لما هو كائن جاءت كلماته مقرة لما هو في العالم الخارجي.

أما عن شرط الإخلاص؛ فإن نية الخطيب صادقة في فعله التوجيهي، من حيث إن المتكلم قد تلبست اعتقاداته النافية والمتعجبة من اجتماع الأمة مع قوله غير المباشر.

[1] – ردة الله الطلحي، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة، السعودية، ط 1، 2003 ، ص51.

إذن سيكون العرض التالي للمعادلة:

الدليل التداولي=(دليل القوة الإنجازية= متى، أنّى، كيف)+ محتوى قضوي (اجتماع الأمة)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+ تحقق شرط الإخلاص + تحقق المطابقة من الكلمات إلى العالم = فعل غير مباشر، غرضه الإنجازي إثبات أن الجمعية ليست سببا في تفرق الأمة.

النموذج الثالث:

«إن رحمة الأرض آتية من السماء، وقد جاءت أديان السماء فعلّمت الفقير كيف يرضى ويصبر، وعلمت الغني كيف يحسن ويرحم، فلماذا لا يرجع بنو الأرض إلى حكم السماء ورحمته؟» [1].

تحليل النموذج:

يقوم الفعل الكلامي الاستفهام على معنى حرفي، يتشكل من قوة إنجازية، وهي الاستفهام بالأداة (لماذا)، ومحتوا قضوي وهو (رجوع بنو الأرض إلى حكم السماء)، لكن الحاصل أن هذا الاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى مستلزم مقاميا، وهذا راجع للإخلال الواقع في شروط تحقيق الفعل الكلامي، الظاهر في عدم قدرة المتلقي من الرد على استفهام البشير الإبراهيمي؛ لأن المقام الذي يجري فيه الملفوظ هو الخطبة التي ختم بها البشير الإبراهيمي حفل تكريم الأستاذ ابن باديس في كلية الشعب سنة 1938م؛ مما يجعل المتلقي من حاضري التكريم متحفظ عن الإجابة، والخطيب عارف بسقوط عنصر الإمكان وعالم بالأسباب التي جعلت، وتجعل بني الأرض لا يرجعون إلى حكم السماء، وهذا عائد للخلفية المعرفية التي تستند عليها شخصية الخطيب، هذا ما أحدث خرقا لشروط حصول الاستفهام على وجهه الحقيقي، وعلى أصل استعماله؛ فأصبح بذلك استفهاما عارضا، يخفي وراءه فعلا كلاميا أوليا،« وعلى أية حال لقد ذكر السكاكي بأن الطلب بأنواعه يخرج عن

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص364.

المعنى الأصلي إلى المعنى المقامي حين (...) بيان كيفية انتقال المعنى من الاستفهام – وهو المعنى الأصلي– إلى معان مقامية، وأكثر من الأمثلة بحيث أصبح ما يريده شديد الوضوح، وهو يدرك أن المقام قد يمنع إجراء الاستفهام على أصله فيقتضي المقام أن يتولد عنه تركيب آخر في البنية الباطنة»[1] فقد توسل الخطيب بالاستفهام؛ لتحقيق وإيصال فعل آخر غير مباشر، متمثل في اللوم والعتاب؛ لأن عرضه في ثوب الاستفهام يكون أكثر تأثيرا في المخاطبين، وإشراكا لهم في استجلاء المعنى، وهذا ما راعاه الخطيب في فعله الكلامي الاستفهامي.

أما عن المطابقة فإنها من العالم إلى الكلمات؛ حيث إننا نلاحظ أن الخطيب أحدث تغييرا في العالم، من خلال إيصال العتاب إلى المتلقي؛ فتتكون فكرة عنه في ذهن المخاطب؛ أي إنه في هذا المثال، يستوعب الصورة السلبية لعدم احتكام الناس للحكم السّماوي؛ بمعنى حدوث تأثير في ذهن المخاطب، وهذا نابع من رغبة الخطيب في تحقيق الفعل الكلامي غير المباشر من خلال طرحه له، وتوجيه ذهن المخاطب إلى العتاب واللوم.

إذن عرض المعادلة، يكون كما يلي:

الدليل التداولي= (دليل القوة الإنجازية= لماذا)+ محتوى قضوي (رجوع بنو الأرض إلى حكم السماء)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+ (تحقق شرط الإخلاص+تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات) = فعل غير مباشر، غرضه الإنجازي لوم وعتاب الناس على عدم رجوعهم إلى حكم السماء.

[1] – أحمد محمود نحلة، آفاق البحث اللغوي، ص 114.

3. التوجيه بالنهي:

- **النهي:** وهو« عكس الأمر إذ هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وله صيغة واحدة، وهي صيغة المضارع مع لا الناهية، كقوله تعالى:﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[1]» [2].

كما أنه قد « يحصل للنهي ما يحصل للأمر، وذلك وفق مستويين

- الأول: طبيعة العلاقة بين المتخاطبين.
- الثاني: طبيعة المحتوى القضوي»[3].

وقد نبه المبرد(ت285هـ) إلى القرابة بين النهي والأمر بقوله:« واعلم أن الطلب من النهي بمنزلته من الأمر، يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر، ألا ترى أنك لا تقول: نهيت من فوقي ولكن طلبت إليه، وذلك قولك: لا يقطع الله يد فلان، ولا يصنع الله لعمرو فالمخرج واحد والمعنى مختلف»[4].

من الواضح أن هناك ما بين النهي والأمر توأمة من ناحية الشروط التي تستوفي وقوعهما على أصل الاستعمال؛ فجميع الشروط مختزلة في عدة واحدة، ما استدعى بالضرورة أن خروج كليهما عن ذلك، يكون بنفس العلل وصولا إلى نفس النتائج، والفارق يبقى في الحمل أو الترك، « وبمنظور سيرل؛ فإن النهي فعل كلامي إنجازي ينتمي لصنف التوجيهيات، وصيغته "لا تفعل"، ويكون فعلا كلاميا إنجازيا مباشرا إذا ورد بحسب أصل الاستعمال (صيغته والاستعلاء والزمن)؛ فإن اختل أحد الشروط، تولّد عن النهي أفعال كلامية غير مباشرة تنجز من خلال صيغة النهي لتأدية أغراض تواصلية مختلفة كالدعاء

---

[1] – سورة الأعراف، الآية 55.

[2] – بلخير أرفيس، في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب، ص84.

[3] – المرجع نفسه، ص 84 .

[4] – محمد بن يزيد (أبو العباس المبرد)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط1، ج2 ، 1994، ص 133.

والالتماس والتهديد والخبر ويوضح هذه الأغراض سياق الاستعمال»[1].

يأخذ الخطيب على عاتقه نهي المخاطبين عما يسوء حالهم؛ لذلك فقد توافرت في الخطب نماذج نأخذ منها الآتي:

النموذج الأول:

«ولا تقدموا على أمر فيه هلاككم وهلاك إخوانكم» [2].

تحليل النموذج:

يشتمل القول الوارد في كلمة الشيخ للّيبيّين التي ألقاها في إذاعة صوت العرب بالقاهرة سنة 1953م، على فعل كلام توجيهي، يقوم على معنى حرفي صريح مباشر، يتكون من محتوى قضوي (الأمر المهلك للأمة)، وقوة إنجازية حرفية وهي النهي، هذا البيان وهذا الوضوح في فعل الكلام استوقف ذهن المخاطب عند عتبة المعنى البسيط، والابتعاد عن التعقيدات في البحث عمّا وراء الكلمات؛ لأنه « يفترض في الفعل الإنجازي المباشر أن لا يكون بحاجة إلى تبيين لأي معنى إضافي، فهو يقدم ملفوظا واضحا لا يحتمل التأويل ولا يقصده، وهذه الخصيصة تتبع من المباشرة التي بها سمي الفعل بالإنجازي المباشر » [3] وهكذا ينتهي المتلقي إلى المعنى الأصيل الذي ساعدت شروط تحقيق فعل النهي على الوصول إليه والحفاظ على بعده الوضعي، فشرط منزلة الرتبة مستوفى من قبيل السلطة الدينية، وشرط الإمكان موجود باعتبار أن المخاطبين المستمعين بمقدرتهم الابتعاد عما يهلكهم، ووقوع الفعل المنتظر هذا، يستدعي أنه أحدث أثرا في المتلقي، وهو غاية وتطلع البشير الإبراهيمي، وإذ ذاك؛ فإن المطابقة من العالم إلى الكلمات باتت أمرا واقعا.

إن نفسية البشير الإبراهيمي حاملة لرغبة جامحة في أن يكف اللّيبيون عن الإقدام عن أمر فيه هلاكهم، هذا يضفي على فعله الكلامي طابع الإخلاص، ويستوفي الشرط المطلوب

---

[1] – باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 154.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،ج 4، ص 240.

[3] – علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 98 .

لنجاح الفعل الكلامي.

التحليل السابق توضحه المعادلة التالية:

الدليل التداولي: (دليل القوة الإنجازية = لا تقدموا)+ محتوى قضوي (الأمر المهلك للأمة)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+(تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات)= فعل حرفي مباشر، غرضه حمل المخاطبين على الكف عن الإقدام على أمر فيه هلاكهم.

النموذج الثاني:

«ولا تقطعوا أوقاتكم في السفاسف والصغائر» [1].

تحليل النموذج:

نرصد في الفعل الكلامي الشيخ في سياق خطبته التي ألقاها يوم صلاة الجمعة الأولى بمسجد كتشاوة بالعاصمة في 2 نوفمبر1962م، فعلا إنجازيا توجيهيا يتضمن محتوى قضويا (قطع الأوقات في سفاسف الأمور وصغائرها)، قوته الإنجازية تتمثل في النهي، فالبشير الإبراهيمي ينهى المخاطبين عن تضييع أوقاتهم، والغرض الإنجازي للفعل الكلامي التوجيهي هو حمل المخاطب على الكف عن تضييع الوقت، والملاحظ أن الفعل أنجزه الخطيب في صورة حرفية مباشرة؛ حيث إن المعنى يصل للمتقي من جمهور المصلين دون أن يتجه ذهنه للتفكير في خلفيات الكلام، و ذلك – طبعا– لإنجاز الخطيب له على أصل استعمال النهي، وهو"الاستعلاء" وتوفر شرط عنصر الإمكان؛ أي قدرة المخاطبين على إنجاز الفعل محل النهي؛ حيث إن الفعل الإنجازي" لا تقطعوا " ورد بحسب أصل الاستعمال، كما تم توضيح شروطه مسبقا مما ساعد على إنجاح الفعل التوجيهي والحفاظ على قوته الإنجازية الأصلية، وجعل المخاطبين يقومون بالكف عن قطع أوقاتهم في السفاسف، والصغائر في المستقبل، وهو الجانب التأثيري المراد تحقيقه، وبخصوص الحالة النفسية التي تعتري البشير

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، ص 308 .

الإبراهيمي أثناء تلفظه بالفعل الكلامي–ولا شك– هي الرغبة في أن يستجيب المتلقي فعلا لطلبه ويحقق بالتالي طموح المخاطب، هذا ما جعل شرط الإخلاص يتحقق، وبطبيعة الحال، تحقق طموحه في كف المتلقي عن تضييع الوقت، وهو ما دأب عليه الشيخ من أجل إحداث تغيير في العالم الخارجي؛ فيكون اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات حاصل لا محال.

نتوجه للتشكيل المعادلاتي:

دليل تداولي=(دليل القوة الإنجازية= لا تقطعوا)+ محتوى قضوي (قطع الأوقات في سفاسف الأمور وصغائرها)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+ تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات= فعل مباشر، غرضه الإنجازي جعل المخاطبين يقلعون عن تضييع أوقاتهم في سفاسف الأمور وصغائرها.

النموذج الثالث:

«فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه» [1].

تحليل النموذج:

ينطوي هذا الفعل الكلامي الصادر هو الآخر في السياق السابق تحت تصنيف التوجيهيات، أما غرضه الفرعي فهو النهي، الذي كما يبدو أنه فعل طلبي حقيقي، لم يخرق شروطه التي تحافظ على كينونته الأصلية، خاصة ما تعلق بالموقع السلطوي للخطيب الضامن الأكثر ورودا، ومصداقية في تحقيق إنجاز الفعل وفق خصوصيته في أصل الاستعمال، والتأثير إثره على المتلقي.

نرصد أن الفعل مثلما حمل دلالته الأصلية؛ فقد حمل أيضا حمولة دلالية صريحة مباشرة، استدعت أن يتكون من محتوى قضوي، تمثلت قضيته في (اضطرار التعامل مع

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5 ، ص 307 .

المستعمر)، وقوة إنجازية هي النهي، « فهناك إذن اتفاق بين مستوى مقتضى الظاهر والفعل المتضمن في القول من جهة دلالتهما على الأفعال الكلامية الانجازية المباشرة »[1].

وحري بنا القول: إن فاعلية الأثر الملقى على عاتق المتلقي، من عدم التعاون مع الاستعمار إلا ما كان اضطرارا، كان من مسؤولية الخطيب، ففي إحداث هذا الفعل وإنجازه مستقبلا؛ مزية تقرن بين تجليات التأثير في المخاطب، ومدى التغيير الذي أحدثه الخطيب في العالم الخارجي، من هنا يمكننا ملاحظة اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، أسهمت في ذلك رغبة تسكن نفسية الخطيب إزاء إنجاز الفعل، بعدم تعامل المخاطبين مع الاستعمار إلا في ما ندر، بمعنى أن استيفاء الإخلاص حاضر في فعل الكلام التوجيهي.

التحليل على وفق المعادلة:

الدليل التداولي=(دليل القوة الإنجازية= لا تعاملوه)+ محتوى قضوي (معاملة المستعمر اضطرارا)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+(تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات) = فعل مباشر، غرضه الإنجازي حمل المخاطبين على ترك التعامل مع المستعمر.

النموذج الرابع:

«فلا تغرنكم هذه الاستجابات السريعة من إخوانكم» [2].

تحليل النموذج:

بفعله الإنجازي التوجيهي الذي يحمل محتوى قضويا، وهو(سرعة استجابات الوفود للدعوة)، والذي تكمن طاقته الإنجازية الحرفية في النهي (لا تغرنّكم)، أعرب الخطيب في خطبته التي ألقاها في حفلة تكريم وفود المؤتمر الإسلامي بباكستان، والتي ألقيت في الفترة مابين (1952-1954م)؛ عن الغرض الإنجازي الثانوي للفعل وهو النهي عن أن يغتر

[1] – باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص 161.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص 80 .

الباكستانيون من سرعة استجابات الوفود العربية والإسلامية للدعوة ولقد كان لهذا المعنى الصريح الذي تشكل من المحتوى القضوي، والقوة الإنجازية، طاقة إضافية ليست مناط قصد الخطيب، وإنما معنى غير مباشر مستلزم مقاميا، وهو الالتماس وخروج النهي عن أصل وضعه نتج عن خرق شرط الاستعلاء؛ ذاك أن الخطيب والمخاطبين من الوفود في مستوى سلطوي واحد، أين تمنع هذه القرينة التداولية أن يحتل الفعل دلالة النهي بموجبه من أن يكون نهيا حقيقيا؛ هذا مما جعل النهي يحيد عن أصله ليتموقع في وجهة أخرى، محققا فعلا غير مباشر يحمل قوة إنجازية مغايرة هي الالتماس.

إن هذا الفعل من قبل الخطيب ليس معناه، أن يكون فعلا عارضا؛ وإنما صورة عاكسة لحالته السيكولوجية، التي أبت إلا أن تظهر رغبة في أن يقوم المخاطبون بترك تقبل إقدام الوفود على الحضور بشكل تلقائي، وأخذ الحذر من ذلك.

لاشك أن تأثير الفعل الكلامي في المخاطبين نابع من خلفية البشير الإبراهيمي الموثوق فيها، والأخذ بالحذر، سيشكل إقداما على التغيير الذي سعى إليه الخطيب في العالم، وبالتالي فإن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات يكون قد وجد طريقه المرسوم من حنكة الخطيب.

نمثل للقول بالمعادلة التالية:

الدليل التداولي=(دليل الإنجاز= لا تغرنّكم)+ محتوى قضوي (سرعة استجابات الوفود للدعوة)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+(تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات) = فعل غير مباشر، غرضه جعل المخاطبين يبتعدون عن الاغترار.

النموذج الخامس:

«لا تعجبوا من هذا التهافت الشنيع من فرنسا على الجزائر» [1].

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، ص 66.

تحليل النموذج:

ينجز البشير الإبراهيمي في سياق كلمته التي ألقاها في أحد إذاعات القاهرة والمعنونة" التكالب الاستعماري على الجزائر"، والتي ألقيت مابين (1954-1964م) فعلا كلاميا طلبيا تمخض عنه وجود محتوى قضوي (التهافت الشنيع من فرنسا على الجزائر)، وقوة إنجازية حرفية، هي النهي (لا تعجبوا)، هذا أعطى مزية في إيصال المعنى للمخاطب دون تكبد عناء الاستدلال من قبله، ناهيك أن عدم خروج النهي عن أصل استعماله نابع من توفر شرط الإمكان؛ حيث إن المخاطبين بمقدورهم الأخذ بنهي الخطيب و تفعيل كلامه، أو أمره على أرض الواقع، لنصل إلى أن الشيخ قد استطاع أن يحدث آليا تغييرا في العالم، مؤداه عدم التعجب من تهافت فرنسا على الجزائر وبالتالي اتجاه المطابقة كان من العالم إلى الكلمات؛ ما يعني أن تحقيق الكف عن التعجب مطابق لكلمات البشير الإبراهيمي، وبقاء النهي في مركزيته الخاصة محل الاستعمال الأصلي، ناتج أيضا من السلطة الدينية التي أتاحت للخطيب أن ينهى المخاطبين بموجب الاستعلاء الذي شدّ أزر الفعل الكلامي ليحافظ على قوته الإنحازية الأصلية المتمثلة في النهي،« فتوفر السلطة لدى المرسل شرط أساس عند استعمال معظم آليات استراتيجية التوجيه، حتى لو كانت السلطة مختبئة وراء المرسل مثل السلطة الدينية التي تسوغ استعمال هذه الاستراتيجية لمن يريد توجيه الناس وتبليغهم بما توجبه الشريعة، وبما تحرمه كما تصوغ السلطة للمرسل استعمال بعض الآليات في الخطاب»[1]، وهذا ما توافر لدى الخطيب من سلطة دينية، أجازت له حق الاستعلاء، وخولت للفعل الكلامي مصداقيته التوجيهية الخالصة في النهي، كما ويحمل الفعل الكلامي غرضا إنجازيا، وهو حمل المخاطبين على الكف عن التعجب من تهافت فرنسا على الجزائر.

من سمات الخطيب رغبته في تحقيق الفعل الكلامي دلالة على إخلاصه فيه؛ فليس

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ص 325 .

من باب الهدر الزائد أن يطلب من المخاطبين الكف عن التعجب؛ وإنما حالته النفسية التي شكلت رغبة منه في جعل المتلقي ينجز الطلب، ومنه يكون التمثيل في المعادلة:

الدليل التداولي:(دليل القوة الإنجازية= لا تعجبوا)+ محتوى قضوي (تهافت فرنسا على الجزائر)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+(تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات) = فعل مباشر، غرضه الإنجازي جعل الخاطبين يكفون عن التعجب من تهافت فرنسا على الجزائر.

المبحث الثالث: الأفعال التعبيرية والإلتزامية والإعلانية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

أولا – التعبيريات Expressives:

وتسمى كذلك البوحيات، « والنقطة التمريرية للتعبيريات ببساطة هي التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي، والنماذج على التعبيريات هي الاعتذارات والتشكرات والتهاني والترحيبات والتعزيات، والمحتوى الخبري في التعبيريات من الناحية النمطية ليس له اتجاه ملاءمة، لأن حقيقة المحتوى الخبري يسلم بها فحسب، "إذا قلت اعتذر لضربك"، أو "تهانينا على الفوز بالجائزة"، فأنا أسلم تسليما بأنني ضربتك، أو أنك فزت بالجائزة، ولذلك أفترض قبليا وجود اقتران بين المحتوى الخبري والواقع، بيد أن شرط الصدق في التعبيريات يتغير مع تغير نمط التعبير، وهكذا فالاعتذار صادق إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلا عما يعتذر »[1]، ووفق الدراسات التداولية فإن التعبيريات تنقسم إلى قسمين وهما:

1. «الصنف الأول (البوحيات النفسية):

البوحيات المعبرة عن حالات نفسية هي انفعالات لا غير، ولا يمثل الفعل المتضمن في القول إلا الكشف عنها، وهي لا تكون موجهة للمخاطب بالضرورة»[2].

وقد تم اختيار بعض النماذج من البوحيات النفسية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وهي كالآتي:

النموذج الأول:

«ثم نتقدم بالثناء العاطر على إخواننا السابقين الأولين من أعضاء المجمع» [3].

---

[1] – جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 219 .

[2] – طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة الغربيين والبلاغيين العرب، ص 156.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص295.

تحليل النموذج:

أكمل البشير الإبراهيمي حديثه في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء الجدد في حفل تنصيبهم بتاريخ 12مارس1962م بفعل كلامي، يحمل بين دفتيه المحتوى القضوي الذي يكمن في (تقديم الثناء العاطر للسابقين الأولين من أعضاء المجمع)، هذا الفعل الكلامي أباح من خلاله الخطيب عن مكنوناته إزاء أعضاء المجمع، الذين كان لهم نصيب في رعاية المجمع قبل زمن من إلقاء الشيخ للحدث اللغوي، وقد استعمل الثناء بدل المدح لما يحمله من قوة طاغية عليه ف« الثناء مدح مكرر»[1]، هذا الاختيار لفعل الثناء يجرنا إلى الحديث عن درجة الشدة لغرض مشترك فعلى سبيل الذكر لا الحصر نستثمر قول العرب في إثبات قدرة الخطيب التداولية على صناعة الفعل الكلامي الأكثر تأثيرا في المتلقي جراء تمتعه النافذ في التوسل بالفعل الذي يحمل درجة شدة أقوى لغرض واحد، ما جعل الثناء عند الخطيب وسيلة لغوية لها ميزانها الأقوى تزيد مراتبا عن المدح، هذا البعد التداولي الظاهر عند العرب الذين« قالوا: وأول مراتب الحب الهوى وهو ميل النفس، ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب، ثم الكلف وهو شدة الحب، ثم العشق وهو إعجاب المحب لمحبوبه، ثم الشغف وهو أن يلذع الحب شغاف القلب أي غلافه، ثم الجوى وهو الحرقة وشدة الوجد، ثم التتيم وهو أن يستعبده الحب، ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى، ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوى، ثم الهيام وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه» [2]، في تحقيق الغرض المتضمن في القول، ناهيك عن أن هذا الاعتراف بالثناء على سابقي المجمع يرتد إلى المخاطب نفسه، ولا مجال لتتبع علاقة كلماته مع العالم الخارجي؛ لأن هذا رأي استخلصه البشير الإبراهيمي من ذاته المخاطبة فكان الرأي بارزا من خلال الفعل الكلامي التعبيري النفسي (ثم نتقدم بالثناء العاطر)، وأما شأن الإخلاص، فهو كما نشير دائما، يتعلق

[1]– الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري) ، الفروق اللغوية، نحقيق و تعليق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والنوزيع، القاهرة مصر، دط،(دت)، ص51.

[2] – إبراهيم اليازجي، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط3، 1985 ص245.

بشخصية الخطيب نفسه، البعيدة عن تصور أنه لن يكون فعله الكلامي حاملا للصدق فالنية صادقة فعلا؛ لأن البشير الإبراهيمي يصرح بفعله الكلامي وفق مشاعره الحقيقية اتجاه المجمع، وكما يبدو فإن هذا الفعل الكلامي، استطاع من خلاله الخطيب أن يحقق قوة إنجازية تمثلت في المدح المضعف لأعضاء المجمع الذين مروا بفترة من الزمن، قبل فعل الحدث اللغوي الذي أدار دفته الشيخ البشير الإبراهيمي.

ومنه يمكن أن نعبر عمّا قلناه سابقا بالمعادلة التالية:

الدليل التداولي= (الدليل القوة الإنجازية نتقدم بالثناء) + محتوى قضوي (تقديم الثناء العاطر للسابقين الأولين من أعضاء المجمع) + تحقق شرط الإخلاص+ شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات(– +)= فعل كلامي تعبيري نفسي، غرضه التعبير عن المدح لأعضاء المجمع السابقين.

النموذج الثاني:

«وإنني متفائل بأن هذه الليلة ستكون فاتحة لعهد جديد واتحاد عتيد» [1].

تحليل النموذج:

في الفعل الكلامي للبشير الإبراهيمي تعبير عن تفاؤله إزاء ليلة المأدبة في 29 جانفي 1952م، التي اجتمعت فيها الوفود العربية والإسلامية المشاركة في الأمم المتحدة، والذي حمل محتوى قضويا تمثل في (تفاؤل البشير الإبراهيمي بالليلة التي ستكون فاتحة لعهد جديد واتحاد عتيد)، فقد اعتد الخطيب بالفعل الكلامي التعبيري حرصا منه على إبلاغ المتلقي بتفاؤله، فكان الفعل التعبيري صادرا منه للبوح عن لحظة زمنية أحدثت إحساسا إيجابيا في نفس البشير الإبراهيمي متأملا ومتوسما الخير فيها.

أما الغد بموجبها ستفتح له آفاق عهد جديد واتحاد عتيد، رأى الخطيب ذلك فيها، بنظرة

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص467.

استشرافية، ثاقبة، مطلعة، محنكة، أبت إلا أن تشعر الخطيب بذاك التفاؤل الذي أطلعنا عليه الفعل الكلامي التعبيري النفسي(وإنني متفائل بأن هذه الليلة ستكون فاتحة لعهد جديد واتحاد عتيد)، ومما زاد الفعل الكلامي رسوخا ومصداقية في ذهن المتلقي لمسة التأكيد التي طبعت الفعل الكلامي "إنني" .

وكما مر بنا فإن مطابقة كلام الشيخ البشير الإبراهيمي للعالم ليست مناط حديثنا في مقام تعبيره عن ذاتيته؛ « فقد ذهب سيرل إلى أن الإفصاحيات(Expressives) ؛ لا تقوم على اتجاه مطابقة لأن صدق القضية المعبر عنها مقتضى لا يصرح به»[1]، ولا يجرنا أيضا الحديث؛ لفتح باب النقاش حول إخلاصه، وصدقه في إنجازه لفعله الكلامي، فالخطيب صادق في تعبيره؛ لأن تفاؤله لم يكن إلا صورة عاكسة لانفعالاته النفسية التي تجسدت وتكونت إثر رصد من الخطيب بأن هذه الليلة ستكون فاتحة شأن آخر، مما استثار مشاعر الخطيب الصادقة.

إذن التمثيل لما كان سابقا يكون في المعادلة كالتالي:

الدليل التداولي= (دليل القوة الإنجازية= وإنني متفائل) + محتوى قضوي (تفاؤل البشير بأن هذه الليلة ستكون فاتحة لعهد جديد واتحاد عتيد) + تحقق شرط الإخلاص+ شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات(− +)= فعل كلامي تعبيري نفسي، غرضه تمثل في التعبير عن التفاؤل.

النموذج الثالث:

«وأستحي أن أقول: يا ضيوفنا، فإننا جميعا في ديار غربة» [2].

[1] – شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية – مراجعات ومقترحات، ص 118.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص465.

تحليل النموذج:

في هذا المثال ودائما وفي معرض السياق نفسه، عبر البشير الإبراهيمي عن استحيائه

أمام جمهور المخاطبين؛ فالفعل الكلامي الذي يحمل محتوى قضويا يتمثل في (استحياء البشير الإبراهيمي من اعتبار المخاطبين ضيوفا؛ لأنهم جميعا في ديار غربة)، رسم مشاعر الخطيب وجعلها تطفو على السطح؛ ليبين أنه مع الحضور في موقف واحد فلا المتكلم في ربوع وطنه، ولا المتلقي في حضن بلده، وقد أراد أن ينقل بواسطة الفعل الكلامي التعبيري تلك المساواة التي يستشعرها بينه وبين المخاطبين، من ناحية وجودهم في ديار الآخرين، هنا يمكننا أن نلاحظ كيف استطاع البشير الإبراهيمي أن يعادل بين المستقبل والوافد، بالتعبير عن طريق الفعل الكلامي (استحي أن أقول: يا ضيوفنا، فإننا جميعا في ديار غربة)، فالفعل عكس نفسية الخطيب الرافضة لأن يكون في مقام المضيف في محيط ليس له فيه أهل فكان بذلك الملقي، والمتلقي أهلا لأن يكونا سيان في دفة واحدة، كل ذلك ناتج عن صدق تعبير الخطيب عن انفعالاته النفسية .

ومن ناحية أخرى كلمات الشيخ كانت بعيدة عن مطابقة العالم؛ لأن الفعل الكلامي محسوب عليه، متعلق بخلجات نفسه، لا يحتاج إلى عناء البحث عن المطابقة بين كلماته وبين العالم، أما الإخلاص فبات من المسلمات التي نتبرأ دائما من الحديث عنها؛ لأنها أمر واقع لا محال، وتمثل غرضه الإنجازي في التعبير عن خجل البشير الإبراهيمي أمام الحضور، ومنه التمثيل لهذا الفعل الكلامي يكون في المعادلة التالية:

الدليل التداولي= (دليل القوة الإنجازية= استحي) + محتوى قضوي (استحياء البشير الإبراهيمي من اعتبار المخاطبين ضيوفا؛ لأنهم جميعا في ديار غربة) + تحقق شرط الإخلاص+ شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات(− +)= فعل كلامي غرضه التعبير عن الخجل.

2. «الصنف الثاني (البوحيات الإجتماعية):

البوحيات الممثلة لحالة اجتماعية تلازمها انفعالات نفسية، ويكون الفعل المتضمن في القول هو الموجد لها وتكون موجهة إلى مخاطب بالضرورة»[1].

وهذا ما تعكسه نماذج من البوحيات الاجتماعية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نحو:

النموذج الأول:

«ثم نتقدم بالشكر لشعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومتها ورئيسها على احتضانهم للقومية العربية التي هي مدد هذا المجمع» [2].

تحليل النموذج:

قدم الشيخ البشير الإبراهيمي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة أثناء حفل تنصيب الأعضاء الجدد في 12مارس 1962م، هذا المقتطف ضمن كلمته، والذي يشكل فعلا إنجازيا، تعبيريا اجتماعيا، يظهر محتواه القضوي في ما يلي(شكر شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومتها ورئيسها على احتضان القومية العربية التي هي مدد هذا المجمع)، أما قوتها الإنجازية المباشرة؛ فهي (الشكر)، ومن نافلة القول أن البشير الإبراهيمي كان صادقا مخلصا في شكره، إذ المعطى الفعلي للشكر لم يكن نابعا إلا من انفعالاته النفسية التي أبت إلا أن تبرز بتوصيف من المحتوى القضوي.

وعلى الرغم من أن هذا الفعل التعبيري يرصد لنا ما في نفسية المتكلم إلا أن الخطيب ينتظر من المتلقي أن يتفاعل معه إزاء هذا المشاعر التي تظهر في شكر الشيخ، وهو لا ينتظر التفاتة مباشرة من أعضاء المجمع المخاطبين، وإنما شعورا متبادلا إيجابا، ليتحقق

[1] – طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة الغربيين والبلاغيين العرب، ص156.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 295 .

بذلك البعد التداولي بين الملقي والمتلقي

وفي معرض حديثنا عن فعل الشيخ التعبيري نمرّ لنستطلع إسقاطه لمبدأ المطابقة بين المحتوى القضوي والعالم، ففيما يبدو أن الخطيب تختلجه انفعالات نفسية امتنانية تمثلها للشكر في أجندة البشير الابراهيمي، لا يسعى الخطيب من ورائها إلا البوح عن نفسيته لأفراد المجمع وليس بحثا لتطابق العالم مع كلماته؛ لأن كلماته تتطابق مع وجدانه الخاص.

والتمثيل بالمعادلة يظهر كمايلي:

الدليل التداولي=(دليل القوة الإنجازية= نتقدم بالشكر)+ محتوى قضوي (شكر شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومتها ورئيسها على احتضان القومية العربية التي هي مدد هذا المجمع)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+ تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات والكلمات إلى العالم (− +) = فعل تعبيري غرضه الإنجازي التعبير عن الشكر.

النموذج الثاني:

« فمعذرة إلى إخواني الذين أعتزّ بأخوتهم إن خرجت عن النمط المألوف في رسوم الخطاب» [1].

تحليل النموذج:

يحمل الفعل الكلامي (فمعذرة إلى إخواني) الذي ذكره في ليلة المأدبة المقامة يوم 29 جانفي 1952م، والتي اجتمعت فيها الوفود العربية والإسلامية المشاركة في الأمم المتحدة، معنى مباشرا يتحقق من الصيغة الحرفية، فالمعنى الحرفي هنا كفيل بتحقيق القصد دون رجوع المتلقي للاستدلالات الذهنية، ويحمل الفعل الكلامي محتوى قضوي يتمثل في (الاعتذار بسبب الخروج عن النمط المألوف في رسوم الخطاب).

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص465.

ولا تحتاج الأفعال الكلامية في البوح لشرط مطابقة العالم؛ لأنها طرح لما يختلج في نفس الخطيب، وما تضمنه من اعتذار واعتزاز، يعبر عن شعور إيجابي اتجاه المتلقي، فقد توسل الخطيب هنا بالكلمات الدالة على المعنى المقصود، بواسطة الصورة المعجمية التي رسمت بجدارة أفق اعتذاره واعتزازه، ولا يخفى أن الصدق مزية الخطيب، ولا مراء في ذلك بحيث إن إخلاصه وصدقه في اعتذاره نابع من شعوره أنه قد عمد إلى الإخلال بنظام الخطاب، وهذا ما صرح به أوستين في صدق فعل الاعتذار:« أنه يصدق ولا يكذب أني منجز، وقد أنجزت شيئا ما، وفي الحقيقة أشياء كثيرة، وبوجه عام، فإني كنت في حالة الإثبات والاعتذار»[1].

وجدير بالذكر أن شرط مطابقة العالم الخارجي للكلمات أو مطابقة الكلمات للعالم الخارجي في البوحيات شرط لا أساس له من الوجود؛ ويمكن أن يتجسد هنا بأن البشير الإبراهيمي في فعله الكلامي المباشر، قد سلم بأنه قام بفعل الاعتذار، ولا شك أن الفعل الكلامي التعبيري تضمن غرضا إنجازيا تمثل في الاعتذار.

والتمثيل بالمعادلة يظهر كمايلي:

الدليل التداولي=(دليل القوة الإنجازية = فمعذرة) + محتوى قضوي(الخروج عن النمط المألوف في رسوم الخطاب)= تحقق شرط الإخلاص+شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات(− +)= فعل تعبيري تمثل غرضه الإنجازي في الإعتذار.

النموذج الثالث:

«أحييكم باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» [2].

[1] – أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام– تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، 1991 ص60.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص465.

تحليل النموذج:

إن الخصيصة التي تميز هذا الفعل الكلامي الذي أورده الخطيب في معرض السياق السابق نفسه، هو كونه يحمل بعدا اجتماعيا؛ حيث إنه ينتمي لتصنيف سيرل للأفعال الإنجازية التعبيرية، إلا أنه يختص ضمن التعبيريات الاجتماعية.

والبشير الإبراهيمي يقوم بفعل تعبيري يحوي المحتوى القضوي (التحية باسم جمعية العلماء المسلمين)، وقوة إنجازية تمثلت في (التحية)، وواقع شرط الإخلاص في الفعل الكلامي نابع من تعبير الخطيب بصدق عن انفعالاته الوجدانية بواسطة فعل التحية، ولا يحاول الإبراهيمي هنا تغيير العالم ليماثل الكلمات أو البحث عن مطابقة الكلمات للواقع إنما يعبر بصدق عن حمله لتلك التحايا باسم جمعية العلماء المسلمين منتفيا طلب المطابقة ومحققا شرط الإخلاص .

ومن الملاحظ ووفق ما تستوجبه التعبيريات الاجتماعية، فإن الخطيب قد غض الطرف عن واقع حالته النفسية اللازمة للفعل التعبيري الاجتماعي القابعة خلف التحية والمتمثلة في (الفرح).

بناء على ما سبق يمكن توضيح ذلك وفق المعادلة التالية:

الدليل التداولي= (دليل القوة الإنجازي= أحييكم) + محتوى قضوي(التحية باسم جمعية العلماء المسلمين) = تحقق شرط الإخلاص+ شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات(−+)= فعل منجز حرفي غرضه الإنجازي التحية.

ثانيا – الالتزاميات Commissives:

وتسمى أيضا الوعديات، « وكل إلزامي هو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري، وتتوفر على الالتزاميات في المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات، والتهديد إلزامي أيضا، ولكنه بخلاف بقية النماذج، ضد مصلحة المستمع ولا

يعود عليه بالنفع، واتجاه الملاءمة في الإلزاميات هو دائما من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق المعبر عنه هو دائما القصد.

على سبيل المثال، كل وعد أو تهديد هو تعبير عن القصد للقيام بشيء ما، المواعيد والنذور، كالأوامر والنواهي، لايمكن أن تكون حقيقية او زائفة، ولكنها يمكن أن يتم تنفيذها أو يحافظ عليها، أو يحنث بها»[1].

وقد تماهى سيرل مع أوستين في شأنها، وراقى له تعريفها، إذ« يسلم سيرل بأن تعريف أوستن للأفعال الإلزامية تعريف رائع جدا، ويأخذه كما هو غير أنه يضع عليه اعتراضا تافها – على حد تعبيره– مؤداه أن كثيرا من الأفعال (Verbs) التي أدرجها أوستن في قائمة على أنها إلزامية لا تنتمي إلى هذه الفئة على الإطلاق مثل "سوف" (...) وغيرها من الأفعال. الأفعال الإلزامية إذن هي تلك الأفعال الغرضية التي تهدف إلى إلزام المتكلم (بدرجات منوعة أيضا) بمسلك مستقبلي معين للفعل»[2].

وعليه يتم في ما يلي سوق نماذج من الوعديات في خطب البشير الإبراهيمي:

النموذج الأول:

«فإن فعلوا ذلك فأنا كفيل لهم أن يدخلوا هذا البحر المتلاطم من حضارة عصرهم ولا يغرقوا وأن يعبوا من هذه التعاليم المتباينة في حياة عصرهم ثم لا يشرقوا» [3].

تحليل النموذج:

يستمر الشيخ البشير الإبراهيمي في تطلعاته إزاء شباب الأمة في السياق نفسه السابق فيقطع وعدا يرتسم في فعله الكلامي الإنجازي الالتزامي، فيغدو هذا الفعل حاملا لمحتوى قضوي، يتمثل في (دخول شباب الأمة هذا البحر المتلاطم من حضارة عصرهم دون أن

[1] – جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 218.

[2] – صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، ص 234.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص469.

يغرقوا، وأن يعبوا من هذه التعاليم المتباينة في حياة عصرهم ثم لا يشرقوا)، يتضمن قوة إنجازية متمثلة في (الوعد) المؤشر له ب(أنا الضمين).

هذا الفعل الكلامي جاء حاملا لمقصد الشيخ في حدوثه؛ فحالته النفسية التي يعكسها فعل الوعد هي القصد، هذه الأخيرة كانت مدعاة لتحقق شرط الإخلاص فيه، وفي هذا الصدد نشير إلى أن سيرل قد تساءل « ماهي الحالة القصدية المعبر عنها في أداء الفعل الكلامي. هكذا، مثلا، إذا أطلقت وعدا، فأنا أعبر بالضرورة عن قصدي للقيام بالشيء الذي وعدت بالقيام به، إذا وعدت بأن أجيء إلى حفلتكم، فأنا أعبر بالضرورة عن قصد المجيء إلى حفلتكم، وهذا يعني أنني أعبر عن حالة قصدية مرافقة للمحتوى الخبري نفسه بوصفه الفعل الكلامي نفسه، وأن تلك الحالة القصدية، وهي أنني أنوي المجيء إلى حفلتكم، هي شرط الحقيقة على الفعل الكلامي » [1] ، وانطلاقا من تساؤل سيرل وإجابته الذاتية، نجد أن الخطيب قد استوفى شرط القصد أو الإخلاص كما ذكرنا سالفا، فالبشير الإبراهيمي حين وعد كان وعده متأسسا على كون الضمان حاصل في المستقبل على وجه الحقيقة.

ومن الطبيعي أن تغيير العالم يتأتى في هذا الفعل الإنجازي، من باب دخول الشباب الإسلامي هذا البحر المتلاطم من حضارة عصرهم دون أن يغرقوا، وأن يعبوا من هذه التعاليم المتباينة في حياة عصرهم دون أن يشرقوا، فضمان البشير الإبراهيمي يمثل وعدا يلتزم به في حال تمثل شباب الأمة لنهج النّبي والابتعاد عن التلاوم.

إن تحقق وعد البشير الإبراهيمي يمثل ملمسا واضحا، يرصد لنا ملامح الفعل التأثيري المراد من التزامه، وبمعاينة تغير العالم الخارجي مقارنة مع كلمات البشير الإبراهيمي، نجد أن كفالة الخطيب تأتي ثمارها في صلاح شباب الأمة، وطبعا يمكننا الجزم بحدوث هذا التغيير لأن تشرّب الشباب بالبعد الإسلامي– وهو الشرط الذي طرحه الخطيب– يحدث ما التزم به الخطيب من تكفله تحقيق المحتوى القضوي، والذي يمثل مطابقة العالم للكلمات.

[1] – جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع – الفلسفة في الواقع العملي، ص216.

وفق الطرح السابق يتم عرض المعادلة التالية:

الدليل التداولي= (دليل القوة الإنجازية= كفيل)+ محتوى قضوي (دخول الشباب الأمة هذا البحر المتلاطم من حضارة عصرهم دون أن يغرقوا، وأن يعبوا من هذه التعاليم المتباينة في حياة عصرهم ثم لا يشرقوا)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+ تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات = فعل مباشر غرضه إلزام البشير الإبراهيمي نفسه كفالة شباب الأمة الغرض.

النموذج الثاني:

«وأنا الضمين لكم أنهما يتحاجزان ويتسامحان في طرفة عين» [1].

تحليل النموذج:

تضمّن هذا المثال فعلا كلاميا ساقه الخطيب ضمن خطبته التي ختم بها حفلة تكريم الأستاذ ابن باديس في كلية الشعب سنة 1938م، أنجز البشير الإبراهيمي بمقتضاه محتوى قضويا يظهر في (تسامح المتخاصمين في طرفة عين)، وقوة إنجازية، وهي (الوعد) المؤشر له ب"الضمين"و المحتوى القضوي – ولاشك– يحمل قصدا من الشيخ ممزوجة بالرغبة في حصول القول مستقبلا، وإلزام الشيخ نفسه بوعد الضمان، يجعل تحققه في الواقع يطابق كلام البشير الإبراهيمي، أو بعبارة أخرى، فإن تسامح طرفي الخلاف أو النزاع الذي تم فكه بالاستناد إلى التعاملات الأخلاقية الإسلامية، يكون وعد البشير الإبراهيمي قد تحقق أي إنه عند عرضه على المخاطبين التوسل بالآداب الإسلامية، أراد تغييرا في العالم الخارجي استشرف من خلاله بعدا إيجابيا، يهدي إلى تحقيق وعده في أجل قريب.

إن التزام الشيخ البشير الإبراهيمي بضمان إحداث تغيير في العالم، يكون قد أخذ وعدا على عاتقه، ويكون قد فسح المجال للنظر في ما ترتب عن فعله الكلامي، هذا يجرنا للتمعن في مدى تطابق المحتوى القضوي لفعل الكلام، والواقع الذي ترتب بمقتضى وعد الشيخ

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص 365.

الخطيب؛ إذ ذاك نجد أن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، قد تحقق، بدليل أن تطبيق المعاملات الإسلامية دائما ما يؤدي إلى إنصاف من يطالب بحقه، أو من يلجأ للقوانين الإسلامية لحل معضلة ما، والفعل الكلامي يحمل قصدا مبيتا من قبل الخطيب من أجل أن يتحقق التزامه ميدانيا؛ فيكون بذلك قد حقق شرط الإخلاص.

والتطبيق المعادلاتي للفعل الالتزامي السابق يكون كما يلي:

الدليل التداولي =(دليل القوة الإنجازية=الضمين)+ محتوى قضوي (تسامح المتخاصمين في طرفة عين)= تحقق شرط الإخلاص الشيخ البشير الإبراهيمي+ تحقق المطابقة من العالم إلى الكلمات = فعل مباشر غرضه إلزام البشير الإبراهيمي نفسه بضمان تسامح الطرفين سريعا.

النموذج الثالث:

«ولذدنا بكعبة الوحدة نطوف بها ونلتزم أركانها» [1].

تحليل النموذج:

يحوي قول الشيخ البشير الإبراهيمي الحاصل في خطبته أمام الوفود العربية والإسلامية المشاركة في الأمم المتحدة خلال مأدبة العشاء بباريس29 جانفي 1952م، فعلا إنجازيا كلاميا من صنف الالتزاميات، ويظهر المحتوى القضوي في (الذود عن كعبة الوحدة والطواف بها والالتزام بها)؛ والقوة الإنجازية هي (الالتزام) ؛ المؤشر له ب"نلتزم"؛ حيث إن البشير الإبراهيمي وظف هذا الفعل الكلامي ملزما نفسه والأمة الالتزام بأركانها، وحقيقة الفعل هنا تستدعي وقوع الفعل في المستقبل مثلما هو مألوف، وواقع في فعل الكلام الإلزامي، وإلزام الشيخ البشير الإبراهيمي نفسه وأمته، بالإلتزام بأركان الكعبة ينمّ عن قصدية صادقة في تحقيق هذا الفعل وبلوغه، مثل هذا القول، يجعلنا نستخلص شرط الإخلاص

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 470 –471 .

الذي حققه الشيخ، فمن البديهيات أن القصد أمر واقع، إذ ليس الفعل الكلامي للشيخ من العبثية بمكان.

يأخذنا الحديث إلى البحث عن اتجاه الفعل الإنجازي، ومعرفة مطابقة العالم للكلمات فواقع الفعل الالتزامي، يفرض وجود مطابقة من العالم إلى الكلمات، وإذ نلاحظ أن المحتوى القضوي يتجه نحو مطابقة العالم للكلمات، فمن الطبيعي أن البشير الإبراهيمي أهلا لأن يلتزم بقوله في الواقع؛ أي هذا الالتزام بأركان الكعبة، يستوجب حدوثه على أرض الواقع مثلما وعد الشيخ، وبذلك؛ فالشيخ يريد أن يجعل العالم يلائم الكلمات، من حيث وقوع المحتوى القضوي، وتحقيقه في أرض الواقع، أن الإمام والأمة حين استفائهم الالتزام بأركان الكعبة، يكونون عمليا قد جعلوا العالم مطابقا لكلماتهم.

ولتبسيط ما قلناه نعرض التحليل وفق المعادلة التالية:

الدليل التداولي= (دليل القوة الإنجازية= نلتزم)+ محتوى قضوي (الالتزام بأركان الكعبة والذود بها)= تحقق شرط الإخلاص وفق قصد الشيخ البشير الإبراهيمي+ التطابق من العالم إلى الكلمات= فعل مباشر غرضه الإنجازي إلزام الخطيب نفسه الذود، والالتزام بأركان الكعبة.

ثالثا – الإعلانيات Declations:

يقول جون سيرل عن الإعلانيات في كتابه العقل واللغة والمجتمع: « وفي التصريح تكون وظيفة النقطة التمريرية إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنه قد تغير، فتخلق الأفعال الأدائية، وكذلك التصريحات الأخرى، حالة فقط من خلال تمثيله وكأنه قد تغير، وأفضل الأمثلة على ذلك:"أعلن أنكما زوج وزوجة"، (...)، "أنا مستقيل"، في هذه الحالات، لدينا اتجاه ملاءمة مزدوج لأننا نغير العالم، (...)، وتنفرد التصريحيات بين الأفعال الكلامية بكونها تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي، إذا نجحت في

إشهاركما زوجا وزوجة، أو أعلنت الحرب، فإن حالة فعلية توجد في العالم لم توجد قبل وعلى العموم، لا تكون هذه التصريحات ممكنة إلا في وجود مؤسسة خارج اللغة...[1] » .

فالمؤسسة لها دور هام في وقع الفعل وتثبيته« أما الحالة النفسية التي تعبر عنها الإيقاعيات فهي الاعتقاد (التصديق) بوقوع الفعل ناجحا والرغبة في وقوعه الفعل ناجحا»[2].

وفي ما يلي بعض النماذج المتوافرة من أفعال الإيقاعيات في خطب البشير الإبراهيمي:

النموذج الأول:

«هذا هو اليوم الذي تعلن فيه هذه الأمة إنابتها إلى ربها» [3].

تحليل النموذج:

مما هو معلوم، لدى القاصي والداني أن الخطيب يمثل قطبا من هذه الأمة، وأي إعلان منها يقتضي بالضرورة أن يكون طرفا معلنا مشاركا في الفعل، أو لنقل علاقة الجزء بالكل، التي تجعل من إعلانات الأمة تشمل الفعل ذاته لدى البشير الإبراهيمي.

انطلاقا من ما هو سابق ووفق هذا التصور سنحلل الفعل الإنجازي الذي أورده فضيلته في سياق خطبته تكريما للأستاذ ابن باديس في كلية الشعب سنة 1938م، وسيكون الإمام بمثابة الناطق الرسمي باسم الأمة، فيحدث بذلك الشيخ فعلا إنجازيا، يندرج ضمن تصنيف سيرل للأفعال الكلامية، الواقع في صنف أفعال الإيقاعيات، والذي يحمل محتوى قضويا يتمثل في (إنابة الأمة إلى ربها)، ونذكر في هذا المنوال أننا لا نتعرض في تحليلنا للقوة الإنجازية وذلك لخصوصية الإيقاعيات التي تنفرد بطابع الخبر، وفعل الإنشاء« فالكفاية

[1] – جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ص 219 – 220 .

[2] – Searle ,j . and d.Vandervcken . P. 57

نقلا عن: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص 32.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 361.

الإيقاعية الإيجادية للإنشاء الإيقاعي لا تتأتى من قوته الانشائية، كما هو الشأن في الاستفهام أو الأمر أو التمني، بل تتأتى من المؤسسة »[1].

ونمرّ إلى شرط الإخلاص، وهو مطلوب أيضا في كل الأفعال الكلامية،« وتحققه قاعدة أصولية تقول: الأمور بمقاصدها؛ ذلك أن الفعل يعد صحيحا أو فاسدا – برغم تحقق الشروط الظاهرة – بنية فاعله، فإذا أوقع المرء بلفظ ونوى عدم إنجازه فإن الفعل لا يقع على وجهه الصحيح؛ بل يقع فاسدا، سواء أكان ذلك في الإيقاعيات أو في غيرها»[2]، والفعل الكلامي للخطيب، واقع فعليا بمقتضى أن البشير الإبراهيمي تصدق رغبته في تحقيق فعل إنابة الأمة إلى ربها.

وكما هو معلوم فإن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم في الأفعال الكلامية الإيقاعية، يتحقق هذا في الفعل الكلامي للشيخ البشير الإبراهيمي من خلال مطابقة العالم للكلمات الذي يظهر في توصيفه لإنابة الأمة لربها؛ فبات أمرا واقعا.

والقول بمطابقة الكلمات للعالم نستخلصه من كون فعل الإنابة حاصل بإعلان الأمة ذلك فلا محال أن الكلمات مطابقة للواقع، بمعنى أن المحتوى القضوي مطابق لما هو موجود في الخارج والمتمثل في إنابة الأمة إلى ربها؛ فحين تلفظ البشير الإبراهيمي بالفعل الإنجازي، حصل تناظر بين مطابقة العالم للكلمات ومطابقة الكلمات للعالم مباشرة أثناء فعل الكلام، أي المحتوى القضوي(إنابة الأمة إلى ربها) يطابق الواقع، والواقع الحاصل يطابق المحتوى القضوي في آن واحد، وهذا ما وضحه سيرل بقوله:« إن الخصيصة المحددة لهذه الفئة هي أن الأداء الناجح لأي عضو من أعضائها يحدث تناظرا بين المحتوى القضوي والوجود الخارجي. ويضمن الأداء الناجح للفعل أن يناظر المحتوى القضوي العالم» [3]، وهذا ما تحقق من المطابقة.

---

[1] – شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية، ص 239.

[2] – محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 99 – 100.

[3]– صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، ص 235.

والتحليل بالمعادلة يكون كمايلي:

الدليل التداولي= (دليل القوة الإنجازية= تعلن)+ محتوى قضوي (إنابة الأمة إلى ربها)= تحقق شرط الإخلاص وفق رغبة الشيخ البشير الإبراهيمي+ شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم= فعل منجز حرفي غرضه الإنجازي إيقاع فعل الإعلان عن إنابة الأمة إلى ربها.

النموذج الثاني:

«وأشهد لقد كنت ضيفا بتونس منذ سبعة عشرة سنة، فقيل لي عن عالم من مشائخ جامع الزيتونة ومن أبعدهم صيتا في عالم التدريس: إنه يقريء التفسير، فشهدت يوما درسه لأكون فكرة عن دراسة التفسير في ذلك المعهد الجليل، وكنت معنيا بهذا البحث وجلست إليه أكثر من نصف ساعة، فوالذي نفسي بيده ما سمعت منه كلمة واحدة من الآية التي هي موضوع الدرس ولا لمحت إمارة ولا إشارة تدل على أن الدرس في التفسير» [1].

تحليل النموذج:

من خلال هذا المقتطف ومع السياق السابق دائما، أقدم الشيخ البشير الإبراهيمي على فعل كلامي، وهو فعل الشهادة، هذا الفعل الكلامي الإيقاعي، حمل محتوى قضويا يتمثل في (شهادة الشيخ أنه لم يسمع منه كلمة واحدة من الآية محل الدرس ولا إشارة تدل على أن الدرس في التفسير)، وكما نوهنا سابقا لا تظهر في الفعل الإيقاعي إلا القوة الخبرية؛ « فهي إخباريات بالنظر إلى معانيها الذهنية، إنشاءات بالنظر إلى متعلقاتها الخارجية»[2]؛ وعليه،« فالدلالة الإيقاعية للقول الخبري ليست إلا جزءا من إجراء على حد تعبير أوستين»[3].

---

[1] – أحمد طاب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشبر الإبراهيمي، ج1 ، ص 362.

[2] – خالد ميلاد الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس ط1 2001، ص 354.

[3] – شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية، ص 236.

هذا يعني أن الشيخ البشير الإبراهيمي قد قام بفعل كلامي إيقاعي من خلال شهادته وذلك بتوصيف المحتوى القضوي، هذا الفعل يظهر تطابق العالم للكلمات؛ حيث إن شهادة الشيخ قامت بتوصيف واقع ملموس وهو بعد كلام المفسر عن الآية المطروحة، وكون عالم التفسير لا يسمع كلمة واحدة من الآية موضوع الدرس؛ حيث جعله أمرا واقعا، ما شكل مطابقة تسير في اتجاه مطابقة القول للعالم، فالشهادة « فعل كلامي أصيل ولابد أن يصنف حينئذ ضمن" الإيقاعيات" لا غير، ولا يجوز أن يصنف في غيرها»[1] ، وقد وضع الفقهاء شروطا صارمة لصحة هذه الأفعال، لا تكاد تختلف عن الشروط التي وضعها كل من قطبي التداولية أوستين وسيرل، وأهمها أن يكون الكلام واضح الدلالة على المراد؛ بحيث يفهم منه إيقاع الفعل المراد فهما لا لبس فيه، وأن يكون إيقاع الفعل كاملا متبعا أعراف أهل اللغة وأن يكون زمن الفعل حاضرا أو مستقبلا، لفظا ومعنى أو معنى، ويكون إخبارا إذا كان ماضيا لفظا ومعنى، وقد يكون الفعل صريحا أو ضمنيا[2]، وهذا ما يمكن إسقاطه على فعل الإشهاد للخطيب حيث لو أنه وقع الفعل في الماضي لما كان فعلا إيقاعيا ولتنحى إلى فعل الإخبار.

وجدير بالذكر أن شرط الإخلاص متوفر دائما في أداء الشيخ البشير الإبراهيمي للفعل الإنجازي الإيقاعي فهو لا يقول غير ما هو مقتنع به، وفعله الكلامي يقيني ناتج عن معاينة مباشرة، والذي تجسد في معنى حرفي استطاع من خلاله إبراز المعنى المقصود باعتداده على بنية سطحية كفلت إيصال فعل الإشهاد الإيقاعي بشكل بين واضح.

أما الشرح السابق في صورته المعادلاتية فيكون كما يلي:

الدليل التداولي= (دليل القوة الإنجازية =أشهد) + المحتوى القضوي(البشير الإبراهيمي لم يسمع كلمة واحدة من الآية التي هي موضوع الدرس ولا لمح إمارة ولا إشارة تدل على أن

[1] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص143.

[2] – ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 98 – 99 .

الدرس في التفسير)= (شرط الإخلاص(- +))+(الكلمات= العالم، والعالم = الكلمات) = فعل كلامي إنجازي غرضه الإنجازي إيقاع فعل الشهادة.

النموذج الثالث:

«فالحرب في نظر الإسلام مفسدة لا ترتكب إلا لدفع مفسدة أعظم منها» [1] .

تحليل النموذج:

يتضح في هذا المثال وجود فعل كلامي من صنف الإعلانيات، هذا الإيقاع يحمل محتوا قضويا وهو (الحرب في نظر الإسلام)؛ فالفعل الكلامي الحاصل ضمن كلمته التي ألقاها في إذاعة صوت العرب بالقاهرة يوم 15ماي 1955م، يظهر أنه يحقق اتجاه المطابقة المزدوج؛ أي تحقيقه في العالم، وفي الكلمات، وهو إصدار حكم بمفسدة الحرب مما يجعل المتلقي يذعن للحكم ويتقبله؛ فالبشير الإبراهيمي يرد على من يعتقد أن الحرب مفيدة، ليحدث التغيير المطلوب لدى المتلقي في العالم الخارجي؛ أي إن العالم قد تغير لمطابقة كلمات البشير الإبراهيمي، وفي نفس الوقت مطابقة الكلمات للعالم؛ لأن تفحص القول يجعلنا ندرك أن الحكم بأن الحرب مفسدة مطابقة لما هو موجود عند المتلقي بسريان الحكم باعتباره أن الحرب مفسدة؛ مما حقق تناظرا بين حكم البشير في كلماته، وأن حكمه أصبح ساري المفعول في العالم الخارجي تلقائيا، وبطبيعة الحال فإن سريان الحكم على المتلقي كان أمرا آليا بحكم المؤسسة الدينية التي تخول للبشير الإبراهيمي إصدار الأحكام ونفاذها من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، وهذا الفعل جاء بصيغة الإخبار، لكنه إيقاع، والحاصل في قول الشيخ البشير الإبراهيمي، أن الفعل الكلامي موجود في الخارج بوجود فعل المنطوق؛ «لأنها أفعال خالصة للدلالة على معنى فعل المتكلم الآني والموسوم باللفظ المعين للعمل الإنجازي الذي يوجد معناه في الخارج بنفس ذلك اللفظ» [2].

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، ص 83.

[2] – ينظر: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة – دراسة نحوية تداولية – ص 573 – 574.

فهذا المثال يأخذنا إلى الحديث عن النقاش الذي كان بين الأصوليين المتأخرين حول الإخبار والإيقاع بحيث لا يميز الإخبار والإيقاع إلا القصد والاستعمال، واختلفوا حول وجود مُؤنة زائدة للإخبار أو الإيقاع؛ فالظاهر أن المِؤنة الزائدة في الإخبار إذ يقوم على قصد الحكاية عن ثبوت معناه وجود النسبة خارجا ووجود الحكم بها، في حين أن الإنشاء الإيقاعي يقوم على مجرد وجود تلك النسبة خارجا بوجود اللفظ[1].

وعلى هذا نسجل كل ما قلناه وفق المعادلة التالية:

الدليل التداولي=(دليل الإنجاز)= (الحرب في نظر الإسلام مفسدة)+ محتوى قضوي(الحرب في الإسلام) = (الإخلاص (− +))+ شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم= فعل منجز حرفي غرضه الإنجازي إيقاع حكم الحرب في الإسلام.

أما الجدول التالي فيمثل نسبة أفعال الكلام الواردة في خطبة محمد بن شنب بالعاصمة أمام أسرة الكتابة والقلم في 1929:

نوع الأفعال الكلامية	العدد	النسبة المئوية
الإخبارية	46	%76.67
التوجيهية	11	%18.33
التعبيرية	3	%5
الالتزامية	0	%0
الإعلانية	0	%0
المجموع	60	%1OO

[1] – ينظر: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة – دراسة نحوية تداولية، ص 573.

يوضح الجدول الغلبة الفائقة في استعمال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي للأفعال الكلامية الإخبارية، بنسبة 76.67%، وهذا الطرح لا يجانب الصواب؛ فمن حيث الطبيعة اللغوية التي هي في أصلها قائمة على الإخبار، وما دام الوضع في أساسه مبني على ذلك، فمن البديهي أن يكون فعل الكلام الإخباري هو الآخذ – ولاشك– بنصيب حصة الأسد من مساحة الخطبة ككل، والطابع التأثيري له مزيته هو الآخر في اختيار الإمام، وما لأفعال الكلام الإخبارية من خصيصة تقديم الشواهد لإثبات الرأي، وتطعيم المتن الخطبي بها بواسطة إدراجها ضمن الأفعال الكلامية الإخبارية، ما تناسب مع أبجديات الخطبة، لكن هذا لا يعني غياب الأطياف الأخرى لأفعال الكلام، والحاصل أن الجدول يؤكد ذلك، فالأفعال التوجيهية ذات النسبة الثانية في الترتيب 18.33%، عول عليها الخطيب نظير ما تعكسه من قوة ماثلة ناتجة عن السلطة الدينية، والتي مهدت للطرح التوجيهي كاستراتيجية ثانية تليق بمعطيات الخطبة، بينما لاوجود لأفعال الكلام الإعلانية، كما يظهر في آخر الجدول، وهذا راجع إلى الصفة الرسمية التي كثيرا ما تنأى بها هذه الأفعال عن غيرها من الأفعال الكلامية وتعطيها نوعا من الخصوصية؛ لأن مجال استعمالها التداولي مضيق أكثر؛ لهذا لم تجد لها نصيبا في هذه الخطبة.

ملخص الفصل:

حاول البحث في هذا الفصل تفحص أفعال الكلام الواردة في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وعملا بأخلاقيات البحث المنهجي، فقد وضع قدمه أولا على مستوى المفهوم فكان الفعل الكلامي مفهوما، ثم تفحصه عند أوستين وسيرل والدرس التراثي العربي؛ لبيان وجود هذه النظرية سلفا عند العرب القدامى، وقبل ذلك الإطلاع عنها لدى الغربيين، بعدها استوى البحث تنظيرا وتطبيقاعلى دراسة الأفعال بكل أنواعها.

وقد انطلق البحث بالأفعال الإخبارية الأكثر ورودا وتقديم نماذج تعتبر أفعالا كلامية ارتبطت بوصف العالم الخارجي، ما لبث البحث أيضا أن عرض نماذج لأفعال توجيهية من جهة أنها نمط من الأفعال الكلامية، ومن جانب آخر حضورها كآلية في منطق الخطب كما أخذ البحث على عاتقه دراسة الأفعال الكلامية التعبيرية، وكيف استطاع الخطيب أن يعبر عن تلك الشحنات النفسية بأفعال كلامية عكست ذلك الجانب الدفين؛ لينتهي البحث في دراسته إلى الأفعال الكلامية الالتزامية والإعلانية والتزام الخطيب بأمور من خلال أفعال كلامية، ولقد كان الأخذ بمقاربة "سيرل" منهجا للتطبيق على خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فاستعرض في ذلك ومن خلال النماذج المطروحة المحتوى القضوى، وشرط الإخلاص والمطابقة من العالم إلى الكلمات والغرض الإنجازي، فكان التحليل بموجب ذلك قائما على هذه التشكيلة، دون أن يجانب في ذلك دراسة الأفعال المباشرة وغير المباشرة حتى يقف البحث على مستوى البنية الحرفية، والغوص أكثر في الفعل الكلامي للخطيب وصولا للمعنى المخبوء وراء الأفعال الكلامية التي خرجت عن معناها الحقيقي، وتلبست معان أخرى، استدرج من خلالها الخطيب المتقبل؛ ليحدث شراكة معه بحثا عن المغزى من انزياح الفعل الكلامي عن طبيعته المعهودة، والتوجه نحو كسر نمطيته والانفتاح على معان مستلزمة أخرى.

الفصلُ الثّانـي:

الافتراض المسبق في خطب الشيخ

محمد البشير الإبراهيمي

توطئة:

يختزل ذهن الإنسان ما مر به من أحداث و تطورات على صعيد تاريخه المتعاقب، وإذ يتجمع كل هذا في وعاء ذاكرته متأهبا للحضور متى استثاره موقف خارجي، مستعينا بلغته التي تجسد ما تراكم في ذهنه وفق سياق شراكة بين المتحدث والسامع، فالمتكلم حين رصده أخبارا مستجدة يعمد إلى إيصالها للسامع لا ينطلق من فراغ، وإنما دائما ما تكون على رباط وثيق بما يحف الخبر من خلفيات ومعلومات مشتركة بين أطراف العملية التواصلية، والمتكلم أثناءها يفترض هذه الخلفية؛ لينطلق في كلامه دون الحاجة لإعادة ذكرها باعتبار السامع يتوافق معه في المخزون المعرفي الذي أصبح يشكل مسلمات تبقى حبيسة الذهن بشكل مضمر، هذا ما يشكل الافتراض المسبق الذي نال رعاية الفلاسفة، ومدار اهتمامهم.

هذا الاهتمام انعكس على البحث؛ فكان له نصيب فيه من خلال محاولة تتبع نماذج مستقاة من خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وركن البحث في ذلك إلى النظر مليا في المعارف المشتركة التي أخذت مأخذ الأساس الذي تم بمقتضاه بناء الخطب، وكانت تشكيلة من المعلومات التي مثلت الخزان الذي استثمره الخطيب في ذلك.

وتوخي البحث دراسة الافتراض المسبق، هدى إلى سبيل إضافة اللمسة العربية بمفهومها الواسع وفق الخصوصية التي تتمتع بها اللغة العربية، مع إيراد المقابل المباشر للدراسة الغربية المضيقة على وفق ما هو متوافر في اللغة الإنجليزية، واعتماد مصطلح الافتراض المسبق الأكثر شيوعا مع الحفاظ على المصطلحات المتبناة من قبل بقية الباحثين أثناء الاقتباس تحسبا لخصوصية الأمانة العلمية.

المبحث الأول: الافتراض المسبق، مفهومه، وخصائصه

أولا – مفهوم الافتراض المسبق Presupposition :

شكّل الافتراض المسبق، محل اهتمام الدارسين؛ لما له من حضور في أقوال المتكلمين، باعتبار البعد التداولي الذي يحظى به، إذ هو أحد عناصر التداولية.

وهذا ما ذهب إليه القاموس الموسوعي للتداولية، ف« من الأكيد أن مسألة الاقتضاء هي التي أفرزت أكثر البحوث في علمي الدلالة والتداولية خلال السنوات الثلاثين الأخيرة، إذ لم تشغل هذه القضية الفلاسفة والمناطقة، واللسانيين فحسب، بل شغلت كذلك الباحثين في كل ميادين اللسانيات (من علم الإعراب إلى التداولية مرورا بعلم الدلالة)، ونظرياتها(النحو التوليدي، دلالة مونتاق، (Montague)، نظرية الاستلزامات الخطابية والأعمال اللغوية... إلخ» [1] ، فالافتراض هو أحد الآليات المعينة على فهم ما تستره اللغة في المواقف الكلامية[2] ويقتضي شروطا« فإذا قال رجل لآخر: أغلق النافذة، فالمفترض سلفا أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبررا يدعو لإغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة وأن المتكلم في منزلة الأمر، وكل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب »[3]. وحيث« يعد الافتراض المسبق أحد المفاهيم التداولية المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب الذي يتم بين المرسل والمرسل إليه في العملية التواصلية فلكل سياق قول وهذه الأقوال متوقفة على العوامل الخاصة بالمتكلمين، والعوامل الخارجة عنهم، وهنا يظهر الدور البارز للسياق في فهم القول فبتغيره يمكن أن يتغير القول»[4]، وما دام الافتراض المسبق يبنى على

---

[1] – جاك موشلر، آن ريبول، الاقتضاءات الدلالية والتداولية، ، مقال في كتاب القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعه من الأساتذة، إشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، (د ط)، 2010، ص237.

[2] – ينظر: آسية مرهون، قضية المعنى في اللسانيات التداولية واللسانيات العرفانية –دراسة مقارنة– أطوحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2024/2023، ص 102.

[3] – محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص27– 26 .

[4] – مهدي مشتة، تجليات الافتراض المسبق في ديوان "الكبريت في يدي دويلاتكم من ورق" لنزار قباني، حوليات المخبر العددالثاني، 2014، ص130.

معلومات وحقائق معروفة لدى طرفي الخطاب؛ فلا شك أن السياق يشكل الإطار العام الذي تحققت فيه هذه المعلومات، فالافتراض المسبق مترتب عن مجموعة الخزينة المعرفية المشتركة؛ لأن بناء المقولات ماهو إلا نتيجة لكم المدركات الحاصلة آنفا بين الملقي والمتلقي.

وقد « اكتسب الاقتضاء مع ستراوسن Strawson وضعية دقيقة تحول بموجبها من علاقة دلالية بين القضايا إلى علاقة تداولية بين الأقوال، ويهمنا من هذا التحول أنه فسح المجال أمام توجهين متميزين دون أن يناقض أحدهما الآخر:

أ. أولهما جعل من المقتضيات مجموعة من الاعتقادات والخلفيات المشتركة بين المتخاطبين.

ب.وثانيهما نظر إلى المقتضيات على أنها مجموعة من القواعد والشروط المحققة لانسجام الخطاب » [1].

فمن الواضح أن الافتراض المسبق قبل التلفظ به، يقوم على كم من المعلومات والمعارف والاعتقادات التي تكون شراكة بين المتخاطبين، حتى يتم بناء الحدث اللغوي من خلالها، ونشير هنا إلى أن التطابق بين المقتضيات والاعتقادات الخلفية المشتركة يمثل أساس التخاطب العقلاني، فالمتكلم ليس بإمكانه التلفظ بقول ما دون التسليم بوجود معطى مشترك بينه وبين المخاطب، وأن يكون الإخبار منسجما مع تلك الخلفية المشتركة، مثال على ذلك:

- جاري أعزب فهو لم يتزوج.

إن ملاحظة الجملة يجعلنا ندرك أن الجزء الأول منها، يقتضي أن جار المتكلم (بالغ كهل، ذكر)، وهو مقتضى يحافظ عليه في جزئها الثاني (فهو لم يتزوج) [2].

[1] – ريم الهمامي، الاقتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1،2013 ، ص35 .

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص40 –39 .

« يمكن وصف ظاهرة الاقتضاء بيسر انطلاقا من الشواهد التالية:

أ. أقلع زيد عن التدخين.

ب.كان زيد يدخن.

ج. هل كان زيد يدخن؟

د. لم ينقطع زيد عن التدخين.

إن كان الشاهد (أ) يمثل القول مثلما نطق به(أي المنطوقposè) فإن (ب)هو المقتضى(prèsupposè)، ويتمثل رائز الاقتضاء في ثبات الاقتضاء بعد عدة تغييرات ندخلها على الجملة نخص بالذكر منها رائزي الاستفهام مثل (ج) والنفي مثل(د) » [1].

إن المتكلمين حين التلفظ، يفترضون أحداثا، أو حقائق، أو موجودات ما، لا يحتاجون لذكرها فهي راسخة في أذهانهم، على أساس أن المخاطب حين الكلام سيستنتج ما هو كائن من خلال معرفته هو الآخر بها.

على أن الافتراض المسبق ليس هو موضوع اهتمام المتكلم والسامع، وإنما مدار الحديث يكون خارج المعلومات المفترضة؛ لأنها أصلا معروفة لدى أطراف الكلام، وأن المرتقب ليس هذا الموجود في الذهن، بل ما هو جديد من أخبار ترتبط بالافتراض كأمر مفروغ منه خارج حيز الخبر الجديد، لكنها مفروضة فرضا في حيثيات التخاطب.

[1] – جاك موشلر، آن ريبول، التأويل الصدقي للأقوال: الصورة المنطقية مقابل الشكل القضوي، التشفير والاستدلال، مقال في كتاب القاموس الموسوعي للتداولية، ص112.

تقول كاترين كيربرات – أوريكيوني Kerbrat Catherine – Orecchioni في هذا الصدد: «نصنف في خانة الافتراضات كل المعلومات التي، وإن لم تكن مقررة جهرا (أي تلك التي لا تشكل مبدئيا موضوع الخطاب الكلامي الحقيقي الواجب نقله)، إلا أنها تنتج تلقائيا من صياغة القول التي تكون مدونة فيه بشكل جوهري، بغض النظر عن خصوصية النطاق التعبيري الآدائي » [1].

وتقول أيضا في نفس السياق: « وتعتبر الافتراضات والمضمنات بمثابة المعلومات المدسوسة خفية؛ أي إنها تكون مزودة بملاءمة تواصلية أقل شأنا من تلك التي تتمتع بها المعلومات البينة، كما أنها تحتل مركزا أدنى مرتبة داخل البنية الرقائقية التي يتألف منها محتوى الأقوال الإجمالي » [2].

ينتهي بنا قول أوريكيوني إلى أن الافتراض المسبق قد لا يظهر على البنية السطحية لكنه مدرك ضمنيا بشكل تلقائي، ما يعطيه صفة البدهية، فالمستمع يستوعب هذه المعارف باعتبار خلفيات جاري الاتفاق عليها بين المتكلم والسامع، هذا الامتداد يجعل المتكلم في غنى عن التفصيل، فهي أمور مسبقة مفترضة العلم عند طرفي الكلام لا يتكلف، ولا يتكفل المتكلم والسامع عناء البحث فيها؛ وعليه فإن « مبدأ الافتراض اللازم في تحليل الخطاب هو افتراض مقاصدي؛ أي أنه "معروف" من خلال فرضيات يقوم بها المتكلم عما يتوقع المتلقي أن يقبل به بدون اعتراض» [3]؛ وبالتالي فإن الافتراض المسبق يشكل أرضية صلدة من المسلمات، التي يعتنقها أطراف الحديث، حتى أنها لا تشكل انتباها للمستمع باعتبار أنها

[1] – كاترين كير برات – أوريكيوني، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 72 2008، ص48.

[2] – المرجع نفسه، ص44–45 .

[3] - Givon, T . (1979a)On Understanding Grammar New York :Academic Prese, p50
نقلا عن– ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع الرياض، السعودية،1997، ص37.

من المفروغ منه؛ حيث : « إن عمليات الافتراض هي ما يعتبره المتكلم أرضية مشتركة مسلما بها لدى كل أطراف المحادثة » [1].

إن الجمل تحمل أخبارا يسعى المتكلم لإيصالها للسامع، كما تحمل معها مضمونا مضمرا غير صريح، جاري المفعول بموازاة المذكور، ينتهي إليه السامع بالحصول على أمرين أولهما الخبر المقصود، وثانيهما ما كان وراء الخبر أصلا، أو ما كان خلفية للخبر حيث يستدل عليه من خلال رائز في التركيب، فالقول بانتهاء فعل ما يستدعي، أو يقتضي أنه كان هناك فعل حاصل سابقا، وهذا يكون مفترضا في ذهن المتكلم، « وهكذا فإن القائل: إذا قال" كف زيد عن ضرب زوجته "، فإنه قال صراحة أن زيدا لا يضرب زوجته الآن(وهذا هو المحتوى المقرر أو الإخبار)، كما أنه أبلغ بكيفية غير صريحة أن زيدا ضرب زوجته فيما مضى (وهذا هو المقتضى أو الاقتضاء) » [2].

ويعرفه مسعود صحراوي بقوله: «في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة»[3].

فالافتراض المسبق كما يبدو يرتبط بتلك الخلفيات، والحيثيات المخزنة في ذهن المتكلم يتخذ منها منطلقا للكلام يؤسس عليه ما هو مستجد عنده، لكن ضمن سياقات أهلت المتكلم للاعتماد على هذا المفترض مبدئيا، وفي المقابل يبقى على السامع تقبلها من حيث إنها متواجدة في واقعه هو الآخر؛ فتتحقق بذلك العملية التواصلية.

---

[1] - Stalnaker R.G.(1978)"Assection "in(ed) p cole ، P321

نقلا عن– ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، ص37..

[2] – روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص47 .

[3] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 30 – 31.

ثانيا – خصائص الافتراض المسبق:

لا مرية ولا جدال أن لكل نظرية خصائص تجعلها مائزة عن غيرها من النظريات والتداولية بوصفها ميدانا تشعبت وتشبعت فيه مختلف الدراسات الفلسفية، فإن رصد خصائص كل نظرية فرعية مسندة إليها، كان من ضمن ما اهتدى إليه الفلاسفة، وحسبهم في ذلك ما أطلعتنا عليه بحوثهم في خصائص الافتراض المسبق، الذي يتمتع بما يلي:

1. مبدأ عدم الإخبارية:

ثمة خاصية أخرى يشار إليها في أكثر الأحيان بخصوص الافتراضات، فمن المفترض أن تتطابق المحتويات المصوغة على شكل افتراضات مع حقائق معروفة سلفا، ومقبولة من قبل المرسل إليه كمثل أن تكون مستمدة من معرفته الموسوعية الخاصة، أو أن تتوافق وبديهيات من المفروض أن يتشاطرها كل الأشخاص المنتمين إلى الجماعة المتكلمة، ومنه تكون هذه المحتويات مسلمات ولا يسعها أن تكون محل اختلاف[1]، فهي متعلقات تستند إلى ما هو معروف لا يحتاج لتوضيح؛ وإنما افترض المتكلم أن السامع على دراية مسبقة بها، إذ ليس هو المقصود؛ لأنه معلومة واردة في ذهن المتكلم، وقد أخذ في الحسبان أن السامع أيضا على علم مسبق بها، بما أن الافتراض هو المعلومة « التي يفترض معها المتكلم حصول المعرفة عند المخاطب»[2].

وقد طرحت كاترين كيربرات – أوريكيوني في خضم هذا تساؤلا وأعطت إجابته مفادهما: « أي فائدة ترتجى من الافتراضات في الديناميكية الخطابية إذا ما كانت تنتهك جهارا قانون الإخبارية؟ ويتلخص الجواب على هذا السؤال على الشكل الآتي: أولا، إنها تشكل في الخطاب نوعا من أنواع قواعد البناء التي تبنى عليها المحتويات المقررة، وثانيا، إنها تؤمن بفضل "الغطاء الافتراضي"، تماسك الخطاب وإطنابه الداخليين، في حين تتكفل المحتويات

[1] – كاترين كير برات – أوريكيوني، المضمر، ص56.

[2] – فان دايك، النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي – تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق المغرب، (د ط)، 2000، ص 306 .

المقررة بتدرجه، وثالثا، إنها تكون على مستوى تفاعلي أوسع، نوعا من "اللحمة الاجتماعية"»[1].

2. الثبات عند النفي:

يتميز الافتراض المسبق بخاصية الثبات في حال تم نفي الجملة، فهو من المسلمات؛ لأن النفي يقصد به الخبر، وليس الافتراضات التي يفترضها المتكلم أولنقل ما هو محيط بالخبر يبقى في حفاظ عن كينونته، فالنفي يتلبس الجملة خبريا لا اقتضائيا؛ أي إن الافتراض دائم الحضور سواء نفيا أو إثباتا لا يهتز لأنه لا يخضع لعنصر النفي مادام الافتراض المسبق أمره مستقيم، كونه مفترضا في ذهن المتكلم، ومقبولا من قبل السامع، « فقد ارتبط ظهور مفهوم الاقتضاء، في فلسفة اللغة العادية بمفهوم الإحالة وكان الفيلسوف غوتلوب فريغة Gottlob Frege (1848–1925) أول من نبه إلى وجود علاقة بين هذين المفهومين»[2]، ولاحظ أن اقتضاء الجملة المثبتة هو نفس اقتضاء الجملة المنفية مقابلتها؛ أي إن الدلالة المقتضاة هي التي لا تنفى بنفي الجملة ويتوضح إبقاء النفي على الاقتضاء من المقارنة بين الجملة (أ) ومقابلتها المنفية(ب):

أ. مات كلير فقيرا.

ب.لم يمت كلير فقيرا.

فالنفي يستخدم عادة رائزا لاستكشاف المعنى المقتضى وتمييزه عن المعنى المقصود الإخبار عنه، فالذي ينفى هو المعنى الثاني، أما المعنى الأول يظل خارج حيز النفي

[1]– كاترين كير برات – أوريكيوني، المضمر، ص57.

[2]– أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2010، ص20.

فالمنفي في الجملة السابقة هو موت كلير فقيرا، بينما يظل المعنى المقتضى (وجود شخص يحمل اسم كلير مثبتا)[1].

إن المفترض المسبق، الذي هو نتيجة عملية الافتراض، هو أحد أبرز أشكال الضمني، ذلكم الذي هو ثاو في البنية اللغوية، يحدد عادة بواسطة اختبار النفي (test de nègation)، وهكذا ففي الملفوظ (بول كف عن الشرب) نقول: إن الجملة (بول كان يشرب سابقا) مفترضا مسبقا، بما أنه يمكننا استنباطها أيضا من (بول لم يكف عن الشرب) ونفس الشيء في (رأى بول متحف نوازي)، فإن المفترض الوجودي (يوجد متحف في نوازي) بمنأى عن النفي[2].

و« تسمى خاصية القبلئفتراض (الافتراض المسبق) هذه بالثبات تحت النفي، إنها تفترض أساسا أن القبئفتراض لمقولة ما يبقى ثابتا (يبقى صحيحا) حتى عند نفي المقولة، وكمثال آخر، خذ حالة تختلف فيها (عبر النفي) مع شخص فاه بمقولة معينة:

أ. كل واحد يعرف أن إبراهيم سعيد (س).

ب. لا أحد يعرف أن إبراهيم سعيد (ليس س).

ج. إبراهيم سعيد (ص).

د. س>> ص وليس س>> ص» [3].

هذا المثال يوضح أن المتكلمين يختلفان بخصوص صحة س (مقولة جملة أ) لكنهما يفترضان صحة ص(جملة ج)، أن المقولة (ص) مفترضة مسبقا ب(س) وليس(س) وتبقى ثابتة عند النفي[4].

---

[1]– ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص20.

[2] – ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 105.

[3] – مجيد الماشطة، أمجد الركابي، مسرد التداولية، دارالرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص66.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص67.

فجملة "جون تزوج" (أو لم يتزوج) أخت فريد تتضمن "فريد له أخت"، وجملة المحاضر واصل (أو لم يواصل) الكلام "تتضمن أن المحاضر كان يتكلم"، وجملة "هو شرب (أو لم يشرب) كأسا آخر" تتضمن أنه" شرب على الأقل كأسا واحدة"، ووصل الأمر مع البعض إلى ادعاء أن جملة "هي نظفت (أو لم تنظف) الغرفة " تتضمن أن الغرفة لم تكن نظيفة"[1].

نخلص أن الافتراض المسبق ينأى عن التبعية لمتغيرات تركيب الجملة؛ فهو يحظى باستقلالية رغم وجوده ضمنيا في التركيب باعتبار أنه أمر ثابت، لا يتأثر بالنفي ولا حتى بالاستفهام، وهذه الجمل تأكد عدم تأثر الافتراض المسبق بنفي الجملة.

وعليه عند إخضاع الجملة لاختبار النفي يبقى الافتراض المسبق مستقلا عن هذا الأسلوب لا يؤثر فيه؛ فالنفي يخص المحدث المستجد لا المعلوم المستهلك؛ فالجملة:

أ. علي زار الأهرامات.

ب. علي زار/ لم يزرالأهرامات.

تفترض هذه الجملة وجود شخص اسمه "علي" معروف لدى المتكلم والسامع، والأمر نفسه بالنسبة للأهرامات، كآثار معلومة لدى القاصي والداني، هذه المسلمات بقيت محافظة على تواجدها رغم الإنكار، والذي سقط بفعل النفي، هو فعل الزيارة هذا الخبر الذي يفقد حصوله بتأثير من النفي بينما تبقى الافتراضات صامدة بفعل قوة الوجود في ذهن أطراف التواصل.

3. قابلية الإلغاء:

ويتأثر الافتراض المسبق بمعطيات السياق وما هو كائن من معتقدات، وأحداث فلا ينبغي للمتكلم أن يخرج عما هو مألوف، ومتعاطى في المقام الجامع بين طرفي الخطاب

[1] – ينظر: ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية مصر، د ط، 1995،ص226 – 225.

«فيكون الإلغاء بسبب التناقض مع الافتراضات الخلفية أو المعرفية بالعالم الحقيقيBackground assumptions:

وهذا يمكن ملاحظته في (ب) في المثال الآتي:

أ. حصل زيد على لقب أستاذ مساعد قبل أن ينهي دراسة الدكتوراة.

>> أنهى زيد دراسة الدكتوراة.

ب. زيد مات قبل أن ينهي دراسة الدكتوراة.

~ >> أنهى زيد دراسة الدكتوراة (نستعمل~ >> للدلالة على عدم الافتراض).

ففي حين أن (أ) يفترض أن زيدا انتهى من الدكتوراة بحكم القرينة الزمنية، نجد (ب) لا يحمل هذا الافتراض؛ لأن الافتراض المسبق يتعارض مع معرفتنا بالعالم الحقيقي؛ ولذا فإن الافتراض يلغى»[1]؛ حيث إن الافتراض المسبق لا يخرق ما هو معهود ومنطقي، بل هو المعهود نفسه الذي لا يناقش، وهو المعلوم المؤرخ له، وأي تعد عن هذه السياقات تجعل الافتراض المسبق يلغى؛ لأن اعتماده يكون على ما هو مشترك بين المتكلم والمخاطب من خلفيات وحقائق متعارف عليها.

4. مبدأ التأليفة:

أكدت الكثير من الدراسات أن مبدأ التأليفة يصطلح عليه بمبدأ فريغة، وأن جذوره تعود إلى أعماله الأولى، فإذا أعدنا النظر في تفكيره، وجدنا أن البحث في علاقة الدلالة بالمرجع أفظى عنده إلى البحث في قيمة الصدق، وربط صدق القضية بصدق أجزائها مما جعله يماثل بين قيمة صدق القضية، وقيمة صدق مراجعها، فعبارات من قبيل:

أ. نجمة الصباح.

ب.نجمة المساء.

---

[1] - Wolfram Bublitz and Neal R.Norrick(eds.)(2011),Foundations of Pragmatics,p 404

نقلا عن: جاسم خيري الحلفي، الخطاب الحائد في العربية، مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1 2020، ص170.

تحيلان على المرجع نفسه (كوكب الزهرة) رغم كونهما ليس لهما المعنى نفسه فالمعنى الذي نفهمه من (أ) ليس هو في (ب) حتى وإن كانت إحالتهما على المرجع واحد[1].

ويمكن أن نستغل مبدأ التأليفة في مثال من التراث العربي، يتحقق بمقتضاه الافتراض المسبق بوجود الشخص المحال عليه، رغم تنوع التركيب الحامل لمعان متمايزة كما في المنوال الذي أوردته الباحثة ريم الهمامي:

أ. « جاء حاتم الطائي. ج. جاء من نحر ناقته.

ب.جاء الكريم. د. جاء كثير الرماد.

فمن الواضح أننا إزاء رموز لغوية مختلفة إلا أن الأكيد فيها إحالتها على المرجع نفسه (...)، دون أن تكون مترادفة في المعنى؛ لذلك رأى فريغة أن قيمة الصدق لا تتغير وإن عوضنا جزء من أجزاء القضية بعبارة أخرى لها المرجع نفسه وإن لم يكن لها المعنى نفسه »[2]، إذ تعدد المسميات لم يمنع من أن هناك افتراضا مسبقا بوجود ما يحيل عليه، فهو مرجع واحد وإن اختلفت الألقاب فكوكب الزهرة هو نفسه نجمة الصباح، وهو نفسه نجمة المساء والشخص المفترض وجوده في ذهن المتكلم و المخاطب هو حاتم الطائي هو نفسه الكريم، وهو نفسه من نحر ناقته، فالمرجع هو وجود تلك الشخصية العربية مثار اهتمام الجميع والقابع في الخلفية التراثية للإرث العربي.

[1]– ينظر: ريم الهمامي، الاقتضاء وانسجام الخطاب، ص43.

[2]– المرجع نفسه، ص44.

المبحث الثاني: الافتراض المسبق الوجودي والافتراض المسبق البنيوي في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

أولا: الافتراض المسبق الوجودي Existential Presupposition:

اهتم كثير من الفلاسفة بدراسة الافتراض المسبق، مفهوما ومصطلحا تداوليا، أصبح شائعا بينهم؛ مما فسح المجال لتحديد أنواعه، والوقوف على خصوصية كل نوع على حدة هذا ما ترتب عنه تقسيم الافتراض المسبق وفق مولدات تسهم في تعيين نوعه، كقرينة دالة عليه، « يتمحور النوع الأول حول النوع الوجودي existential، الذي يشكل الموضوع الأصلي للمناقشات الطويلة، التي دارت في الأوساط الفلسفية بين فلاسفة مثل(فريغة) ورسل((Bertrand Russell (1970- 1872) وستروسن (Strawson 1952) وغيرهم وأكثرها كانت تركز على موضوع الإحالة reference، في الأوصاف المعرفة definite description، وأسماء العلم proper names أوما يسمى في التراث العربي ب(الألقاب)، وعلاقة الاسم بالمسمى؛ لذلك أحيانا يسمى هذا النوع باسم (الافتراض المسبق الإحالي) referential، فضلا عن اسم (الوجودي) و(الدلالي)، والمولد الذي يولده عادة كما ذكرنا، هو الأوصاف المعرفة، والألقاب، أو أسماء العلم، فهذه تفترض مسبقا وجود المرجع المحال عليه »[1] .

يقدم هشام عبد الله خليفة الأمثلة التالية؛ لتوضيح الافتراض المسبق الوجودي:

« ملكة بريطانيا، مؤلفات (رسل)، حديقة الحيوانات، عشيقة نابليون، قاتل (كندي)، (هتلر) الأميرة النائمة، الغواصة الزرقاء، حزب المحافظين إلخ » [2] .

[1]– هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، دار الكتاب الجديد المتحدة، (ط1)2021، ص50.

[2] – المرجع نفسه، ص50.

ويحسن القول: إن الوجهة التداولية في الافتراض المسبق الوجودي، لا تتوقف على الوصف المعرف من جانب التركيب الإضافي أو أسماء العلم فقط، بل أيضا" ال" التعريف هذا ما أكدته الباحثة منى إبراهيم عزام في سياق حديثها عمّا يقابل الافتراض المسبق الوجودي في الدرس التراثي، بقولها « تنحصر عند نحاتنا في المعرف بالإضافة والمعرف ب(أل)، وهذه الكيانات من المعرفة التي اعتادوا العرض لها من خلال أقسامه»[1] ، بمعنى أنها أشياء لها وجود، ليس بجديد بل مرتبط بالتركيب الإضافي عند نحاتنا القدماء؛ إذ الأصل فيه أن تكون بمعنى اللام، وهي تفيد الملك ويسمونها "لام الملك"، نحو:

ثوب زيد وغلامه أو الاختصاص نحو: حصير المسجد وقنديله[2].

مما نستخلصه أن الافتراض المسبق الوجودي، يستدعي بالضرورة وجود ما يحيل إليه الكلام، فالوجود يعني استقرار شيء ما في ذهن أطراف التواصل، على أنه حقيقة كائنة، لا جدال فيها، وأن مولداته تختلف كروائز دالة عليه، يتعلق الأمر بالوصف المعرف؛ أي بالإضافة وأسماء العلم، و"ال" التعريف.

1. الافتراض المسبق الوجودي المتولد باسم العلم والإضافة:

يقترن الافتراض المسبق الوجودي بموضوع الإحالة وذلك وفق آراء الكثير من الفلاسفة – أهل التداولية– فالإحالة على شيء تقتضي بالضرورة افتراضا مسبقا بوجوده؛ تبعا لذلك يسمى الافتراض المسبق الوجودي بالافتراض المسبق الإحالي، و« خلافا لمعظم الأعمال اللغوية، فإن للإحالة تاريخا طويلا في المعالجة من قبل الفلاسفة، يرجع هذا التاريخ إلى فريغة، وفي الحقيقة إلى محاورة ثئيتتيس(Theaetetus) لأفلاطون وربما لأبعد من ذلك »[3]؛ حيث ارتبط ظهور مفهوم الاقتضاء، في فلسفة اللغة العادية، بمفهوم الإحالة، وكان الفيلسوف فريغة أول من نبه إلى وجود علاقة بين هذين المفهومين؛ حيث لاحظ أن صدق

[1]– منى إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص 18.

[2] – ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – جون ر. سورل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة غنيم، دار سيناترا، تونس، 2015، ص 137.

جملة ما متضمنة لاسم علم، يقتضي أن تكون لهذا الاسم العلم إحالة؛ فاقتضاء جملة كالجملة التالية، هو أن يحيل الاسم العلم كلير على شخص ما:

مات كلير فقيرا.[1]

يمكن الأخذ أيضا بمثال جورج يول(George Yule) القائم على الوصف المعرف وهوالتعريف بالإضافة "خالي" كمايلي:« سيعود خالي من كندا.

اختارت المتكلمة صيغة خالي على صيغة أن لي خالا وهو... فعلينا أن نفترض أنها لم تحس أنها في حاجة إلى إبراز هذا الجانب، بل تسعى إلى إبراز كون هذا الشخص قادما من كندا» [2].

إن الافتراض المسبق المتولد بأسماء الأعلام يقتضي أن يكون هناك مرجع في الجملة يحيل إلى وجود كيان معين، بواسطة ذلك الاسم على شرط أن يكون موجودا فعلا سواء أتعلق الأمر بما هو في الحقيقة أو ما تناوله، وتداوله الخيال من قبيل " السندباد" الذي أصبح راسخا في ذهن الجميع، والحديث عن مغامراته وتجاذب حكاياه، يجعل المتلقي يركز سمعه إلى المغامرة، وليس للسندباد كشخصية افتراضية أصبحت واقعا يكمن في الذاكرة المشتركة لثقافة مجتمع معين؛ إذ يتواجد السندباد البحري كعنصر، وجزء من هذه الثقافة المتواترة من جيل لجيل، فالسندباد موجود، ولا يستغرق ذهن المستمع البحث عن هذه الشخصية، وإنما الاستماع لما فعله، وبالتالي يتواصل الحديث بين طرفي الكلام، دون الالتفات إلى الموجود كأمر لا يقتضي الإخبار عنه، وإنما مدار الاهتمام يكون عمّا بدر منه. « وهكذا تفترض العبارات المعرفة وجود الغرض الذي تشير إليه سواء كان ذلك في العالم الحقيقي أو الخيالي الذي يقدمه الخطاب أو يبنيه» [3].

[1] – ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص20.

[2] – ج ب براون، ج يول، تحليل الخطاب، ص38.

[3]– كاترين كير برات – أوريكيوني، المضمر، ص73.

فالافتراض المسبق يتصف بكونه قائما على معلومات معروفة بين المتكلم والسامع والدرس النحوي العربي لا يخلو من ذلك؛ إذ يتضمن معارف يتشكل منها الخطاب« وهنا يحدث التقاطع بين النحو العربي واللسانيات التداولية؛ حيث الافتراض المسبق مبدأ يقوم على أساس ما للسامع من معرفة سابقة بفكرة ما في خطابه، وللتمثيل على ذلك نقدم هذه الجملة: رافقت أخي إلى المطار، وهذا تركيب نحوي يرتكز فيه الكلام على (أخي) وهو اسم مضاف إلى ياء المتكلم مما رفع عنه التنكير، فصارت الكلمة بذلك معلومة الهوية، بنسبتها إلى المتكلم، ومن ناحية ثانية يرى علماء التداولية أن هذا الخطاب ما كان ليوجهه بهذه الصورة لولا معرفة مسبقة لدى المخاطب بأن للمخاطب أخا، ولو لم يكن الأمر كذلك لجاءت الصيغة كالآتي: لي أخ مسافر رافقته إلى المطار »[1]، ونشير إلى أن هناك« فرق بين الاسم المعرف سواء بالإضافة كما في (آلهتنا)، و(أمرائنا) أم بالعلمية مثل (زيد)، وبين الاسم المنكر مثل (آلهة) و(أمراء)، فالأول من مولدات الافتراض المسبق الوجودي الذي يسلم بوجود المرجع المشار إليه، في حين أن النوع الثاني ليس كذلك»[2].

وصفوة القول من كل هذا: أن الافتراض المسبق الوجودي المتولد عن أسماء الأعلام أو التركيب الإضافي، يتضمن كيانات أو أشياء مفترضة مسبقا في ذهن المتكلم تحمل مولداتها بعدا نحويا تشمل اسم العلم كذات معروفة لدى السامع، فطرفا الخطاب على علم مسبق بأن ثمة اسم ما انطلق منه المتكلم للخوض في الحديث، يجد له مكانة حتمية لدى السامع؛ حيث يكون طرفي الاتصال على دراية سابقا بشخصية اسم العلم.

وعليه نستعرض في هذه الجداول نماذج من الافتراض المسبق الوجودي المتوافرة في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

[1] – فوزية دندوقة، البعد التداولي لقضية التعريف التنكير، مجلة القاريء للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 4 العدد 3، ص490.

[2] – هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، ص 92– 93 .

✓ **جدول الافتراض المسبق الوجودي المتولد بأسماء الأعلام:**

السياق	الجملة	المولد	اختبار النفي	الافتراض المسبق	الجزء و الصفحة
في مؤتمر العالم الإسلامي باكستان أمام المؤتمرين ماي 1952م	تلك الأقطار التي نظمها عقبة وصحبه في ممالك الإسلام جواهر	عقبة	تلك الأقطار التي نظمها/لم ينظمها عقبة وصحبه في ممالك الإسلام جواهر	>> وجود شخص محدد اسمه عقبة	ج4 ص 77
في مجمع اللغة العربية أمام أعضائه بدمشق جوان1953م	والأستاذ الدكتور جميل صليبا، وغيرهم كلهم من الجواهر التي عرفت قيمها	جميل صليبا	والأستاذ الدكتور جميل صليبا، وغيرهم كلهم من الجواهر التي عرفت/ ماعرفت قيمها	>> ثمة شخص يدعى جميل صليبا	ج 4 ص 225
خطبة تأبين محمد بن شنب أمام جمع أسرة الكتابة والقلم العاصمة 1929م	مات محمد فأسف العارفون لفضله على فضله	محمد	مات محمد فأسف/ ما أسف العارفون لفضله على فضله	>>ثمة شخص اسمه محمد	ج1 ص 45
إلى الشعب الليبي إذاعة صوت العرب القاهرة 1953م	فعلى سهول أرضكم مر عقبة فاتحا وأبو المهاجر منبتا	عقبة أبو المهاجر	فعلى سهول أرضكم مر/ لم يمر عقبة فاتحا وأبو المهاجر منبتا	>> عقبة موجود و أبو المهاجر موجود	ج4 ص 239
كلمة مؤتمر العالم				>> يعرب	ج4

الإسلامي باكستان ماي1952م	غمرت لسان يعرب	يعرب	غمـرت /لـم تغمـر لسان يعرب	موجود	ص 76
إلى الشعب الليبي إذاعـــة صـــوت العـــــــــرب القاهرة 1953م	وعليها مر إدريس ليغرس في المغرب شجرة النبوة	إدريس	وعليها مـر/لم يمـر إدريـس ليغـرس فـي المغرب شجرة النبوة	>>إدريس موجود	ج4 ص 239
خطبـــة حركتنـــا حركـــات إحيـــاء ألقاها علـى شـباب حركـــة الإخـــوان بغداد 1953م	وإن هرقـــل داهيـــة زمانه	هرقل	وإن هرقـــــــــل داهيـــة/ليس داهيـــة زمانه	>> هرقل موجود	ج 4 ص 209
السياق نفسه	لمـا سـأل هرقل أبـا سفيان	أبـــــو سفيان	لمـا سـأل/لم يسـأل هرقل أبا سفيان	>> يوجـــد شـــخص يلقـب بـأبي سفيان	ج4 ص 209
فـي مجمـع اللغـة العربيـــة أمـــام أعضـائه بدمشـق جوان 1953م	عقوقـــا لســـيدنا إبـراهيم الـذي راغ علـــى أصـــنام الكلـدانيين ضـــربا باليمين	إبراهيم الكلدانيين	عقوقا لسيدنا إبراهيم الـذي راغ / مـا راغ علـــى أصـــنام الكلـــدانيين ضـــربا باليمين	>> يوجـــد شـــخص يســـمى إبراهيم	ج4 ص 224
خطبـــة حركتنـــا حركـــات إحيـــاء ألقاها علـى شـباب حركـــة الإخـــوان بغداد 1953م	وعلى شيخ هو أبو بكر	أبو بكر	وعلـى / ولـيس علـى شيخ هو أبو بكر	>> يوجـــد شـــخص يلقـب أبـــو بكر	ج4 ص 209

خطبة حركتنا حركات إحياء ألقاها على شباب حركة الإخوان بغداد 1953م	وعلى صبي هو علي	علي	وعلى/ وليس على صبي هو علي	>> يوجد شخص يسمى علي	ج4 ص 209
خطبة حركتنا حركات إحياء ألقاها على شباب حركة الإخوان بغداد 1953م	وعلى مولى هو زيد بن حارثة	زيد بن حارثة	وعلى/ وليس على مولى هو زيد بن حارثة	>> يوجد شخص اسمه زيد بن حارثة	ج4 ص 209
في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء في حفل تنصيبهم أمام الأعضاء السابقين 12مارس1962م القاهرة	ويرضي يعرب ونزارا اللذين سكبا بها التغاريد العذبة الجميلة في آذان الأجيال	يعرب نزار	ويرضي/ ولا يرضي يعرب ونزارا اللذين سكبا بها التغاريد العذبة الجميلة في آذان الأجيال	>> يوجد شخص اسمه يعرب وآخر اسمه نزار	ج5 ص 292
السياق نفسه	ولسنا لعدنان ولا لقحطان إن سيمت العربية ضيما ونحن حماة ثغورها	عدنان قحطان	الجملة منفية	>> يوجد شخص اسمه عدنان وآخر قحطان	ج5 ص 294
خطبة صلاة الجمعة الأولى في مسجد كتشاوة أمام أركان الدولة ووفود من مختلف الدول	أن يبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمد الذي بشر به عيسى روح الله	عيسى محمد	أن يبغي/ أن لا يبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمد الذي بشر به عيسى روح	>> يوجد نبي هو عيسى >> يوجد نبي هو	ج 5 ص 307

الإسلامية العاصمة 2 نوفمبر 1962م	وكلمته		الله وكلمته	محمد	

✓ **جدول يمثل نماذج للافتراض الوجودي المتولد بالاضافة:**

السياق	الجملة	المولد	اختبار النفي	الافتراض المسبق	الجزء و الصفحة
في مؤتمر العالم الإسلامي أمام المؤتمرين بباكستان ماي 1952م	لا مفتاتا على إخواني الحاضرين	إخواني	الجملة منفية أصلا	>> للإبراهيمي إخوان	ج4 ص 77
إلى الشعب الليبي إذاعة صوت العرب القاهرة 1953م	فكان أول الواجبات على مليككم أن يحافظوا على هذا الاستقلال	مليككم حكومتكم	فكان أول الواجبات على مليككم وحكومتكم أن يحافظوا/ أن لا يحافظوا على هذا الاستقلال	>> ثمة مليك >> ثمة حكومة (موجودون)	ج4 ص 239
خطبة جواب لرئيس مؤتمر العالم الإسلامي أمام وفود العالم الإسلامي بباكستان مابين (1952-1954م)	كما يقول شاعرنا اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية	شاعرنا	كما يقول/لا يقول شاعرنا اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية	>> للأمة شاعر (الشاعر موجود)	ج 4 ص 79

السياق نفسه	وأن تفرض على رجالها أن يكونوا قدوة للناس	رجالها	وأن تفرض/ لا تفرض على رجالها أن يكونوا قدوة للناس	>> للحكومة الباكستانية رجال (الرجال موجودون)	ج4 ص 80
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية اللتي شاركت في الأمم المتحدة بباريس 29 جانفي 1952م	وهؤلاء أبناء الجزائر الذين أحييكم باسمهم يا إخواني	أبناء الجزائر	وهؤلاء أبناء الجزائر الذين أحييكم/ لا أحييكم باسمهم يا إخواني	>> للجزائر أبناء وجود أبناء (الأبناء موجودون)	ج 2 ص 465
خطبة تابين محمد بن شنب العاصمة أمام أسرة الكتابة والقلم 1929م	ولئن كان في طريق باحثي الغرب في هذا الموضوع عقبات	باحثي الغرب	ولئن كان/لم يكن في طريق باحثي الغرب في هذا الموضوع عقبات	>> للغرب باحثون (الباحثون موجودون)	ج 1 ص 47
في مجمع اللغة العربية أمام أعضائه بدمشق جوان 1953م	ولي(...)أن أكثر الأعضاء الذين هم عمده ودعائمه من أصدقائي الذين أعتز بصداقتهم	أصدقائي	ولي/ وليس لي (...) أن أكثر الأعضاء الذين هم عمده ودعائمه من أصدقائي الذين أعتز بصداقتهم	>> للإبراهيمي أصدقاء (الأصدقاء موجودون)	ج 4 ص 225
إلى الشعب الليبي إذاعة صوت العرب القاهرة 1953م	ووفق قادتكم إلى التي هي أحسن عاقبة	قادتكم	ووفق/ ولا يوفق قادتكم إلى التي هي أحسن	>> للأمة قادة (القادة موجودون)	ج 4 ص 238

إلى الشعب الليبي إذاعة صوت العرب القاهرة 1953م	فرح إخوانكم العرب والمسلمون باستقلالكم	إخوانكم	فرح/ لم يفرح إخوانكم العرب والمسلمون باستقلالكم	>> لليبيين إخوة عرب ومسلمون (العرب والمسلمون موجودون)	ج 4 ص 239
شرعة الحرب في الإسلام بإذاعة صوت العرب في القاهرة 5جوان 1955م	يوريها بين أبناء آدم	أبناء آدم	يوريها/ لا يوريها بين أبناء آدم	>> لآدم أبناء (الأبناء موجودون)	ج 5 ص 93
في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء الجدد في حفل تنصيبهم أمام الأعضاء السابقين 12مارس1962م بالقاهرة	هو فن جميل من البر بالعربية في أبنائها	أبنائها	هو فن/ ليس فن جميل من البر بالعربية في أبنائها	>> للعربية أبناء (الابناء موجودون)	ج 5 ص 292

2. الافتراض المسبق المتولد بأل التعريف:

في إطار حديث جورج يول بخصوص شمولية، وعدم اختزال الافتراض المسبق الوجودي في سياق معين، أكد أنه:« لا يفترض وجود الافتراض المسبق الوجودي في تراكيب التملك فحسب مثلا:(سيارتك لديك سيارة)، وإنما عموما في أية عبارة اسمية، عند استعمال المتكلم أي من التعابير الواردة(...)، يفترض به أن يلتزم بوجود الكيانات المسماة.

ملك السويد، القطة، الفتاة، جارتنا»[1].

إن تركيب التملك والأسماء المعرفة من خلال أمثلة جورج يول يقابلها المعرف بالإضافة، والمعرف ب (ال) التي تحيل إلى شيء محدد وموجود[2].

وقد اهتدى سيرل إلى إحالية أداة التعريف "ال" إلى مرجع محدد، بقوله: «فوظيفة أداة التعريف (...) هي أن تحدد أن المتكلم يقصد أن يحيل على نحو أحادي، (...) وحتى أقدم بخصوص أداة التعريف" ال" وصفا منافسا، أقترح أن تعتبر عند استعمالها الإحالي المعرف هو(أحد استعمالاتها فحسب) أسلوبا اصطلاحيا يشير إلى أن المتكلم يقصد الإحالة إلى شيء مفرد» [3]، ويضيف « ورأينا أنه في حالة الوصف المعرف مثل" الرجل"، يقدم المتكلم إشارة إلى أنه يقصد أن يحيل على شيء مخصوص»[4]، وهذه الإحالة تشكل افتراضا مسبقا بوجود الرجل ومثله في الجملتين التاليتين:

أ. أرجوك أن تتجاوز عن الخطأ الذي وقع مني بالأمس.

ب. أرجوك أن تتجاوز عن أي خطأ يقع مني.

فاستخدام أداة التعريف في كلمة الخطأ في الجملة (أ) يتضمن افتراضا سابقا أن هناك خطأ محددا وقع، وهذا غير متضمن في أي[5]. « والمعنى أنه إذا كان المتكلم على يقين بمعرفة السامع لمحور الحديث وموضوعه استعمل الاسم معرفا ب: "ال" وأخص منها في هذا المقام، ما اصطلح على تسميته " ال" العهدية، لأنها تشير إلى ماله علم مسبق به، بخلاف التعريف بالإضافة، فإنه يضيف إلى الاسم بضع معلومات كانت

[1] – جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، ص54.

[2] – ينظر: منى إبراهيم إبراهيم عزام، الافتراض المسبق في مسرح شوقي، دراسة لسانية تداولية، ص 18.

[3]– جون ر. سورل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، ص149.

[4]– المرجع نفسه، ص151.

[5]– ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص31.

مجهولة لدى السامع »[1].

على أنه، وفي الدرس التراثي نجد ابن هشام (ت 218هـ) قد عرض إلى ما معناه إحالية الوصف المعرف ب"ال" على ما هو موجود ومحدد بعينه، وذلك عندما قال:

« والألف واللام المعرفة تكون للعهد، كقولك:" لقيت رجلا فأكرمت الرجل" وقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾[2] ولاستغراق الجنس نحو: ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[3] وعلامتها أن يصلح موضعها كل ولتعريف الحقيقة، نحو الرجل خير من المرأة»[4].

فمن الواضح أن "ال" التعريف تعود على ما هو سابق المعرفة بين طرفي أو أطراف الخطاب ما يؤهلها لأن تكتسب البعد التداولي؛ إذ نستقي من استعمالها أثناء الكلام تحديدا لما هو معرف بواسطتها، « كذا فإن "ال" العهدية تكون للعهد الذكري نحو: لقيت رجلا فأكرمت الرجل أو العهد الذهني(العلمي) نحو »[5]:﴿ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ﴾ [6]،« أو العهد الحضوري نحو »[7]:﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم﴾[8]، « وكلها أمور ترجع إلى الاعتقادات المعارف المشتركة بين المتكلم والمتلقي، وإلى ملابسات السياق والمقام التواصلي»[9].

يمكن توضيح الأمر بإدراج المثالين التاليين:

---

[1] – رشيد حيدرة، تداولية الخطاب النحوي بين الضابط القواعدي والاستعمال الوظائفي، أطروحة دكتوراة، جامعة عبد الحميد بن باديسن، مستغانم، الجزائر، 2017/ 2018 ، ص 195.

[2] – سورة المزمل، الآية: 15.

[3] – سورة العصر، الآية: 2.

4 – عبد الله بن عبد الرحمان(بهاء الدين بن عقيل) ، شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، مصر، ط 20، ج1، 1980، ص178.

[5]– منى إبراهيم إبراهيم عزام، الافتراض المسبق في مسرح شوقي، دراسة لسانية تداولية، ص 17.

[6] – التوبة، الآية: 40 .

[7]– منى إبراهيم إبراهيم عزام، الافتراض المسبق في مسرح شوقي – دراسة لسانية تداولية – ص17.

[8] – المائدة، الآية: 3.

[9] – منى إبراهيم إبراهيم عزام، الافتراض المسبق في مسرح شوقي – دراسة لسانية تداولية – ص17.

- قرأت الرواية.
- قرأت رواية.

إذ الجملة الأولى تبيين أن الرواية (اسم معرفة) يفترض معرفة سابقة لها من المتكلم والسامع، أما الجملة الثانية فيظهر أن الرواية غير معروفة سابقا لدى المستمع؛ بحيث هي اسم نكرة لا تفترض وجود معلومة سابقة عنها، « فالعبرة إذن من التعريف، هو اختصار الكلام الكثير الذي لا طائل من ورائه، وتعويضه في شكل أبسط باللفظ المعروف لدى المتكلم والسامع كليهما، على افتراض أن السامع يملك بعضا من المعلومات والمعارف التي تخوله حسن تأويل الخطاب إلى ما يريده المتكلم دون زيادة أو نقصان»[1].

وقد تم رصد نماذج من الافتراض المسبق مولدة ب"ال" التعريف في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وفق الجدول التالي:

السياق	الجملة	المولد	اختبار النفي	الإفتراض المسبق	الجزء و الصفحة
في مؤتمر العالم الإسلامي أمام المؤتمرين بباكستان ماي1952م	تلك الأقطار التي جمعتها يد الله	ال الذهنية	تلك الأقطار التي جمعتها/ لم تجمعها يد الله	>> وجود الأقطار	ج4 ص 77
خطبة عيد الأضحى 1939أو 1940م	فاجمعوا أيها الناس	ال الحضورية	فاجمعوا/ فلا تجمعوا أيها الناس	>> وجود الناس	ج 1 ص 405

[1] – رشيد حيدرة، تداولية الخطاب النحوي بين الضابط القواعدي والاستعمال الوظائفي، ص 196.

خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية اللتي شاركت في الأمم المتحدة ببباريس 29جانفي 1952	لم يؤثر الفاتحون المتعاقبون على الشمال الإفريقي	ال الذهنية	الجملة منفية	>> علم المتخاطبين بوجود الفاتحين	ج2 ص 467
السياق نفسه	وإن نزغ بينهما الشيطان	ال الذهنية	وإن نزغ/ لم ينزغ بينهما الشيطان	>> الشيطان موجود	ج2 ص 46 5
السياق نفسه	وشعب في المغارب الثلاثة يعذب	ال الذهنية	وشعب في المغارب الثلاثة يعذب/ لا يعذب	>> المغارب الثلاثة موجودة	ج2 ص 466
السياق نفسه	ودفعوا الصليبيين عن الشرق	ال الذهنية	ودفعوا/ لم يدفعوا الصليبيين عن الشرق	>> الصليبيون موجودون	ج2 ص 468
خطبة تكريم الأستاذ بن باديس في كلية الشعب1938	فإن قمت ببعض ما يجب للقرآن وليوم القرآن فحسبي في التنويه بأعمال أخي الأستاذ أن هذا اليوم بعض حسناته	ال العهدية الذهنية	فإن قمت/ لم أقم ببعض ما يجب للقرآن وليوم القرآن فحسبي في التنويه بأعمال أخي الأستاذ أن هذا اليوم بعض حسناته	>> وجود الأستاذ	ج1 ص 366
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في	فأنا حين أخاطب إخواني الكرام الذي أتاح لي	ال العهدية	فأنا حين أخاطب/ لا أخاطب إخواني الكرام الذي أتاح لي	>> وجود اللحظة التي	ج2 ص

الأمم المتحدة بباريس 29 جانفي 1952	الحظ السعيد أن أقف أمامهم في هذه اللحظة	الحضورية	الحظ السعيد أن أقف أمامهم في هذه اللحظة	هم فيها	465
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية اللتي شاركت في الأمم المتحدة بباريس29 جانفي 1952	وقد بنيت على ذلك التقسيم أوضاع جديدة وممالك وحدود، وإن تغيير الممالك لصعب	ال العهدية الذكرية	وقد بنيت/ ولم تبنى على ذلك التقسيم أوضاع جديدة وممالك وحدود، وإن تغيير الممالك لصعب	>> الممالك موجودة	ج2 ص 471

ثانيا – الافتراض المسبق البنيوي Structural presupposition :

لا يتوقف الافتراض المسبق عند حدود الموجودات، وما يحيل إليها، «فبالإضافة إلى الافتراضات المسبقة التي ترتبط باستعمال كلمات وعبارات معينة، توجد أيضا الافتراضات المسبقة البنيوية(**Structural presupposition**) في هذه الحالة، تحلل بعض بنى الجمل عرفيا وبانتظام، على أنها تفترض مسبقا ذلك الجزء من البنية الذي افترضت صحته، ويمكننا القول: إن بإمكان المتكلمين استعمال تراكيب مثل هذه لمعاملة المعلومات على أنها مفترضة مسبقا، (أي مفترضة على أنها صحيحة) وبذلك يقبلها المستمعون على أنها صحيحة »[1].

ويتمتع التركيب الاستفهامي بهذه الخاصية، كون الافتراض المسبق جزءا من هذه البنية؛ إذ ما هو بعد أداة الاستفهام أمر معلوم، وعليه « في هذا النوع من الافتراض المسبق على سبيل المثال يتم، تفسير بنية السؤال الاستفهامي (من نوع – wh) في الانكليزية [وترجمتها في العربية]، وكما هو مبين(...) عادة مع الافتراض المسبق أن المعلومات التي تلي أداة السؤال (مثلا "متى" و"أين") معروفة الحال.

[1] – جورج يول، التداولية، ص 56–55 .

أ – متى انصرف؟(>> انصرف)

ب– من أين اشتريت الدراجة؟(>> اشتريت الدراجة) » [1].

إلا أن الاستفهام التصوري "هل انصرف؟" لا يضمن أن ذلك الشخص قد "انصرف" فلا يحمل افتراضا مسبقا بنيويا؛ فعلى الرغم من أن نقل التركيب إلى الاستفهام يبقي على مضمراته الدلالية والتداولية – حتى عد الاستفهام معيارا للنفي عند البعض– فالسؤال ب"هل" يستلزم الجواب ب"نعم" أو"لا"، وبالتالي يكون لها من الاقتضاءات ما لجملة الخبر المنفي أو المثبت[2]؛ « فالمستفهم في طلب التصديق يطلب حكما هو جاهل به، وفي طلب التصور يكون عالما بالحكم؛ لذا قصر التداوليون مفهوم الافتراض البنيوي السابق على طلب التصور الاستفهامي كما يفهم من أمثلتهم، ذلك أنه مضمن في بنية السؤال » [3].

هذا المعطى الذي يوضح االافتراض المسبق البنيوي، يبين أن الاستفهام ب"هل"، لا يحمل افتراضا مسبقا؛ لأن المستفهم يبحث عن معلومة جديدة، تستدعي إجابة تحتمل النفي كما تحتمل الإثبات وفق السياق، كواقع الجملة التالية:

- هل أكمل أطروحته؟
- لا، لم يكمل أطروحته.
- نعم، أكمل أطروحته.

نخلص إلى أن الجملة أخذت مأخذ الخبر؛ حيث إنها تحتمل الإثبات كما تحتمل النفي، ونعلم أن الافتراض المسبق لا يهتز له طرف أمام النفي باعتباره واقع مدرك، بخلاف الخبر الذي يبدو طيعا للنفي والإثبات معا، فالمتكلم يبحث عن معلومة يجهلها هي "الإكمال"، التي من الممكن أن تكون الإجابة عليها بالإكمال أو عدمه، فالإكمال معلومة جاري طلب الحصول عليها؛ بمعنى أنها المعلومة المستفهم عنها الغائبة في ذهن المتكلم

[1] – جورج يول، التداولية، ص56.

[2]– ينظر: منى إبراهيم إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص 51.

[3] – المرجع نفسه، ص 52.

بينما ركيزة الافتراض المسبق هي حضور المعلومة في ذهنه، لينطلق منها كافتراض مسبق.

وحري بنا التنويه إلى أن الافتراض المسبق البنيوي كما هو مذكور سابقا، يبرز على مستوى البنية السطحية، بثبات سواء تعلق الأمر في الحدث اللغوي بالاستفهام أو بإجابته مع ملاحظة الجملة التالية تنعكس الفكرة:

متى رحل؟

البارحة رحل.

>> رحل

إذ نلاحظ أن الافتراض المسبق ظاهر على مستوى بنية الجملة استفهاما، ونشير إلى أن المتكلم على دراية برحيل المقصود، كمعلومة مستقرة مفترضة في ذهنه، وإنما الاستفهام عن الوقت فحسب، « يمكن أن يقود نوع هذا الافتراض المسبق المستمعين إلى الاعتقاد أن المعلومة الموجودة صحيحة بالضرورة؛ لأن الافتراض المسبق يلازم السؤال، ففي الجمل الاستفهامية التصورية (Conceptualism) ، مثلا، يكون دور المتكلم واضحا جدا في إيجاد الافتراض المسبق، لذلك فهو افتراض مسبق فعلياتي بامتياز، وهو كثيرا ما يستغل في الخطاب الجدلي»[1]، وترى أوريكيوني أنه ذو ركيزة نحوية يرتبط بالأسئلة حول الأجزاء المكونة الجملة على غرار:

من غادر؟ ويعني ذلك ضمنا أحد قد غادر.

لماذا لم تعد تحبني؟ ويعني ذلك ضمنا إما/ أنك أنت لم تعد تحبني، وإما/ أنك كنت تحبني في السابق[2].

[1]– هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، ص52.

[2]– ينظر: كاترين كير برات – أوريكيوني، المضمر، ص 72، 73.

وكما جرت الأعراف اللغوية في الدرس التراثي، فإن مفهوم الافتراض المسبق البنيوي كان حاضرا، وبطبيعة الحال لم يحمل المصطلح الوافد، لكنه كان قائما على تصور تداولي توضح من خلال الوقوف عند دراسة الاستفهام، والتمييز بين أنواعه، « ويكشف الدرسان اللغوي والبلاغي كلاهما عن مدى إدراكهما انطواء طلب التصور الاستفهامي على الافتراض المسبق البنيوي وانتفاء ذلك عن طلب التصديق»[1]، يقول سيبويه(ت182هـ) عن الهمزة متلوة بأم المعادلة: « أزيد عندك أم عمرو، وأزيدا لقيت أم بشرا؟ فأنت الآن مدع أن عنده أحدهما(...) فأنت مدع أن المسئول قد لقي أحدهما أو أن عنده أحدهما(...)، واعلم أنه إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن، لأنك لا تسأله عن اللقى، وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو فبدأت بالاسم »[2]، وكما اطلعنا عليه سابقا فإن ما يلي الاستفهام يكون معلوما ومنه يمكن القول أعندك زيد أم عمرو؟ فالافتراض المسبق هو أن عند المستفهم أحدهما، وبنفس الطرح مع الاستفهام: أزيدا لقيت أم بشرا، يمكن القول: " ألقيت زيدا أم عمرو"؟ وبالتالي المعلومة الواردة بعد الاستفهام؛ أي"اللقى" أمر مفروغ منه، مما شكلت افتراضا مسبقا عند المتكلم، وبذلك يتم الإسقاط التداولي؛ لأن سيبويه قال من الأحسن، وليس الأصل فيه، « وفي حال أنك إذا قلت: " أفعلت" فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم **وجوده(...)**، " أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟ " تبدأ في هذا ونحوه بالفعل، لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه، مجوز أن يكون قد كان، وأن يكون لم يكن » [3]، هذا يوضح أن طلب التصديق لا ينطوي على افتراض مسبق؛ ولذا يكون الجواب نفيا أو إثباتا.

---

[1] – منى إبراهيم إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي– دراسة لسانية تداولية– ص 52.

[2] – عمرو بن عثمان (أبو بشر، سيبويه)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج3 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1992، ص 169.

[3] – عبد القاهر بن عبد الرحمان (أبو بكر الجرجاني)عبد القاهر بن عبد الرحمان (أبو بكر الجرجاني) ، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص87.

والافتراض المسبق البنيوي لا يتأثر بخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي لأنه حكم ضمن بنية التركيب الاستفهامي، فقوله تعالى:

﴿ مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً ﴾[1] >> الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وإن كان المعنى تفجعا.

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُون﴾[2] >> يتساءلون وإن كان المعنى تعجبا.

كيف تؤذي أباك؟ >> تؤذي أباك وأن كان إنكارا وتوبيخا وتعجبا.

كم دعوتك؟ >> دعوتك كثيرا وإن كان المعنى استبطاء[3].

وأما الأسئلة التصورية، فتولد افتراضات مسبقة نحصل عليها من التعويض عن كلمة السؤال بالمتغير الوجودي المناسب، مثلا التعويض عن كلمة الاستفهام (من؟) بالمتغير (أحد ما، شخص ما)، وعن (أين؟) بالمتغير (في مكان ما)، وعن (كيف؟) بالمتغير (بطريقة ما) كما في المثال الآتي:

من هو أستاذ اللسانيات في جامعة (كيمبرج)؟

>> ثمة شخص ما هو أستاذ اللسانيات في جامعة (كيمبرج) .

ومن الملاحظ أن هذه الافتراضات المسبقة الاستفهامية لا تتميز بالثبات عند النفي[4].

بناء على ما تقدم، نستعرض في الجدول التالي نماذج تمثل الافتراض المسبق البنيوي في خطب محمد البشير الإبراهيمي:

---

[1] – الكهف، الآية:49.

[2] – النبأ، الآية:1 .

[3]– ينظر: منى إبراهيم إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص53– 52.

[4]- ينظر: هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ص155– 156.

السياق	الجملة الاستفهامية	المولد	الافتراض المسبق	الصفحة
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في الأمم المتحدة بباريس 29 جانفي 1952م	أحقيقة ما ترى عيناي أم خيال؟	الهمزة وأم المعادلة	>> ينحصر بين الحقيقة والخيال	ج2 ص 466
السياق نفسه	فلم لا نكون كذلك؟	لم	>> لسبب ما الأمة ليست كالغرب	ج2 ص 471
موالاة المستعمر خروج عن الإسلام، بإذاعة صوت العرب في القاهرة 1955م	وماذا بين الاستعمار والإسلام من جوامع أو فوارق حتى يكون ذلك الحكم الذي قلناه صحيحا أو فاسدا؟	ماذا	>> شيء ما بين الاستعمار والإسلام	ج5 ص 68
السياق نفسه	كيف نحالف الأقوياء وقد دلت التجارب أنهم إنما يحالفوننا ليتخذوا من أبنائنا وقودا للحرب؟	كيف	>> بطريقة ما نحالف الأقوياء وقد دلت التجارب أنهم إنما يحالفوننا ليتخذوا من أبنائنا وقودا للحرب	ج5 ص 70
شرعة الحرب في الإسلام من إذاعة صوت العرب بالقاهرة 5جوان 1955م	أين ما يرتكب في حروب هذا العصر المدني من تقتيل النساء(...)إلى القنبلة الذرية التي لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم؟	أين	>> في مكان ما ترتكب حروب هذا العصر المدني من تقتيل النساء(...) إلى القنبلة الذرية التي لا تذر من شيء أتت عليه إلا	ج5 ص 94

			جعلته كالرميم	
التكالب الاستعماري على الجزائر، لعلها ألقيت في إحدى إذاعات القاهرة الفترة مابين(1954-1964م)	فكيف لا تكون مهوى أفئدتهم؟	كيف	>> بطريقة ما تكون مهوى أفئدتهم	ج5 ص 67
خطبة حركتنا حركات إحياء ألقاها على شباب حركة الإخوان بغداد 1953م	ماذا رأيت لما فارقتنا وأقبلت إلينا؟	ماذا	>>شيء ما رآه لما فارق وأقبل	ج4 ص 209
السياق نفسه	أيكم أقرب نسبا إلى هذا الرجل؟	أيكم	>> شخص من بينهم أقرب إلى الرسول "ﷺ"	ج4 ص 209
السياق نفسه	أيزيد أتباعه أم يقلون؟	الهمزة وأم	>> ينحصر بين الزيادة والنقصان	ج4 ص 209
التكالب الاستعماري على الجزائر، لعلها ألقيت في إحدى إذاعات القاهرة الفترة مابين(1954-1964)	وكيف لا يسيل لعابهم إذا ذكروا أن الجزائر مفتاح إفريقيا كلها؟	كيف	>> بطريقة ما يسيل لعابهم	ج5 ص 67
في مجمع اللغة العربية أمام أعضائه بدمشق جوان 1953	ماذا أحببت من الأمة العربية؟	ماذا	>> لشيء ما أحببت هذه الأمة	ج4 ص 225
السياق نفسه	لماذا أحببتها هذا الحب الذي بلغ درجة الافتتان؟	لماذا	>> لسبب ما أحببت هذه الأمة	ج4 ص225

خطبة تكريم الأستاذ بن باديس في كلية الشعب1938	ولماذا لا يلتمسون مثل الإحسان الكاملة في الإسلام؟	لماذا	>>لسبب ما لا يلتمسون مثل الإحسان الكاملة في الإسلام	ج1 ص 364
بالقاهرة 15ماي 1955 عبرة من ذكرى بدر ألقاها من إذاعة صوت العرب	فلماذا نغفل عن الإيمان والعقيدة، وأثرهما في انتصار أصحاب بدر على ثلاثة أضعافهم؟	لماذا	>>لسبب ما نغفل عن الإيمان والعقيدة، وأثرهما في انتصار أصحاب بدر على ثلاثة أضعافهم	ج5 ص 84
السياق نفسه	فيعلموا لماذا انكسرت فئتهم الكثيرة يوم فلسطين؟	لماذا	لسبب ما انكسرت فئتهم الكثيرة يوم فلسطين	ج5 ص 85

المبحث الثالث: الافتراض المسبق الواقعي وغير الواقعي والمعجمي في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

أولا – الافتراض المسبق الواقعي factive presupposition:

يشتغل ذهن المتكلم أثناء حديثه على ما هو واقع، وحقيقة يتبناها أطراف التواصل؛ إذ الافتراض المسبق الواقعي « يتولد من استعمال فعل (نحوي) يقيني (certain) مثل: "يعلم"، أو صفة يقينية مثل: "سعيد"، أو عبارة اسمية يقينية مثل: "الحقيقة القائلة/ العلم بأن"، مثلا، النطق بالجملة: "(جون) يعلم بأن الفريق طار إلى (بكين)" يولد الافتراض المسبق اليقيني بأن الفريق قد طار إلى (بكين)»[1]، كما يتولد عن بعض المسندات اليقينية مثل ياسف أن، يفخر أن، كان مسرورا أن[2]؛ حيث « إن الميزة الأساسية في الأفعال اليقينية أنها من زاوية الافتراض المسبق هو أنها تولد الافتراض المسبق بصدق مضمون الخبر بغض النظر عن توجهات الفاعل، فقول القائل: (علم زيد أن اللصوص قد سرقوا الدار)، ونفيه (لم يعلم زيد أن اللصوص قد سرقوا الدار) في كلتا الحالتين يولد الافتراض المسبق بأن اللصوص سرقوا الدار، والفضل في ذلك يعود إلى الفعل اليقيني (علم)، فلو وضعنا الفعل (اعتقد) مكان الفعل (علم) لاختفى الافتراض المسبق بحصول الخبر »[3].

من هنا نلاحظ الدور الفاعل للأفعال اليقينية في رصد الافتراض المسبق الواقعي فنفي الجمل لا يطال الافتراض المسبق، إذ نفي الفعل اليقيني يتوقف على الفعل في حد ذاته وليس بالافتراض المسبق، الذي يتم رصده بمنأى عن النفي، وإنما يبقى حقيقة ثابتة، كان

---

[1] – يان هوانغ، معجم أوكسفورد للتداولية، تر:هشام إبراهيم عبد الله خليفة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان ط1، 2020، ص274.

[2]– ينظر: هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ص 39.

[3] – المرجع نفسه، ص194.

مولدها الفعل اليقيني، فمن الملاحظ « بحسب العنوانات، أن أفعال اليقين تفترض مسبقا صدق أخبارها أو مطابقتها،(...) وفضلا عن ذلك، فإن الكلمات اليقينية المولدة في قائمة مولدات الافتراض المسبق لا تقتصر على الأفعال فقط (...)، وإنما تشمل الصفات أيضا مثل(كان مسرورا أن، كان حزينا أن، كان غير مبال أن، كان أسفا أن، كان فخورا أن، من الغريب أن،...إلخ)، وبإمكاننا أن نختبرها باختبار(الثبات عند النفي) للتأكد من توليدها للافتراض المسبق، فمثلا قولنا(كان / لم يكن زيد مسرورا أن أكمل دراسة الدكتوراة)، يفترض مسبقا أن زيد قد أكمل دراسة الدكتوراة » [1].

فمولدات الافتراض المسبق الوجودي، تعود إلى طبيعة معجمية إذ هي أفعال انتقالية على غرار علم وندم، التي تفترض حقيقة محتوى الجملة المتممة للفائدة التي تستهل بهذه الأفعال[2]، كما« ويلتقي هذا المفهوم والتركيب المشتمل على ما عرف لدى نحاتنا القدماء ب "أفعال القلوب" ونحوها –أن معانيها قائمة بالقلب – خاصة ما يفيد بالخبر يقينا ذلك أن الأفعال المولدة إلى الافتراض الواقعي تليها معلومة افتراضية مسبقة تعامل على أنها حقيقة[3]».

والجدول التالي يعرض نماذج من الافتراض المسبق الواقعي في خطب الشيخ محمد البشير الابراهيمي:

السياق	الجملة	المولد	اختبار النفي	الافتراض المسبق	ص
خطبة تكريم الأستاذ بن باديس في كلية الشعب 1938م	وظـــــن أن لا ملجـأ مــن الله إلا إليه	ظن	وظن/ ما ظن أن لا ملجأ إلى الله إلا إليه	>> لا ملجـــأ إلا إلى الله	ج1 ص 361

[1]– هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ص195.

[2]– ينظر: كاترين كير برات – أوريكيوني، المضمر، ص71.

[3]– منى إبراهيم إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص 68.

بالقاهرة 15ماي 1955م عبرة من ذكرى بدر ألقاها من إذاعة صوت العرب	ومن المؤسف أن المسلمين افتتنوا بالمظاهر عن استجلاء الحقائق، واستنباط العبر والحكم	من المؤسف	ومن المؤسف/ ليس من المؤسف أن المسلمين افتتنوا بالمظاهر عن استجلاء الحقائق، واستنباط العبروالحكم	>> المسلمون افتتنوا بالمظاهر عن استجلاء الحقيقة واستنباط العبر والحكم	ج5 ص83 /84
في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء الجدد في حفل تنصيبهم أمام الأعضاء السابقين 12مارس 1962 م بالقاهرة	لإيقانه بمبلغ تأثيرها في تثبيت الروابط بيننا	إيقانه	لإيقانه/ لعدم إيقانه بمبلغ تأثيرها في تثبيت الروابط بيننا	>> تأثير اللغة في تثبيت الروابط بيننا	ج5 ص 294
في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء الجدد في حفل تنصيبهم أمام الأعضاء السابقين 12مارس1962م بالقاهرة	أنا سعيد بأن أتكلم في هذا اليوم	سعيد	أنا سعيد/ لست سعيد بأن أتكلم في هذا اليوم	>> تكلم في هذا اليوم	ج5 ص 295
إلى الشعب الليبي إذاعة صوت العرب القاهرة 1953م	فرح إخوانكم العرب باستقلالكم	فرح	فرح/ لم يفرح إخوانكم العرب باستقلالكم	>> ليبيا استقلت	ج4 ص 239

خطبة تأبين محمد بن شنب بالعاصمة أمام أسرة الكتابة والقلم 1929م	وهي ناحية عرفها القليلون منا	عرفها	وهي ناحية عرفها/ لم يعرفها القليلون منا	>> أن هناك ناحية	ج1 ص 48
خطبة تأبين محمد بن شنب بالعاصمة أمام أسرة الكتابة والقلم 1929م	مات محمد، فعرفت هذه الطائفة من مات	عرفت	مات محمد، فعرفت/ فلم تعرف هذه الطائفة من مات	>> أن محمدا مات	ج1 ص 45
خطبة تكريم الأستاذ بن باديس في كلية الشعب 1938م	ولكن قليلا منهم من يعرف أن اسمه يوم كذا وأن نسبته من الشهر كذا	يعرف	ولكن قليلا منهم من يعرف/لا يعرف أن من يعرف أن اسمه يوم كذا وأن نسبته من الشهر كذا	>> أن له اسم وأن له نسبة من الشهر	ج1 ص 361
خطبة جواب لرئيس مؤتمر العالم الإسلامي أمام وفود العالم الإسلامي بباكستان مابين (1952–1954م)	فيوم يعلمون عنكم اختلافا أو اتباعا لهوى مطاعا	يعلمون	فيوم يعلمون/ لا يعلمون عنكم اختلافا أو اتباعا لهوى مطاعا	>> كانوا على اختلاف واتباع لهوى مطاع	ج4 ص 80
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في الأمم المتحدة بباريس 29 جانفي 1952	وعلموا جدنا فيه	علموا	وعلموا/ ولم يعلموا جدنا فيه	>> نحن جادون	ج2 ص 471

خطبة حركتنا حركات إحياء ألقاها على شباب حركة الإخوان بغداد 1953م	وإني فرح بهذه الجمعية التي هي قطعة من قلبي	فرح	وإني فرح/ لست فرحا بهذه الجمعية التي هي قطعة من قلبي	>> الجمعية قطعة من قلب البشير الإبراهيي	ج4 ص 210
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في الأمم المتحدة باريس 29جانفي 1952م	فلا يعرفون أن "أفيرويس"هو ابن رشد	فلا يعرفون	الجملة منفية	>> أن أفيرويس هو ابن رشد	ج2 ص 468

ثانيا – الافتراض المسبق غير الواقعي Non – Factive Presupposition:

لقد عرضنا لحد الآن سياقات يفترض أن تكون الافتراضات المسبقة فيها صحيحة وهنالك على كل حال أمثلة لافتراضات غير حقيقية، مرتبطة بعدد من الأفعال، فالافتراض المسبق هو الذي يفترض به ألا يكون حقيقيا أو صحيحا[1]، فهو الافتراض المسبق الذي تفترض عدم صحته ويضعه التداوليون على نوعين:

1. النوع الأول:

يسمى الافتراض المسبق غير الواقعي، ويرتبط بأفعال معينة[2]، إذ« هنالك أمثلة لافتراضات مسبقة غير واقعية ترتبط ببعض الأفعال في الانكليزية [ومقابلاتها العربية أيضا] الافتراض المسبق غير الواقعي (Non – Factive Presupposition) هوالافتراض المسبق الذي تفترض عدم صحته، يصاحب استعمال أفعال مثل "يحلمdream" و"يتصورimagine" و"يتظاهرPretend"(...)»[3].

[1]– ينظر: مجيد الماشطة، أمجد الركابي، مسرد التداولية، ص 69 .

[2]– ينظر: منى إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص 55.

[3] – جورج يول، التداولية، ص57.

يقوم الافتراض المسبق غير الواقعي على طبيعة معجمية حيث تنطوي الوحدات المعجمية على الافتراضات والمتمثلة في الأفعال الانتقالية المضادة، على غرار الأفعال التالية: "ادعى"و"خال"، التي تفترض زيف محتوى الجملة المتممة للفائدة التي تستهل بهذه الأفعال[1].

- « حلمت أني مثر >> لست مثريا.
- تخيلنا أنفسنا في برج العرب >> لسنا في برج العرب.
- يتظاهر أنه مريض >> ليس مريضا»[2].

والباب المصطلح عليه عند النحاة هو أفعال الرجحان، لكن التداوليين توسعوا في ذلك فجعلوا له تراكيبا وأفعالا تحمل دلالتها زيف محتوى الجملة بعدها[3]، كما الجملة: "حسبت الكلب ذئبا"، فالكلب هو ليس الذئب بالمصطلح، وهذه تفيد أن هناك الافتراض المسبق بعدم صدق القضية لأنها أفعال لا يقينية بالمصطلح التداولي الحديث، وكذلك (يتخيل ويعتقد ويظن)[4].

هذه الأفعال واردة في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، محققة افتراضات مسبقة غير واقعية يمكن طرح نماذج منها في الجدول التا لي:

---

[1]– ينظر: كاترين كيربرات – أوريكيوني، المضمر، ص 71.

[2]– مجيد الماشطة، أمجد الركابي، مسرد التداولية، ص69 .

[3] – ينظر: منى إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص 56.

[4] – ينظر: هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ص193.

السياق	الجملة	المولد	اختبار النفي	الافتـــــراض المسبق	الجزء و الصفحة
التكالـــب الاســـتعماري علـــى الجزائـــر، لعلهـــا ألقيـــت فـــي إحـــدى إذاعـــات القـــاهرة الفتـــرة مـــــــــابين(1954-1964م)	فهم يجرون وراء كل خيال يخيل لهم وجود الذهب	يخيل	فهم يجرون وراء كل خيال يخيل/لا يخيل لهم وجود الذهب	>> لا يوجـــد ذهب	ج5 ص 67
بالقـــــاهرة 15مـــــاي 1955م عبـــــرة مـــــن ذكـــرى بـــدر ألقاهـــا مـــن إذاعة صوت العرب	فتصوروا خلودها كرأي العين	تصوروا	فتصـــــوروا/ لـــــم يتصـــوروا خلودهـــا كرأي العين	>> ليســـــت خالـــدة كـــرأي العين	ج 5 ص 85
في مجمع اللغة العربية باسم الأعضـاء الجـدد في حفل تنصيبهم أمام الأعضـــاء الســـابقين 12مارس1962م بالقاهرة	فـــأوهمهم هـــذا الوصـــف أنهـــم خالـــدون حقـــا فركنوا إلى الكسل	أوهمهم	فأوهمهم/ لم يوهمهم هـذا الوصـف أنهـم خالـدون حقـا فكرنـوا إلى الكسل	>> ليســـــوا خالدين	ج 5 ص 295
خطبـــة أمـــام الوفـــود العربية والإسلامية التي شـــاركت فـــي الأمـــم المتحـــــدة ببـــــاريس 29جانفي 1952م	نعتقد فيها أن الله خلقنـــا خلقـــة الأرنب	نعتقد	نعتقد/ لانعتقد فيها أن الله خلقنـا خلقـة الأرنب	>> الله لـــــم يخلقنـا خلقـة الأرنب	ج2 ص 471

خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في الأمم المتحدة بباريس 29جانفي 1952م	وإني أتخيل أن لهم في تحريف الكثير من أسماء أعلامنا مأربا يوم كانوا يأخذونا العلم عنا	أتخيل	وإني أتخيل/ لا أتخيل أن لهم في تحريف الكثير من أسماء أعلامنا مأربا يوم كانوا يأخذونا العلم عنا	>>ليس لهم مأرب في تحريف أسماء الأعلام	ج 2 ص 468
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في الأمم المتحدة بباريس 29جانفي 1952م	ويعتقدون أننا صبيان	يعتقدون	ويعتقدون/ ولا يعتقدون أننا صبيان	>> لسنا صبيانا	ج 2 ص 468
بالقاهرة 15ماي 1955م عبرة من ذكرى بدر ألقاها من إذاعة صوت العرب	وكأنهم بهذا الافتتان يعتقدون أن انتصار الإسلام على الوثنية يوم بدر من الخوارق الخارجة عن نطاق الأسباب	يعتقدون	وكأنهم بهذا الافتتان يعتقدون/ لا يعتقدون أن انتصار الإسلام على الوثنية يوم بدر من الخوارق الخارجة عن نطاق الأسباب	>>ليس انتصار الإسلام على الوثنية يوم بدر من الخوارق الخارجة عن نطاق الأسباب	ج 5 ص 84

2. النوع الثاني: الافتراض المسبق المناقض للواقع facual- presupposition counter:

يرتبط هذا النوع بتركيب يعرف لدى التداوليين ب"الشرط المناقض للواقع" وتسمى هذه الصورة "الافتراض المسبق المناقض للواقع"[1].

أ. « لو كان العام عام سلام ما أريقت هذه الدماء.

ب.إذا كان العام عام سلام فلن تراق دماء.

فاستعمال لو في الجملة (أ) يتضمن افتراضا سابقا بامتناع أن يكون العام المقصود عام سلام، وهو غير متضمن في إذا »[2]، والملاحظ أن ما يميز هذا النوع من الافتراض المسبق أنه يعتمد على استعمال القرينة الشرطية أداة التمني " لو"، « إن مثل هذه البنية تولد قبئفتراض مخالفا للحقيقة، أي إن ما قبئفتراض ليس فقط غير صحيح، بل إنه نقيض ما هو صحيح، أو مخالف للحقائق، إنه يسمى عادة بالشرط المخالف للحقيقة الذي يفترض أن المعلومة فيه ليست صحيحة وقت التفوه بالجملة:

- لو كنت تحبني لساعدتني(>> أنت لا تحبني)» [3].

ومما نستشفه في هذا النوع يعطي انطباعا بأن ما هو مفترض مخالف لماهو مشترط،« وهو ما عرف لدى القدماء ب"الامتناع الذي تتصرف عليه دلالة " لو" حرف الشرط غير الجازم – وخصه أهل التحقيق بامتناع السبب وإن أفادت عقد السببية –»[4]، وقد أوضح ابن هشام(ت761هـ) مكمن الافتراض المسبق والآلية التي يقع بها بوساطة " لو" «فإن كل من سمع " لو فعل " فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد » [5].

---

[1]– ينظر: منى إبراهيم إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص 56.

[2] – محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 31.

[3] – مجيد الماشطة، أمجد الركابي، مسرد التداولية، ص 69 .

[4]– منى إبراهيم إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص 56.

[5] – عبد الله بن يوسف (أبو محمد جمال الدين بن هشام الأنصاري) ، مغني اللبيب في كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك حمد علي حمد الله، مجلد1، ط1،1994، ص283.

وصور هذا النوع من الافتراض المسبق تتجلى في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي وفق هذه النماذج الواردة في الجدول التالي:

السياق	الجملة	لمولد	اختبار النفي	الافتراض المسبق	الصفحة
في مؤتمر العالم الإسلامي أمام المؤتمرين بباكستان ماي 1952م	لو أن الإسلام فهم على حقيقته(...) لكان هو الدواء النافع الذي يحل العقد ويرفع الإشكال	لو أن الإسلام فهم	لو أن الإسلام فهم على حقيقته(...) لكان/لما كان هو الدواء النافع الذي يحل العقد ويرفع الإشكال	>> لم يفهم الإسلام على حقيقته	ج 4 ص 78
خطبة تكريم الأستاذ بن باديس في كلية الشعب 1938م	ولو أني جريت في هذا المضمار، وأسلس لي الكلام قيادة، كان في ذلك الوفاء لأخينا المبجل، والجفاء ليومنا الأغر المبجل	لو أني جريت	ولو أني جريت في هذا المضمار، وأسلس لي الكلام قيادة، كان/لم يكن في ذلك الوفاء لأخينا المبجل، والجفاء ليومنا الأغر المبجل	>> لم يجر الأبراهيمي في هذا المضمار، ولم يسلس له الكلام قيادة	ج1 ص 365 366
التكالب الاستعماري على الجزائر، لعلها ألقيت في إحدى إذاعات القاهرة الفترة مابين(1954-1964م)	بحيث لو استطاعت أن تردم البحر المتوسط لتصبح الجزائر قطعة بر متصلة بفرنسا فتصحح دعواها فيها	لو استطاعت	بحيث لو استطاعت أن تردم البحر المتوسط لتصبح/ لما أصبحت الجزائر قطعة بر متصلة بفرنسا فتصحح	>> لم تستطع أن تردم البحر المتوسط	ج 5 ص 67

			دعواها فيها		
في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء الجدد في حفل تنصيبهم أمام الأعضاء السابقين 12مارس1962 القاهرة	ولو أنصفنا لسميناه الطاعون	لو أنصفنا	ولو أنصفنا لسميناه/ لما سميناه الطاعون	>>لم ينصفوا	ج 5 ص 294
خطبة صلاة الجمعة الأولى في مسجد كتشاوة أمام أركان الدولة ووفود من مختلف الدول الإسلامية العاصمة 2 نوفمبر1962م	أما والله لو أن الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفوا من غير تعب، وفيئة منه إلى الحق من دون نصب، لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروعة والجلال	لو أن الاستعمار	أما والله لو أن الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفوا من غير تعب، وفيئة منه إلى الحق من دون نصب، لما كان/كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروعة والجمال	>>الاستعمار لم يعده إليكم عفوا من غير تعب، وفيئة منه إلى الحق من دون نصب	ج 5 ص 307
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في الأمم المتحدة بباريس 29 جانفي	وكم وددنا لو اجتمعت هذه الوفود في دارنا(الجزائر) فترون ما يشرح صدوركم	لو اجتمعت	وكم وددنا لو اجتمعت هذه الوفود في دارنا(الجزائر) فترون/ لا ترون ما يشرح صدوركم	>>لم تجتمع الوفود في الجزائر	ج 2 ص 465

1952م					
السياق نفسه	ولـو أننـا تعاسـرنا عليهم مـن أول يـوم فـي تقسيمنا، ولـذدنا بكعبة الوحدة نطوف بهـا ونلتـزم أركانهـا، لما نالوا منا نيلا	ولـو أننـا تعاسرنا	ولـو أننـا تعاسـرنا عليهم من أول يوم فـي تقسـيمنا، ولـذدنا/ لـم نـذد بكعبـة الوحـدة نطـوف بهـا ونلتـزم أركانهـا، لمـا نـالوا منا نيلا	>> لـم نتعاسـر علـيهم ولـم نـذد بالكعبة ولم نلتزم بأركانها	ج 2 ص 470 471
السياق نفسه	ولـو أن معتـديا اعتـدى علـى جـزء مـن انكلتـرا (وهـي كجزيـرة العـرب) لتداعى الانكليز من أطـراف الأرض لاسترجاعه	ولـو أن معتديا	ولـو أن معتـديا اعتدى علـى جـزء مـن انكلتـرا (وهـي كجزيـرة العـرب) لتداعى/ لـم يتداع الانكليـز مـن أطـراف الأرض لاسترجاعه	>> لـم يعتـدى علـى جـزء مـن انكلترا	ج 2 ص 471
ثـلاث سـنوات مـن عمـر الجمعيـة، فـي الاجتماع العام للجمعيـة أمـام الحاضـرين 1934م	ولو أن هذه الطائفة أوتيـت قلـيلا مـن الرشـد والإنصـاف لكانت للجمعية مكان الأخ من أخيه	ولـو أن هـذه الطائفة	ولـو أن هـذه الطائفـة أوتيـت قلـيلا مـن الرشـد والإنصاف لكانت/ لما كانت للجمعية مكـان الأخ مـن أخيه	>> هـذه الطائفـة لم تؤت قليلا من الرشد والإنصاف	ج1 ص 139
بالقاهرة 15ماي 1955م عبـرة	ولـو بنـاه علـى الخوارق لبطل العقل		ولـو بنـاه علـى الخوارق لبطل/ ما	>> لم يبن على الخوارق	5 ص

من ذكرى بدر ألقاهـــا مـــن إذاعـة صـوت العرب		ولو بناه	بطل العقل		84
السياق نفسه	ولـو شـاء الله لهـدى النـاس جميعا لسائق وجـداني مـن غيـر احتيـاج إلـى رسـول ولا إلى دعوة	ولـو شـاء الله	ولـــو شـــاء الله لهـدى/ لمـا هـدى النـــاس جميعـــا لسائق وجداني من غيـر احتيـاج إلـى رســول ولا إلـــى دعوة	>> الله لـم يشـأ أن يهـدى النـاس جميعـــا لســائق وجداني من غير احتيـــاج إلـــى رســول ولا إلـــى دعوة	5 ص 84

ثالثا – الافتراض المسبق المعجمي Lexical Presupposition:

مما تجود به اللغة وجود أيقونات تتخلل الجمل تمثل مفاتيح للافتراض المسبق، ما يعني أن مؤشراته واضحة على مستوى البنية السطحية للقول؛ وهذا ما توصل إليه جمهور الباحثين،«إن مصدر هذا النوع من الافتراض المسبق عند التداوليين عدد من الصيغ والمفردات والمورفيمات تغاير ما نصوا عليه للأنواع الأخرى»[1]، وقد لحظ بعض الدارسين أن الافتراض المسبق قد يرتبط بألفاظ وتراكيب تدل عليه، ولفتوا الانتباه إلى أن هذا الأمر لم ينل ما يستحق من اهتمام الدارسين، فلم يظفر بعد بدراسة شاملة، ومما أوردوه من ذلك، مما يوجد له مقابل في اللغة العربية الأزواج التالية من الجمل التي يكون الافتراض المسبق فيها مرتبطا ببعض العناصر اللغوية دون أخرى.

أ. زيد اغتيل سنة1868.

ب.زيد قتل سنة 1868.

واستخدام الفعل اغتال في الجملة(أ) يتضمن افتراضا سابقا بأن زيدا كان شخصية سياسية معروفة، لكن هذا الافتراض المسبق غير متحقق في الفعل قتل في الجملة (ب) [2] «فالنوع المعجمي هو الذي تولده مفردات معجمية، من بينها مجموعة أفعال تغير الحالة»[3]

1. أفعال تغير الحالة Change of state verbs:

ومثال ذلك:

ميري بدأت/ لم تبدأ بضرب زوجها.

ميري لم تكن تضرب زوجها.

كيسنجر استمر/ لم يستمر بحكم العالم.

---

[1] – منى إبراهيم إبراهيم عزام الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، ص 36.

[2]– ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 30.

[3] – هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ص51.

كيسنجر كان يحكم العالم.

جون أقلع / لم يقلع عن ضرب زوجته.

جون كان يضرب زوجته[1].

ومن جهة ثانية فإن (أفعال تغير الحالة) في اللغة الإنجليزية تغطي أفعال المقاربة وأفعال الشروع في اللغة العربية، وأفعال المقاربة تولد افتراضا مسبقا بعدم حصول الخبر أثناء وقت التكلم (في أفعال المقاربة والرجاء) وقبل وقت التكلم (في أفعال الشروع)[2]

«وأفعال تغير الحالة تشمل أفعال الشروع في العربية، و تشمل أيضا (أفعال الكف أو الترك أو الإقلاع)، و(أفعال المواصلة أو الصرف أو الاستمرار)، و(أفعال الإتمام)» [3].

أما الافتراض المسبق المتولد عن الفعل (كاد)، فيفيد أن الفعل المتعلق بكاد أو خبره لم يحصل من الفاعل، وهو افتراض مسبق يعتمد على المعنى الدلالي لهذه اللفظة المعجمية وهو يصدق على أوشك، وكل أفعال المقاربة، فإذا قلنا (أوشك البناء أن ينهدم)، فإن ذلك يعني أن نفترض مسبقا أنه لم ينهدم في وقت التكلم أو قبله[4]. « وأما (أفعال التحويل) ففيها شيء من (أفعال تغير الحالة)» [5]، ومما هو ملاحظ«... أن النحويين العرب تناولوا أفعال التحويل تحت باب (ظن وأخواتها) التي تنقسم على قسمين :

الأول: (أفعال القلوب).

الثاني: (أفعال التحويل)» [6].

---

[1]– ينظر: هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ص 39.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص186 –187 .

[3]– المرجع نفسه، ص191.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص188.

[5] – المرجع نفسه ص192.

[6]– المرجع نفسه، ص189.

وأفعال التحويل شأنها شأن (أفعال تغير الحالة)، تفترض مسبقا أن الوضع لم يكن كذلك قبل التحويل، فقول القائل:

- جعل الصائغ الذهب سوارا.

>> الذهب لم يكن سوارا من قبل.

وهذا يصدق في حالة نفي الجملة أيضا، أي إن الافتراض المسبق ثابت عند النفي والسبب يعود إلى طبيعة الفعل في قولنا "جعل" و"صير"، فهي تفترض مسبقا أنه لم يكن على ذلك الوصف قبل الجعل والتصيير، ولو نفينا الجملة السابقة بالقول:

- لم يجعل الصائغ الذهب سوارا.

يبقى الافتراض المسبق بأن الذهب لم يكن سوارا من قبل، وإلا فلا معنى للحديث عن جعله سوارا إذا كان هو بالأصل كذلك[1]، ويختلف الافتراض المعجمي عن الافتراض الواقعي في أن استخدام المتكلم لتعبير معين يفترض مسبقا مفهوما آخر غير معلن، أما في الافتراض الواقعي؛ فإن استعمال تعبير معين يفترض مسبقا صحة المعلومات المذكورة بعده[2].

نورد فيما يلي نماذج من الافتراض المسبق المعجمي في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي متولد عن أفعال تغير الحالة:

السياق	الجملة	المولد	اختبار النفي	الافتراض المسبق	الصفحة
في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء الجدد في حفل	حتى وصل إلى الحالة التي هو عليها اليوم	وصل	حتى وصل/ لم يصل إلى الحالة التي هو عليها اليوم	>> لم يكن على هذه الحالة من قبل	ج5 ص 293

[1]- ينظر: هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، ص 196.

[2]- ينظر: مجيد الماشطة، أمجد الركابي، مسرد التداولية، ص 68.

تنصيبهم أمام الأعضاء السابقين 12مارس1962م القاهرة					
خطبة جواب لرئيس مؤتمر العالم الإسلامي أمام وفود العالم الإسلامي لعلها بباكستان مابين (1952-1954م)	إن المسلمين بدأوا يرتابون فيكم من هذه المؤتمرات المتعاقبة	بدأوا	إن المسلمين بدأوا/ لم يبدأوا يرتابون فيكم من هذه المؤتمرات المتعاقبة	>> لم يرتب المسلمون فيهم من قبل	ج 4 ص 80
خطبة صلاة الجمعة الأولى في مسجد كتشاوا أمام أركان الدولة ووفود من مختلف الدول الإسلامية العاصمة 2 نوفمبر 1962م	جعل النصر يتنزل من عنده على من يشاء من عباده	جعل	جعل/لم يجعل النصر يتنزل من عنده على من يشاء من عباده	>> لم يكن النصر متنزلا	ج5 ص 305
في مؤتمر العالم الإسلامي أمام المؤتمرين بباكستان ماي 1952م	ولكن هجره وراده فما غار ولا أسن	هجره	ولكن هجره/ما هجره وراده فما غار ولا أسن	>> كانوا وراده من قبل	ج 4 ص 76

السياق نفسه	وهي صيانة الإسلام في دار يوشك أن يحيلها الاستعمار دار كفر	يوشك	وهي صيانة الإسلام في دار يوشك/ لا يوشك أن يحيلها الاستعمار دار كفر	>> لم يحلها الاستعمار دار كفر بعد	ج 4 ص 76
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في الأمم المتحدة بباريس 29جانفي 1952م	وعلموا جدنا فيه تابوا عن سيرتهم فينا وأقلعوا	أقلعوا	وعلموا جدنا فيه تابوا عن سيرتهم فينا وأقلعوا/ لم يقلعوا	>> كانت سيرتهم سابقا	ج2 ص 471
في مجمع اللغة العربية باسم الأعضاء الجدد في حفل تنصيبهم أمام الأعضاء السابقين 12مارس1962م القاهرة	كاد يزهق روحها	كاد	كاد/ ما كاد يزهق روحها	>> روحها لم تزهق	ج5 ص 294
خطبة حركتنا حركات إحياء ألقاها على شباب حركة الإخوان بغداد 1953 م	بدأت بالشكر على هذه النعمة	بدأت	بدأت/ لم أبدأ بالشكر على هذه النعمة	>> لم يشكر البشير الإبراهيمي من قبل	ج 4 ص 211
خطبة جواب	وجعل الخلاف		وجعل/ لم يجعل	>> لم يكن الخلاف	

لـرئيس مـؤتمر العـالم الإسـلامي أمـام وفـود العـالم الإسـلامي فـي باكسـتان مـابين (1952–195م)	فيها ممكنا للوفاق	جعل	الخـلاف فيهـا ممكنا للوفاق	فيهـا ممكنـا للوفـاق من قبل	ج 4 ص 79
خطبـة حركتنـا حركـات إحيـاء ألقاها على شباب حركـة الإخـوان بغـداد مـا بين1953م	ثـم إن الإسـلام أخـذ يسـري كمـا تسـري النـار فـي الهشيم	أخذ	ثـم إن الإسـلام أخـذ/ مـا أخـذ يسري كما تسري النار في الهشيم	>> الإسلام لم يكن يسـري كمـا تسـري النار في الهشيم من قبل	ج4 ص 209
خطبـة اجتمـاع مجلـس إدارة جمعيـة العلمـاء المسـلمين بنـادي الترقي 1934م	وقد أخذت تشعر بنقائصـها الاجتماعية	أخذت	وقد أخـذت/ ومـا أخـذت تشـعر بنقائصـها الاجتماعية	>> لـم تكـن تشـعر بنقائصها من قبل	ج1 ص 141
خطبـة حركتنـا حركـات إحيـاء ألقاها على شباب حركـة الإخـوان بغـداد مـا بين1953	فصـرنا نأكـل الحلوى ونحن في البلوى	صرنا	فصـرنا/ فمـا صـرنا نأكـل الحلوى ونحن في البلوى	>> لـم نكـن نأكـل الحلـوى ونحـن فـي البلوى	ج 4 ص 211
خطبة أمام الوفود العربيـة والإسـلامية التـي شاركت في الأمم	حتى إذا استيقظنا من نومنا أو من تنويمهم لنا	استيقظنا	حتـى إذا اسـتيقظنا/ لـم نستيقظ من نومنا أو مـن تنـويمهم	>> كانـت الأمـة نائمة في السابق	ج2 ص 468

المتحدة بباريس 29جـــــانفي 1952م			لنا		
شرعة الحرب في الإســـلام مـــن إذاعـــة صـــوت العـرب بالقـاهرة 5جوان 1955م	أوصـى بالأسـرى خيـرا حتـى جعـل إطعـــــــامهم والإحسـان إلـيهم قربة إلى الله	جعل	أوصـى/ لـم يـوص بالأسرى خيـرا حتـى جعـل إطعـــــــامهم والإحسـان إلـيهم قربة إلى الله	>>لم يكن إطعامهم والإحسان إليهم قربة إلى الله سابقا	ج5 ص 93
شـرعة الحـرب في الإسلام من إذاعة صوت العـرب بالقـاهرة 5جوان 1955م	وتركاهـــا كلمـــة باقيـــــة فـــــي الأعقاب	تركاها	وتركاهـــا/ ولـــم يتركاهـــا كلمـــة باقيـــــة فـــــي الأعقاب	>>لـم تكـن كلمـة باقية من قبل	ج5 ص 292
خطبـة اجتمـاع مجلـــــس إدارة جمعيـة العلمـاء المسـلمين بنـادي الترقي 1934م	وأخـذت تـتلمس سبل الهداية لسد تلك النقائص	أخذت	وأخـــذت/ ومـــا أخـــذت تـــتلمس سبل الهداية لسد تلك النقائص	>>لـم تكـن تـتلمس سبل الهداية من قبل	ج1 ص 141

التكراريات Iteratives:

لا تتوقف مولدات الافتراض المسبق المعجمي عند حدود أفعال تغير الحالة؛ وإنما للتكرار دور هام في توليده والتدليل على وجود الافتراض المسبق المعجمي، فالقول بحدوث شيء ما من باب التكرار، يؤكد حصوله تبعا، وبالتالي فمن المسلّم به أن هذا الحدث وقع من قبل، ما ينتج عنه افتراض الحصول سابقا.

يقدم هشام خليفة الأمثلة التالية لتوضيح الافتراض المسبق المعجمي، المولد عن طريق التكراريات:

« الصحن الطائر أتى/لم يأت ثانية.

الصحن الطائر أتى من قبل.

سنحصل/ لن نحصل على مزيد من الحلوى.

سبق أن كنت تحصل على الحلوى.

(كارتر)عاد/ لم يعد إلى الحكم.

(كارتر) كان في الحكم سابقا»[1].

بعض التكراريات الأخرى: مرة أخرى، يعود، يكرر، للمرة ال(ن).

وخطب الشيخ البشير الإبراهيمي تتضمن هذا النوع من الافتراض المسبق؛ حيث يعرض الجدول التالي نماذج منها:

السياق	الجملة	المولد	اختبار النفي	الإفتراض المسبق	الصفحة
خطبة تأبين محمد بن شنب العاصمة أمام أسرة الكتابة والقلم	هذه طائفة من قرنائك وعارفي قدرك وتلامذتك جاءتك وأنت في ثراك تجدد بك العهد بعد الأربعين	تجدد	هذه طائفة من قرنائك وعارفي قدرك وتلامذتك جاءتك وأنت في ثراك تجدد/لم تجدد بك العهد بعد الأربعين	>> هذه الطائفة عاهدته قبل الأربعين	ج1 ص 48
خطبة صلاة الجمعة الأولى في مسجد كتشاوا أمام أركان	بل هذا بيت التوحيد عاد إلى	عاد		>> كان البيت	ج5

[1] – هشام عبد الله خليفة، الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ص40.

الدولة ووفود من مختلف الدول الإسلامية العاصمة نوفمبر 1962م	التوحيد		بل هذا بيت التوحيد عاد/ لم يعد إلى التوحيد	للتوحيد سابقا	ص 306
خطبة صلاة الجمعة الأولى في مسجد كتشاوا أمام أركان الدولة ووفود من مختلف الدول الإسلامية العاصمة 2 نوفمبر 1962م	وهو أن المسجد عاد إلى الساجدين من أمة محمد	عاد	وهو أن المسجد عاد/ لم يعد إلى الساجدين الركع من أمة محمد	>> المسجد كان للساجدين الركع من أمة محمد سابقا	ج5 ص 306
في مؤتمر العالم الإسلامي أمام المؤتمرين بباكستان ماي1952م	وإنما ازداد صفاء لأن منبعه السماء	ازداد	وإنما ازداد/ ما ازداد صفاء لأن منبعه السماء	>> المنبع كان صافيا من قبل	ج4 ص 76
خطبة جواب لرئيس مؤتمر العالم الإسلامي أمام وفود العالم الإسلامي في باكستان مابين (1952–1954م)	تعود ثانية فتنقل هذه الأمم من حال إلى حال	تعود ثانية	تعود / لن تعود ثانية فتنقل هذه الأمم من حال إلى حال	>> المعجزة القرآنية حدثت من قبل	ج4 ص 79
خطبة أمام الوفود العربية والإسلامية التي شاركت في الأمم المتحدة بباريس 29 جانفي 1952م	وأننا سنعود إلى الأخذ عنهم	سنعود	وأننا سنعود/ لن نعود إلى الأخذ عنهم	>> أخذت الأمة عن الغرب سابقا	ج2 ص 468

السياق نفسه	فـــإن أردتـــم أن تســتبدلوا الســعادة بالشقاء فعودوا إلى ذلك الطرز العالي المتصل بالسماء	فعودوا	فإن أردتم أن تستبدلوا الســـعادة بالشـــقاء فعودوا/ فلا تعودوا إلى ذلــك الطــرز العــالي المتصل بالسماء	>> كـــانوا علــى ذلــك الطـــــرز العـــــالي المتصـــــل بالســـــماء سابقا	ج2 ص 472

جدول يمثل إحصاء الافتراض المسبق في خطبة الجمعة الثانية التي ألقيت سنة 1930 بجامع قرية "رأس الوادي" في أول جمعة أقيمت فيه:

نوع الافتراض المسبق	العدد	النسبة
الافتراض المسبق الوجودي	36	%97.30
الافتراض المسبق البنيوي	0	%0
الافتراض المسبق المعجمي	0	%0
الافتراض المسبق الواقعي	1	%2.70
الافتراض المسبق غيرالواقعي	0	%0
المجموع	37	100

الملاحظ في هذا الجدول هيمنة الافتراض المسبق الوجودي على الخطبة بنسبة 97.30%، بالموازاة ينحدر الافتراض المسبق الواقعي إلى النسبة الضئيلة، وبقراءة تحليلية للجدول يتجلى لنا البعد الافتراضي المسبق الوجودي الذي يبني عليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي خطبته؛ إذ له وقع كبير فيها على أساس تلك المعارف والخلفيات المشتركة بين كلا طرفي العملية التواصلية، فكان الاعتماد عليه من منطلق أن ماهو موجود وكائن ومعروف يسهل ذلك التشاكل الذهني بين الخطيب و الحضور، ما يحدث شراكة بينهما، وقد

أهل الإمام الافتراض المسبق الوجودي أو الإحالي بدعوى أنه يقتضي وجود ما يحيل إليه فسعى للأخذ بهذه النسبة العالية نظرا لخصيصة التحديد التي يتميز بها هذا النوع لينطلق الخبر على إثر الاعتقاد تسليما بوجودها مما يحيل إليه فيساعد على توضيح المقاصد أكثر وتجعل القول أكثر إقتصادا.

ملخص الفصل:

عمد البحث في هذا الفصل إلى عرض مفهوم الافتراض المسبق أولا باعتباره أهم ما تبنى عليه اللغة ليسهم بقوة في الربط بين طرفي الخطاب، وتتحقق بفضله العملية التواصلية، فكان التطرق لمفهومه من خلال القاموس الموسوعي والباحثين من مثل طه عبد الرحمان وأوريكيوني ومسعود صحراوي، والمرور إلى الوقوف على خصائصه؛ إذ الافتراض المسبق ليس إخباريا ودليل ذلك وقوفه في وجه النفي محافظا على وجوده من حيث إنه واقع حاصل ثم إلغاؤه تبعا للمعرفة الحاصلة في الواقع، بعدها مبدأ التوليفة وما يتعلق بتآلف المسميات لمرجع واحد، كما تم في هذا الفصل عرض المسببات التي تستدعي حضور الافتراض المسبق في لغة المتكلم.

وأدرج البحث أنواع الافتراض المسبق بداية من الافتراض المسبق الوجودي والافتراض البنيوي تعريفا وتطبيقا، فكانت البداية مع الافتراض المسبق الوجودي تطبيقا في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأنواعه مع الوصف المعرف المتولد بأسماء العلم والإضافة و(ال) ثم الافتراض المسبق البنيوي من الجانب النظري واستدعاء نماذج تطبيقية من الخطب، ليصل البحث في الفصل إلى الافتراض المسبق الواقعي وغير الواقعي وإضافة الافتراض المعجمي بحثا عن الإلمام بكل الأنواع، على مستوى الجداول معتمدين على توليفة بين الدرس اللساني الحديث، والدرس اللساني القديم.

كما تم على مستوى الجداول عرض الافتراض المسبق غير الواقعي الذي يفترض عدم صحته، وفي المقابل عرض الافتراض المسبق المناقض للواقع، والشرط مع "لو" وعدم حصول الأمر واقعيا، ثم ماتحمله اللغة من خلال تلك الأيقونات كأفعال تغير الحالة والتكراريات، فكان الافتراض المسبق المعجمي.

ولقد كان مدار اهتمام هذا الفصل هو إسقاط الرؤى الغربية على خطب الشيخ، وما يقابلها في اللغة العربية، إذ هناك تباين بين اللغة الإنجليزية التي كانت محل دراسة الباحثين الغربيين، واللغة العربية ما استدعى أن هناك أفعالا لا توجد إلا في اللغة العربية تم عرضها في الجداول آلية التطبيق، ما أسعفنا في التوسع أكثر بفضل طبيعة اللغة العربية.

الفصلُ الثّالث:

الحجاج في خطب الشيخ

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

توطئة:

منذ القديم والإنسان يحادث، ويكلم، ويجادل، ويحاجج، ويصنع مواقف لغوية مبنية على إثبات الذات، وتأكيد الرأي، والنظر في الآخر، والعمل على توجيه رسائل مشحونة بإرادة التأثير والإقناع، والهيمنة على ذهن المتقبل، وأكثر ما تستجلي هذه، هي تلك الإرادة في الحجاج (Argumentations)، الذي حفلت به خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؛ لهذا فإن هذا الفصل أخذ على عاتقه الولوج إلى تفكير الشيخ الحجاجي، وتتبع مسيرة أقواله، وآليات اشتغاله على الحجاج.

ولقد سلك البحث في ذلك مسلكا معاصرا، نظر في ذلك أولا نظرة ماعنة فاحصة للمقاربات الحجاجية تباعا، ثم وقع الاختيار على مقاربة "انسكوبر وديكرو " اللسانية باعتبار دراستها للحجاج داخل اللغة؛ مايعني توافر المادة التقانية الحجاجية في الخطب نفسها فيكون الحجاج أمام الباحث جاهزا للمعاينة، والتحليل وما على البحث إلا عرض تداولية الحجاج عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وإذ بنيت المقاربة المعتمدة في التحليل على السلالم الحجاجية، فهذا أتاح للبحث فسحة للخوض في الحجاج من هذه الزاوية، وإذ تثبت قدرة البشير الإبراهيمي على الأخذ بالمقولات الحجاجية، وتقديم حجج دامغة، والتوسل بالمعطى الحجاجي نزولا أو صعودا أو تراكما، ولقد اعتنى البحث بدراسة العوامل الحجاجية في خطب الشيخ، والتي اتخذ منها سبيلا لمساعدة المخاطب بالوصول سريعا للنتيجة التي يقصدها، ولم تتوقف حدود البحث عند السلالم والعوامل، بل رصد الروابط الحجاجية في خطبه، وكيف استطاع الخطيب أن يجعل من قوله مترابطا حاملا لقوة حجاجية تسير نحو تحقيق النتيجة المطلوبة، وفي الأخير آثر البحث أن يجمع كل هذا في جداول إحصائية تعكس الاستعمالات الحجاجية الأكثر ورودا في خطب محمد البشير الإبراهيمي.

المبحث الأول: الحجاج، نظرياته، مفهومه، تقنياته

أولا: نظريات الحجاج:

ليس الحجاج بموضوع جديد في الدراسات اللسانية، فقد توارثت الأجيال هذا المنحى التداولي منذ الحضارة اليونانية وفلسفتها المعهودة، دون أن تتوقف الدراسات الحجاجية عندها، فقد تواصل البحث عن كثب في العصور اللاحقة، ما استدعى تطورا حاصلا فيه، وانفتاح أفق التنوع في الدراسات والرؤى مصداقا لتباين النظرة الخاصة بالحجاج عند كل باحث، مع ذلك تبقى الوجهة التي تحمل شراكة بين كل الاتجاهات على اختلافاتها ترصد التأثير في المخاطب وإقناعه، وبتتبع كونولوجية الحدث الحجاجي يتم الوصول إلى أنه قد مر بهذه المراحل:

- « مرحلة تاسيس الحجاج مع أرسطو في كتابه (فن الخطابة).
- مرحلة انبعاث الحجاج مع شاييم بيرلمان واولبريخت تيتيكا.
- مرحلة التطور والامتداد مع رولان بارث، وأوزوالد ديكرو، وأنسكومبر، ميشيل ماييز، وأوليفيي ريبول، وألان باوسينو، وهارون كبيدي فاركا، وآخرين...» [1].

سيرورة الحجاج هذه باختلاف مراحلها تشير إلى مرحلة ركود عانى منها الحجاج بين مرحلتي التأسيس والانبعاث، ثم التطور الحاصل على إثر إيلاء كثير من الباحثين على اختلاف مشاربهم العناية بهذا الجانب التداولي؛ ليحظى برعايتهم تفحيصا وتمحيصا.

1. النظرية الكلاسيكية للحجاج البلاغي (نظرية أرسطو):

عهدنا بالفلسفة تماديها في البحث والتدقيق واستنزاف كل حيثيات الموضوع، بعملية تشريح تعالج أدق التفاصيل، وهو حال الحجاج عند أرسطو، الذي وجد فيه موضوعا هاما يمكن التبحر فيه، «وقد فضل أرسطو البلاغة على المنطق؛ لأن البلاغة أكثر فاعلية في

[1] – جميل حمداوي، المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق، دار الريف للنشر والطبع الكتروني، تطوان، المغرب، ط1 2020، ص 18.

المجتمع، وأداة ناجعة في تفعيل الجدل والخوض في المناقشات السياسية والفكرية »[1].

ويعد أرسطو المؤسس الحقيقي للبلاغة، وقد سبق عصره بآرائه الرائدة في مجال الحجاج والإقناع، وهو يستحدم أدوات حجاجية ومنطقية واستدلالية للتأثير في الآخر، ويبرز ذلك الحجاج عبر مجموعة من الوسائل الأدائية، فإما يتحقق عبر اللوغوس الذي يعني الكلام والحجج والأدلة، وإما عبر الإيتوس الذي يتمثل في مجموعة القيم والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الخطيب أو البلاغي المرسل، وإما يتجسد في الباتوس الذي يتعلق بالمخاطب، ويتعلق بثنائية الترغيب والترهيب[2]، « وعليه، فقد كانت البلاغة عند أرسطو خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، ويتوجه إلى الجمهور السامع قصد توجيهه أو إقناعه إيجابا أو سلبا»[3]، ومما يحسن قوله: أنه و« في دراسة أرسطو للقياس اهتم كثيرا بالاستنباط كمبدأ في الاستدلال ينطلق من العام إلى الخاص، وحدد الشروط الأساسية لشرعيته الصورية، بدءا بصورته القاعدية:

- كل إنسان فان (قضية كبرى).
- سقراط إنسان(قضية صغرى).
- إذن سقراط فان (نتيجة)» [4].

على ما يبدو أن الحجج عند أرسطو متصلة بعضها بعضا بطريقة استدلالية، فما على المحاجج إلا الانطلاق من حجة عامة إلى حجة خاصة؛ ليصل إلى النتيجة، ويكون بذلك المنطق العماد الأساسي في تقنيات الحجاج عند أرسطو.

---

[1] – جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص25.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص26.

[3] – المرجع نفسه، ص25.

[4] – محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص23.

2. النظرية الجديدة في الحجاج البلاغي (الأرسطيون الجدد):

بعد ركود عرفته الدراسات الحجاجية لزمن طويل، أعاد استنهاضها بيرلمان وتيتكا من جديد، لكن على وفق مقولات حجاجية خاصة، والحاصل أن توجهما البلاغي يختلف عن تصور أرسطو، « ويلاحظ أن كل نظرية تستند إلى إطار مرجعي خاص»[1].

وقد تأسست البلاغة الجديدة أوالحجاجية على يد كل من رجل القانون الشيكي شاييم برلمان(CHaim Perelman)(1912-1984م) واللسانية البلجيكية لوسي ألبريخت تيتكا(Licie Olbrechts – Tyteca) (1899-1987م) في كتابهما (الوجيز في الحجاج – البلاغة الجديدة)، ولقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام والإقناع، وقد ركز بيرلمان كثيرا على مبدأين رئسيين هما: القصد والمقام، وعلى الرغم من مميزات هذا التصور إلا أنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والأليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الفلسفية، والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية، والغرض من الحجاج هو الإقناع والتأثير والتخاطب والتواصل والتداول، ومن ثم فالحجاج فعالية تداولية جدلية دينامية، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة[2]، « هذا، وتنبني النظرية الحجاجية عند بيرلمان على دراسة آليات الخطاب الاجتماعي العام ورصد فعاليته السياسية والاقتصادية والإعلانية، والتركيز على الجدل القانوني (القضائي) أو الفلسفي على سبيل التمثيل، ومعالجة الأسئلة التطبيقية(...)، ومن ثم تحاول تقديم البلاغة برهنة عقلية لحل تلك الأسئلة من خلال تمثل المنهجية الحجاجية الأرسطية»[3].

---

[1] - عمار لعويجي، التحليل التداولي للخطاب الشعري – روميات أبي فراس الحمداني أنموذجا – أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2015/ 2016 ، ص10.

[2] – ينظر: جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 27– 28 .

[3] – المرجع نفسه، ص 30.

ويمكن صياغة تصور بيرلمان للحجاج وفق مايلي[1]:

- الحجاج نظرية تدرس التقنيات الحجاجية كوظيفة حجاجية، وشروطها وآثارها، إذ تنصب على الحجج العقلية والتجريبية، وقضايا ترجع إلى الرأي وتواجه الجانب اللاعقلاني من أهواء ورغبات ومصالح؛ مما يوجب التمييز بين الحجاج كممارسة ذاتية مستقلة، وبين البرهنة المستقلة عن الذات.
- العملية الحجاجية جدلية تنطلق مع أطروحة أو ضدها، وتتجه للإقناع أو الإفحام لتقوية الإنخراط أو تقليصه، ويتعدد فيها المخاطب كميا، ويتنوع كيفيا، ويتحقق في بنية تواصلية أحادية، من الخطيب إلى المتلقي.
- يكتسب الحجاج فعاليته من السياق الاجتماعي، ومن مالكي السلطة داخل المجتمع.
- تحتم الضرورة المعرفية والمنهجية تبني النظرية الحجاجية؛ لتطوير معرفتنا بالمجالات التي لاتساعدنا المناهج العلمية الصارمة في الإحاطة بها.

3. نظرية ستيفن تولمين Stephen Toulimin:

راعى تولمين(1922– 2009 م) في توجهه الحجاجي البعد التعليلي والسببي؛ كما وتنفرد نظريته بميزة خاصة و« هي خاصية تعدد التشكل، ونلاحظ ذلك مباشرة من مجموعة الأمثلة التي يقدمها: تنبؤ بالتغيرات، ادّعاء بالتقصير ضد أحد أرباب العمل(...)، وبشكل أكثر تحديدا، فإن الحجة عند تولمين عبارة عن خليط مكون من قضية وسبب، أوعدة أسباب تثبتها، وهذا هو ما يجعله يعتقد أن الحجة تمارس وظيفة تبريرية أصلية»[2].

ويمكن تلخيص نظرية تولمين في مايلي:

- « المنطق نظام استعادي تبريري، يهتم بالحجج التي تضفي الشرعية على النتائج وتبرر مقبوليتها، ويتسم بكونه سلوكا عمليا مماثلا لنظرية القانون، هذا التماثل يركز الوظيفة

[1] – ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 55– 56.

[2] – فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جدة السعودية، ط1،2011، ص60 – 61.

النقدية للعقل، ويتخذ من التعليل الوظيفة الأساسية للحجاج، ومن مفاهيمه الأساسية حقل الحجاج الذي يتجاوز التنوع بين الحجج، ويصنفها في حقول تتسم بنفس الخصائص»[1].

- يتكون المنطق العملي كالمحاكمات العقلانية من مراحل، تختلف في التفاصيل لكنها تتفق في البنية، ومهما اختلفت حقول الحجج وطبيعتها ووزنها، فإن التشابه في الخطاطة يجعل الحجج التعليلية متشابهة في الإجراء والبنية[2]، وبذلك« يقدم إلينا تولمين إذن نموذجا، يجعل من التعليل الوظيفة الأساسية للحجاج» [3].

4. نظرية الحجاج اللغوي:

ومن بين النظريات التي اهتمت بالدرس الحجاجي نظرية الحجاج في اللغة، وقد أسهمت بدراسته من زاوية البعد اللساني، والذي شكل طابعا خاصا بها، فتغدو اللغة بحسب منظورها حاملة للحجاج في بنيتها؛ حيث « تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللسانيlargumentaion donns la langue التي وضعها كل من أنسكومبر Anscmbre J.C، وأوزوالد ديكرو O.Ducrot (1930م)» [4] إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة ووصفها انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي« أننا نتكلم عامة بقصد التأثير»؛ بمعنى أن اللغة تحمل في طياتها بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، تتجلى في بنية الأقوال نفسها، صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا، ودلاليا[5]، وقد « قدم ديكرو من خلال بحوثه المختلفة، سواء المشتركة أو المنفردة خدمات جليلة للدراسات اللسانية، واستطاع بلورة مشروع مهم مداره حول تداولية مندمجة في الدلالة، تهتم بالخصائص الحجاجية للملفوظات أكثر ما تبحث في

---

[1] – محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 68.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 68.

[3]– المرجع نفسه، ص 68.

[4] - Anscmbre .J.C. O.Ducrot L argumentaion donns la langue , Bruscelles. Mardaga.1983 نقلا عن : جميل حمداوي من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 35.

[5]– ينظر: المرجع نفسه، ص35.

شروط صدقها»[1].

وتتعارض مع النظرية الكلاسيكية لأرسطو ونظرية البلاغة الحديثة، وتعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية مع دراسة الأهداف الحجاجية، وتأثيرها التداولي على المتلقي؛ مما يعني أن الأقوال تحمل في جوهرها مؤشرات ذاتية تدل على طابعها الحجاجي، دون أن يكون ذلك متعلقا بالسياق الخارجي، وإذا قلنا: المغاربة أفارقة، زيد مغربي، إذا زيد أفريقي، فهذا قياس منطقي حتمي أو برهان، وإذا قلنا: انخفضت درجة البرودة، إذا، سيمرض زيد، فهو حجاج أو استدلال طبيعي غير برهاني يحمل استنتاجا احتماليا، فاللغة الإنسانية حجاجية ومنطقية من داخل بنيتها، وقد أفاد ديكرو من نظرية أفعال الكلام لأوستين وسيرل وغرايس Paul Grice (1913 – 1988م)، كما أن الحجاج يتميز عن الاستدلال المنطقي أوالبرهان بتأسسه على بنية الأقوال وتسلسلها واشتغالها داخل الخطاب[2]،« وتتسم الحجج اللغوية بعدة سمات نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- **إنها سياقية:** فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة، قد تكون حجة أو نتيجة أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق»[3].
- **إنها نسبية:** فقد يقدم المتكلم حجة لصالح نتيجة ما، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى كثيرا منها، وبتعبير آخر هناك حجج قوية وحجج ضعيفة وحجج أوهى وأخرى أضعف.
- **إنها قابلة للإبطال:** إذ الحجاج اللغوي عموما، نسبي ومرن وتدريجي وسياقي على عكس البرهان المنطقي والرياضي فهو مطلق وحتمي[4].

---

[1] – جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2016، ص131.

[2] – ينظر: جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 35– 36.

[3] – أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006، ص19.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص 19 – 20 .

بهذا تكون هذه النظرية قد أحدثت طفرة في الحجاج، وصيرت السياق اللغوي العامل الخادم للحجاج، وليس السياق المعروف في التداولية، وأصبحت بمقتضى ذلك القوى الحجاجية محصورة في اللغة، « ففي القول تعليمات وتوجيهات تقدمها المكونات اللغوية تمكنه من استهداف المعنى الذي يشكل قصد المتكلم»[1].

ثانيا –مفهوم االحجاج:

إن تتبع مفهوم الحجاج يهدي إلى تباين في طرحه بين اتجاهات مختلفة، والواقع أن هذه نمطية في الدراسات اللغوية بما أنها أمور نسبية لا تحتمل ما هومطلق، وبما أن الحجاج درس لغوي، فهو الآخر لم يسلم من تشتت المفاهيم وفق حصيلة كل وجهة، « ما بين مفهوم يجعله مرادفا للجدل ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة خاصة، ونجده عند اليونان(أرسطو على سبيل المثال) ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب؛ وهو مفهوم أدق وأوضح وأعمق من المفهومين السابقين» .[2]

1. الحجاج عند بعض الغربيين:

يعرفه بيرلمان بأنه:« التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان، أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل أن تقبلها» [3] .

[1] - عيسى بلكرفة، الأبعاد التداولية في الخطاب السردي العربي المعاصر – رواية مديح الكراهية لخالد خليفة أنموذجا – أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2019/ 2020 ، ص264.

[2]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات دار المعرفة للنشر، بيروت لبنان، منوبة تونس، 2007، ص8.

[3] – فيليب بروتون، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص42.

بينما يعرفه ميشال مايير بقوله:« الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنه» [1]، والحجاج يكون في إطار نظرية المساءلة إذ ظاهر الكلام هو الجواب وضمنه هو السؤال فالحجاج عنده هو إثارة الأسئلة التي ينبني عليها الخطاب[2].

بينما ميز ديكرو بيّن المعنى العادي والمعنى الفني، وهو موضوع النظر في التداولية المدمجة[3]، « يعني الحجاج بالمعنى العادي طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا وفعالا (...)؛ إذ يجب ألا تهمل طبيعة السامع (أو المتقبل) المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلا على استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه» [4]، وينصرف ديكرو للحديث عن المعنى الثاني بقوله: « أما الحجاج بالمعنى الفني، فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية أن تكون درجية (Scalair e) أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم» [5].

كما يؤكد محمد العبد وجود تعريفات مختلفة حين قوله: « وتبرز تعريفات أخرى كون الحجاج عملا لغويا أو عملية اتصالية أو جنسا من خطاب تفاعلي مع إبراز أهم مكوناته

---

[1] – M. Meyer, Logikue, Langage et argumentation, èdition H achette, 1982 P 112 .
نقلا عن: عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، ص37.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص39.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

[4] –Chaim Perelman, Argumentaion; art.In Encyelopaedia Universalis.
نقلا عن صابر الحباشة التداولية والحجاج – مداخل ونصوص – صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1 2008، ص 21.

[5] – O P, cit. p. 88 ، نقلا عن صابر الحباشة، التداولية والحجاج – مداخل ونصوص، ص 21.

على نحو ما نجد عند أوتس ماتس(Utz Maas) وديبورا شيفرين(Deborah Schiffrin) وكل من هاينمان (Heinemann) فيفيجر(Vchweger)»[1].

2. الحجاج عند بعض العرب:

أكد طه عبد الرحمان على النزعة التداولية لمصطلح الحجاج بقوله: «و حد "الحجاج" أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي (...)، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على الالتزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، كأن تبنى الانتقالات فيه، لاعلى صور القضايا وحدها كماهو شأن البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع، وأن يطوي في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج» [2]. فقد أكد الباحث طه على النزعة التداولية للحجاج[3].

ويعرفه أيضا بقوله: « إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[4]، فمن الملاحظ أن الفيلسوف طه عبد الرحمان قد أفاض في تعريف الحجاج رابطا إياه بالبعد التداولي والجدلي.

ويتحدث خليفة بوجادي عن مفهوم يرتبط بمستويات اللغة بأكملها، بقوله: « ويمكن أن تعد اللغة بذاتها ذات بعد حجاجي في جميع مستوياتها: ويظهر ذلك في نظام بنيتها؛ لأن المتكلم يستخدم الوحدات اللسانية، (...) وفقا لأغراض التواصل المختلفة؛ ولذلك عد الدارسون بلاغة الحجاج وغايته، في أن المتكلم ينتظر ممن يوجه إليهم الخطاب حركة

---

[1] – محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص147.

[2] – طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000، ص 65.

[3] – ينظر: مصطفى بن عطية، محمد زهار، مصطلح الحجاج واستراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب القرآني، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد6، العدد2، 2022، ص473.

[4] – طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998 ص226.

تنسجم مع المقاصد القولية التي أنجبها المقام، والتي هي بدورها منسجمة مع شكل البنية المقدمة» [1].

أما أبوبكر العزاوي فيعرفه بقوله:« إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها» [2].

وحتى يوضح أبو بكر العزاوي مفهوم الحجاج أكثر أضاف قائلا: « إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع (Les Faits) المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها» [3].

على هذا فإن تعريف الحجاج عند أبي بكر العزاوي يختلف عن تعريف طه عبد الرحمان الذي تبدو نظرته للحجاج تنفتح على أفق أوسع مما يراه العزاوي؛ إذ طه ربط الحجاج بالسياق والجدل، بينما راهن العزاوي على البنية اللغوية ذاتها، متخذا من توجه المقاربة اللسانية قناعة له.

ثالثا- تقنيات الحجاج:

يقوم الحجاج على تقنيات متعددة تمنح المحاجج القدرة على التصرف بها متى أراد التأثير في المخاطب، هذه الفسحة التي توفرها اللغة له تزيده مقدرة في حمل المخاطب على الإذعان، كما تزيد الحجة نفسها قوة حجاجية مائزة نظير ما ظفرت به من تقنيات اختارها المخاطب دفعا للعملية الحجاجية قدما نحو مضاعفة الطاقة الحجاجية، تحقيقا للهدف

[1] - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر، ط 1، 2009، ص87، 88.

[2]- أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص16.

[3] - المرجع نفسه، ص16 - 17.

المرسوم محل اهتمام المحاجج، كما « يجب التقرير أولا أن دلالة الخطاب الحجاجية لا تتوقف على الظاهر من الملفوظ فحسب، بل يمكن أن يكون الحجاج بالخطاب التلميحي أيضا»[1]، ويزاوج الخطيب بين هذين الضربين في الحجاج كما يزاوج بينهما في أغراض الأخرى؛ لأن المرسل إليه يفهم ما يضمره في خطابه مثلما يفهم ما يظهره فيه، فإذا كانت تتجلى كفاءة المرسل التداولية في صناعة الخطاب، فإنها تتجلى للمرسل إليه عند تأويل الخطاب للوصول إلى مقاصد المرسل، وإدراك حججه، فلو أن التخاطب يعتمد على الاستراتيجية المباشرة لكلف الناس أنفسهم عنتا من أجل تفسير الخطاب، وتوخي الإطناب وإغفال ما تستدعيه عناصر السياق الاجتماعية من تنويع الخطاب في بنيته[2].

وقد وفرت اللغة أدوات تخدم المحاجج، جعلت من مهمته أكثر سهولة في الاستعمال وأكثر إثمارا من الناحية التأثيرية، « ويعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها، بما يتناسب مع السياق الذي يحف بخطابه، فيعمد المرسل إلى توظيف الأدوات اللغوية، بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة» [3].

ويقسم بيرلمان وتيتكا تقنيات الحجاج اللغوية إلى فئتين، وهما طرق الوصل، وطرق الفصل، ويقصد بطرق الوصل ما يتم به فهم الخطط المقربة بين العناصر المتباعدة في الأصل؛ لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وأيضا تقويم كل منها بواسطة الأخرى إيجابا أو سلبا، وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعتبر كلا واحدا أوعلى الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها[4].

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ص476.

[2] – ينظر: ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– المرجع نفسه، ص 477– 476.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص477.

أما تقسيم تقنيات الحجاج حسب ما أورده عبد الهادي بن ظافر الشهري، فتكون كما مايلي[1]:

أ. الأدوات اللغوية الصرفة:

مثل ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل النسبي، والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية والحجاج بالتبادل، والوصف وتحصيل الحاصل.

ب. الآليات البلاغية:

مثل تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، البديع، التمثيل.

ج. الآليات شبه المنطقية:

ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: (لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد)، ودرجات التوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية، مثل التعدية بأفعل التفضيل والقياس وصيغ المبالغة.

بنظرة لهذه التقنيات يتم رصد التنوع الهائل لها ما يكفل للمحاجج الأخذ بها طبقا لحاجته إذ تتوزع على مستوى الأداة اللغوية والآليات البلاغية بالإضافة إلى الآليات شبه المنطقية التي اشتغلت عليها نظرية أونسكومبر؛ وإذ أدى هذا إلى « فتح الأبواب أمام عودة الخطابة، ورجوع وظيفة الإقناع والتأثير في صفة لم نعرفها من قبل، وأصبح الخطاب يعتمد في إنجاز تلك الوظيفة، وإحداث التأثير بأسباب متنوعة منها ما يقوم على بلاغة الصورة ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير مفهومه ومتضمنه»[2].

هذه الوفرة في الأدوات والوسائل التي تمنحها اللغة تفتح الآفاق الواسعة أمام المحاجج ليجعل ذهن المتلقي في مكمن اليد، فاللغة بطبيعتها التواصلية كفيلة بتحقيق الغاية المنشودة من قبل الملقي؛ إذ تقابل المخزون الفكري الحاصل في الذهن، وما على المحاجج إلا اختيار

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ص477.

[2] – من تحليلات الخطاب البلاغي، حمادي صمود، دار قرطاج، تونس، ط1، 1999، ص133، نقلا عن: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي– تنظير وتطبيق على السور المكية – منشورات ضفاف، كلمة، الاختلاف، دار ومكتبة عدنان، بيروت لبنان، ، أريانة تونس، الجزائر العاصمة الجزائر، بغداد، العراق، ط1، 2015، ص 19 .

ما يناسب هذا المخزون من تقنيات حجاجية كفيلة بأن تعكس ما في الذهن من جهة ومن جهة أخرى تحقيق طلب البحث عن التأثير في المحاجج إليه؛ إذن الحجة تكون ذات وجهين، وجه مادي وهو اللغة، ووجه مجرد وهو تلك الأفكار المخبوءة في الذهن، والتي يعمد المحاجج من خلال اللغة إلى استدراج المتلقي حتى يقبل بها.

المبحث الثاني:السّلالم الحجاجية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

أولا – مفهوم السلم الحجاجي :

تبعا للمعطى النظري الذي أفاض فيه كل من ديكرو وأنسكومبر، أصبحت الدراسة الحجاجية تقوم على مبدأ تراتبية الحجج، وأن هذه الحجج في بنائها على هذا الشكل تستدعي بالضرورة القول بوجود نتيجة ما على وفق مسار قد يكون بصفة تصاعدية أو تنازلية أو حتى تراكمية، بفضل أدوات لغوية تساعد على تثبيت الوجهة الحجاجية في اتجاه معين و«تتجلى العلاقة المجازية بين الدعوى والحجة، لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حد ما وذلك بالرغم من أنها تتجسد، بطبيعة الحال، من خلال الأدوات اللغوية، فيتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتبها حسب قوتها، إذ لا يثبت، غالبا، إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق؛ ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه» [1].

ويقدم طه عبد الرحمان تعريفا له بقوله: « السلم الحجاجي هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود
- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه»[2].

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص499 – 500.

[2] – طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، ص 277.

أما أبو بكر العزاوي فيقول:« السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

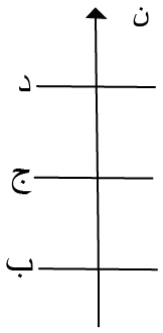

"ب" و"ج" و"د": حجج وأدلة تخدم ن=النتيجة النتيجة"ن".»[1]

إن الحديث عن السلم الحجاجي هو حديث عن اتجاه الحجاج قوة أوضعفا بصفة تدرجية، « ومن أبسط تمثيلاته ما يكتب عن الإنسان عند عرض سيرته الذاتية من التراتبيات في حياته منها نموه المعرفي وأعماله»[2].

فإذا أخذنا الجمل الآتية:

- حصل زيد على الشهادة الثانوية.
- حصل زيد على شهادة الإجازة.
- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى نفس الفئة والسلم الحجاجي؛ فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة، من قبيل "كفاءة زيد" أو "مكانته العلمية".

[1] – أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 20.

[2]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص499 –500.

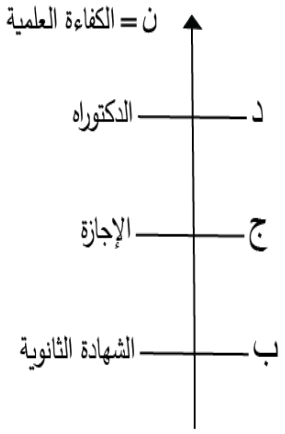

ولكن القول الأخير هو الذي يتموضع في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية، ويكون الترميز لهذا السلم الحجاجي كما هو مبين في الترسيمة[1]، والسلم الحجاجي يقوم على[2]:

- «الأدوات اللغوية: كالروابط الحجاجية، مثل (بل، لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب) السمات الدلالية، ودرجات التوكيد.
- الصيغ الصرفية: أفعل التفضيل، صيغ المبالغة.
- المفهوم: الموافقة المخالفة.
- حجة الدليل».

كما وأوضح الشهري اتساع مجال التراتبية بقوله ومع أن السلم الحجاجي يبدو مقتصرا على العلاقات اللغوية أو شبه المنطقية، إلا أنه يمكن« توسيع مفهومه،(...) ليصبح إطارا عاما لتفاضل الحجج، بل وتغليب بعضها على البعض الآخر، انطلاقا من المخزون اللغوي ونظامه والتراتبيات المختزنة في ذهن الإنسان، بتفعيل الكفاءة التداولية»[3].

[1] – ينظر، أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 21.

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 508.

[3] – المرجع نفسه، ص 504.

ثانيا – السّلالم التصاعدية:

مباشرة من خلال العنوان يتضح أن التدرج من الأسفل إلى الأعلى هو سمة هذا الصنف من السلالم، ويرتبط بالقوة الحاججية التي تعتبر « مقوم أساسي تتجلى من خلالها درجة الحجاج ومدى فاعليته في إنجاح التأثير والإقناع للوصول إلى النتيجة، إضافة إلى إبراز السلمية التي تتخذها الحجج المستعملة في دعم النتيجة وتأكيدها، مقارنة بأخريات هي أقل فعالية وتأثيرا»[1]، وسيرورة التدرج في السلم نحو الارتفاع تأتي من أجل التسليم بالنتيجة بواسطة الإنسجام في هذه الحجج عبر تراتبيتها التصاعدية وصولا إلى النتيجة، وهذا هو هدف المرسل[2]، إذ يبدأ منشئ الخطاب بإيراد الحجة الضعيفة، ثم الحجة القوية ثم الأقوى[3].

وحيث إن خطب الشيخ البشير الإبراهيمي تحفل بهذا النوع من السلالم، فإنه سيتم استيقاء نماذج منها وهي:

النموذج الأول:

«إن النبوة من أكمل الخصائص الإنسانية وأشرف المواهب الإلهية، ولكن الله حين يرفع ذكر الأنبياء يضعهم في الدرجة الأولى من معارج الرقي، وهي درجة العبودية لله، فمحمد عبد الله قبل أن يكون رسوله، وفي القرآن: (وأذكر عبدنا أيوب،) و(أذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب)»[4].

---

[1] – حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان ط1، 2010، ص169.

[2] – ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي– تنظير وتطبيق على السور المكية– ص 120.

[3] – ينظر: عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 371، نقلا عن: عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، مجلة أوروك العدد 2، المجلد 9، 2016، ص83.

[4] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص464.

تحليل النموذج:

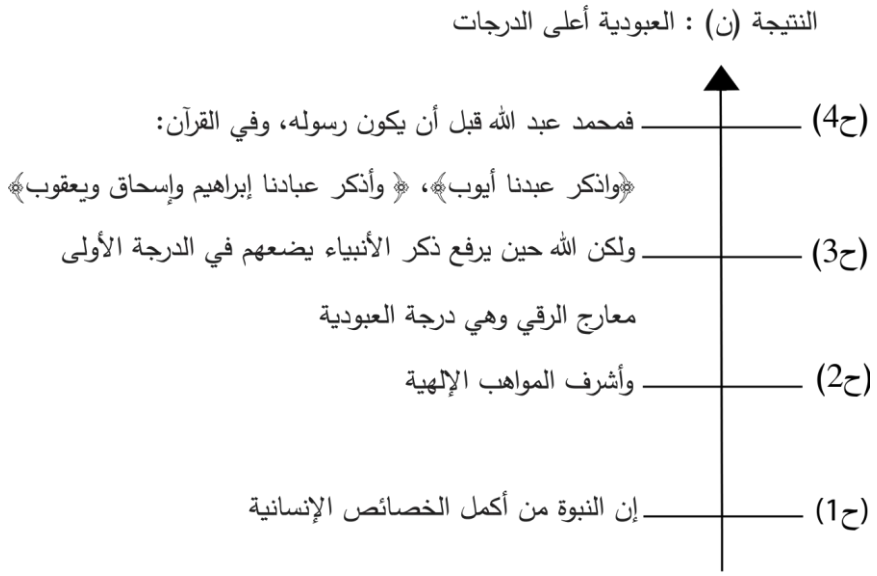

الحجة الأولى: "إن النبوة من أكمل الخصائص الإنسانية".

ابتدأ البشير الإبراهيمي خطبته بالمؤكد "إن" ، منزلا المخاطب منزلة المتردد، فلا مناص أن توسل الخطيب بالتوكيد هو رفعة للمقام الحجاجي، وليس بالضرورة أن المتلقي شاك في أن النبوة من أكمل الخصائص الإنسانية؛ بل هي من البديهيات والمعارف المشتركة التي لا تستدعي التوكيد لكن فعل التأثير، والحجاج يقوم على الدرجة السلمية، وهو ما جعل الشيخ يركن إليه، هذا، ومن نافلة القول أن المؤكدات هي الأخرى لها حقها من التدرج على السلمية التراتبية، « فالابتدائي هو ما خلا من المؤكدات يقع في قاعدة السلم في حين أن الخبر الطلبي هو ما قام على مؤكد واحد أما الخبر الإنكاري، فهو ما قام على أكثر من مؤكدين، وعليه فإن قراءة القدامى للخبر على هذا النحو تؤهلنا أن ندرسه؛ أي الخبر ضمن سلمية اللغة»[1]، وإذ اكتفى الخطيب بالإفادة من الدرجة السلمية الأولى للتوكيد، فذاك تباعا للمستوى الحجاجي الخاص بالحجة الأولى باعتبار وجودها أسفل السلم الحجاجي، فمن البداية استعجل وبدأ ب"إن" أخذا بمقتضيات القوة الحجاجية، كما تضمنت الحجة صيغة

[1] – عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص 128– 129 .

التفضيل "أكمل"، والتي تناسب سياق الرفع من مكانة النبوة بالنظر إلى بقية الخصائص الإنسانية للتعبير عن أفضليتها كمالا، متبوعة بالمضاف الوارد بصيغة منتهى الجموع دلالة على كثرة الخصائص التي تتفاضل عليها النبوة من ناحية الكمال، ومع هذا تبقى هذه الحجة تشكل أدنى السلم الحجاجي تحسبا للحجاج التصاعدي، إذ« غالبا ما تكون الحجة الأولى المطروحة في الخطاب مهيئة للمتلقي ومحفزة لذهنه على التواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعدية على وفق قوتها لاستمالة المتلقي وإذعانه»[1]، وهذا كان مناط الشيخ في حجاجه التصاعدي، لتحقيق النتيجة التي يريدها، وتجهيزا للرمي بالثقل الحجاجي لاحقا.

الحجة الثانية: "وأشرف المواهب الإلهية"

بواسطة الرابط الحجاجي التساوقي "الواو" عمد البشير الإبراهيمي إلى الربط بين الحجتين بشكل تصاعدي، مضيفا صيغة التفضيل مرة أخرى "أشرف"؛ ليؤكد تفاضل"النبوة" عن بقية المواهب الإلهية في مرتبة الشرف هي الأخرى، معززا مجددا حجاجه بصيغة منتهى الجموع دلالة على كثرة المواهب الإلهية التي تتفوق عليها النبوة شرفا، فالملاحظ في الحجتين أنهما تسيران في نسق واحد من ناحية الأوزان مما زادهما رونقا وجمالية تسلب المستمع عقله؛ ليتطابق الحجاج وزنا ويتمايز قوة، لكن ومصداقا دائما لسياق التفاضل مناط الحجة ومناط منهج التحليل، فقد تفردت الحجة الثانية بكونها الأقوى؛ وذلك أن الخطيب راعى في الحجة الأولى علاقة النبوة بالإنسانيه، أما في الحجة الثانية فقد صعد الوتيرة التراتبية بالنظر إلى كونها موهبة إلهية.

الحجة الثالثة: "ولكن الله حين يرفع ذكر الأنبياء يضعهم في الدرجة الأولى من معارج الرقي، وهي درجة العبودية".

ما انفك الخطيب يرتقي بسلميته الحجاجية، معولا في حجته الثالثة على الرابط الحجاجي "لكن"؛ إذ تتصاعد الوجهة النسقية للحجاج في اتجاه ترتيب مكانة الأنبياء، ومن

[1] – مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والأسلوبي، ص121.

مستحسن القول التنبيه إلى أن الخطيب أفاد من السمة التداولية للرابط "لكن"، مصداقا لقول (ديبورا شيفرن): « بالرغم من أن" لكن " هي من أدوات تنسيق الخطاب إلا إن لها وظيفة تداولية مختلفة، وهو أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلا مضادا؛ ولأن هذا الدور مؤسس على معناها المضاد، فإن مدى استعمالها الذهني أضيق من مدى الواو[...] إذ لا تنسق "لكن" بين الوحدات الوظيفية إلا إذا كان هناك بعضا من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي»[1]، فحجة البشير الخطيب الواردة بعد "لكن" شكلت نقيض الحجة سابقتها، فبعد أن بين البشير الإبراهيمي مكانة النبوة في وصولها الكمال وفقا للخصائص الإنسانية وأعلى مراتب الشرف وفق التدرج في مواهب الله، يعود ويستدرك أن الله لا يذكر أنبياءه من باب رفعة النبوة وإنما عبودية، فكان هذا مناط التناقض الذي أسهمت في بيانه "لكن" ؛ حيث شكلت العبودية أرفع الدرجات عند المولى عز وجل على وفق حجة البشير الإبراهيمي؛ إذ استقر أن العبودية أعلى أوسمة الرفعة عند الله سبحانه وتعالى.

الحجة الرابعة: " فمحمد عبد الله قبل أن يكون رسوله، وفي القرآن: (واذكر عبدنا أيوب) (وأذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب)"[2].

تتصاعد وتيرة الحجاج عند الخطيب مستأنفا بواسطة الرابط الحجاجي "الفاء"آخر حجة وأقواها موضحا أن محمد ﷺ عبد الله قبل أن يكون رسوله؛ أي أن العبد محمد أقرب إلى الله من كونه رسولا، ويواصل الخطيب مستشهدا بالقرآن الكريم و﴿اُذْكُر عَبْدَنَا أَيُّوب﴾، ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ لينهمر التدفق الحجاجي، ويزيد الحجاج رصيدا من القوة، مثبتا المكانة الرفيعة لعباد الله عند خالقهم، وواضعا بذلك حجته في المكان الأرفع على مستوى السلم الحجاجي توسلا بكفاءته التداولية التي خولت له إدماج الشواهد كتقانة حجاجية مركزة ليتوقف البحث ويستشهد هو الآخر بقول الفيلسوف طه عبد الرحمان في حديثه عن

[1] - Deborah schiffrin, Discourse markers, Cambridge University press, 1992. P P 152 153
نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص512.

المحاورة البعيدة أوالتناص: « طريقة ظاهرة : يعرض فيها "المحاور" شواهد من أقوال الغير مثل"النقل" و "التضمين" و"الحكاية" و"العنعنة" و"الشرح' و"الاقتباس" و"التعليق" وهلم جرا»[1] كل هذا التنامي في الحجاج مؤداه الوصول إلى نتيجة واحدة وهي(العبودية أعلى الدرجات).

النموذج الثاني:

«مادام هذا القرآن موجودا بين المسلمين يقرؤونه ويجلونه ويضعونه في مكانه من التقديس،فإن الأمل في إصلاح المسلمين لا ينقطع»[2].

تحليل النموذج:

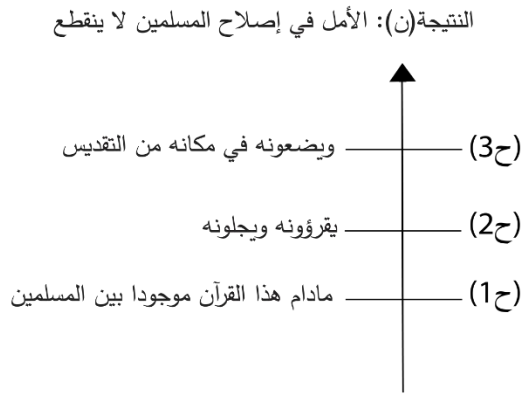

الحجة الأولى: " مادام هذا القرآن موجودا بين المسلمين".

ابتدأ الخطيب حجاجه بالحجة الأضعف على مستوى السلم الحجاجي، معتمدا على دلالة مادام في ديمومة الحدث؛ أي استمرار وجود القرآن بين المسلمين وقد" استخدم اسم الاشارة "هذا" دلالة على القرب؛ إذ هو موجود بينهم، وهذه الحجة التي تبدو الأضعف بالمنظور التداولي الحجاجي وفق السلم التصاعدي؛ وذلك بالنظر لقوة بقية الحجج.

الحجة الثانية: " يقرؤونه ويجلونه".

اتسمت هذه الحجة بكونها تقوم على جمل فعلية مضارعة متخذا منها المحاجج سبيلا للتأكيد على التجدد، في حجة أقوى من سابقتها، فإذا كانت الحجة الأولى تقوم على وجود

[1] – طه عبد الرحمان، في أصول الحواروتجديد علم الكلام، ص47.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص79.

القرآن، فإن هذه الحجة تقوم على تكرار خوضهم القراءة، والإجلال وما توحيه كلمة إجلال من تعظيم له؛ لأن وجود القرآن قد يكون حبيس الكتب والرفوف بالتالي أقل قوة من تفعيله.

الحجة الثالثة: "ويضعونه في مكانه من التقديس".

يواصل الخطيب طرح حججه تباعا خدمة للنتيجة المطروحة (الأمل بإصلاح المسلمين لا ينقطع) بشكل تصاعدي، إذ وضع القرآن الكريم في مكانه من التقديس، هو أعلى مراتب الحجج، وما التقديس إلا أرقى مراتب الاعتراف بالمكانة المرموقة للقرآن، وقد جاء الخطيب بلفظ التقديس تصعيدا للمعنى المعجمي، فالحجة السابقة احتوت الإجلال، بينما هذه الحجة تعمد الخطيب إدراج التقديس؛ لأنه يشمل التعظيم والتبجيل ويزيد عليهما التنزيه، ما أعطى الحجة ثقلا حجاجيا واضحا، وقد اعتمد الخطيب على الجملة المضارعة ليؤكد على التجديد وأردفها بما قبلها بواسطة الرابط التساوقي "الواو"؛ لتشكل التعاضد المنشود، وتسير نحو النتيجة؛ (الأمل في إصلاح المسلمين لا ينقطع).

النموذج الثالث:

«مات محمد* فأيقن زملاؤه وشركاؤه في الصنعة أنهم فقدوا بفقده ركنا من أركان العلم الصحيح، وعلما من أعلام التاريخ الصحيح، ومثالا مجسما من الأخلاق العالية والخلال الرفيعة، لا بل فقدوا معيارا من أصدق المعايير لقيم الروايات وعينا لا تغر صاحبها السراب، لا، بل فقدوا عقلا هذبه العلم وعلما هذبه العقل فأنتجا خير النتائج، لا بل فقدوا مثالا كاملا من حياة العمل والنشاط والعبادة للعلم والفناء في العلم»[1].

*محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب، تم التعريف به في الفصل الأول صفحة 34 .

[1]– أحمد طالب البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج1، ص45.

تحليل النموذج:

الحجة الأولى:"مات محمد فأيقن زملاؤه وشركاؤه في الصنعة أنهم فقدوا بفقده ركنا من أركان العلم الصحيح".

بطبيعة حجاجه القائم من الخطوة الأولى على الحجة الحاملة في لغتها لما يشحنها قوة انطلق الخطيب بالفعل اليقيني" أيقن"؛ لما يوفره من توكيد لحال زملاء الفقيد وشركائه، ثم أضاف وأكد ب"أنهم"؛ وما للتأكيد من تدعيم لقوله، وإدراجه لصفة "الصحيح" في الحجة الواقعة أسفل السلم الحجاجي، وعلى هذا« فإن الصفة تمثل أداة في الفعل الحجاجي وعلامة عليه »[1].

الحجة الثانية:" وعلما من أعلام التاريخ الصحيح".

بفضل الرابط التساوقي"الواو" أدرج الخطيب حجته الثانية القائمة على اعتبار محمد بن شنب من أعلام التاريخ، والملاحظ أنه زود حجته بتكرار الصفة "الصحيح"، وبهذا التكرار

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص487.

يحقق توازنا بين الحجتين، لكن الفارق يكمن في كون الحجة الأولى تتحدث عن العلم بينما الحجة الثانية تتحدث عن التاريخ، فالتاريخ قد يشمل ذكر العلم ما يؤهله للأخذ بأن يكون حجة أقوى من حجة العلم من حيث خصلة الشمولية.

الحجة الثالثة: "ومثالا مجسما من الأخلاق العالية والخلال الرفيعة".

ثم توجه نحو الأقوى أيضا وبمساعدة الرابط الحجاجي التساندي "الواو" أوصل بين الحجتين الأولى والثانية، أين عمد إلى إدراج الحجة الثالثة معتبرا الفقيد مجسما من الأخلاق مطعما حجته بالصفات التي تزيد الحجة طاقة حجاجية "عالية"، "الرفيعة"؛ وبذلك تتفوق هذه الحجة على نظيراتها السابقة من حيث الكم الوصفي.

الحجة الرابعة: "لا بل فقدوا معيارا من أصدق المعايير لقيم الروايات وعينا لا تغر صاحبها السراب".

يعود وينفي الشيخ كل هذا الحجاج الذي سبق استعدادا لطرح الحجة الأقوى بفضل قوة الرابط الحجاجي "بل"، فبعد أن كان علما من أعلام التاريخ هاهو يرتقي به الخطيب إلى أن يكون معيارا للروايات الصادقة، فالتاريخ قد يكون أحيانا صدقه نسبيا.

الحجة الخامسة: "لابل فقدوا عقلا هذبه العلم وعلما هذبه العقل فأنتجا خير النتائج".

مرة أخرى ينتقي المحاجج الرابط الحجاجي "بل"؛ ليقدم الحجة الأقوى على التراتبية السلمية مازاد الحجاجى انهمارا، فبعد أن كان الفقيد ركنا من أركان العلم يتراجع البشير الإبراهيمي ليصبغه بصبغة العقل والعلم معا؛ مما ساعد على تكثيف الحجاج في وصف الفقيد.

الحجة السادسة: "لا بل فقدوا مثالا كاملا من حياة العمل والنشاط والعبادة للعلم والفناء في العلم".

بعد الطرح التصاعدي للحجاج في هذا المقتطف عمل الخطيب على إنهاء السلم الحجاجي بالوصول إلى أعلى الدرجات؛ وذلك بطرحه للحجة السادسة التي تضفي طابع الحجة الأقوى، والتي تستشف من اللحظة التي يستعمل فيها الخطيب الرابط الحجاجي "بل" سبيلا لإدراج الحجة الأقوى، ومكمن القوة يظهر في نفي الحجج السابقة؛ ليرتقي بالحجة الأخيرة بمعونة "بل" الحجاجية، ويرتقي أيضا "بمحمد بن شنب"؛ ليكون المثال الكامل من حياة العمل والنشاط والعبادة للعلم والفناء فيه، ولقد وصل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالفقيد موصل الكمال؛ ما أعطى الحجة حجاجا مركزا ونتيجة نهائية مقبولة.

النموذج الرابع:

«إن عهد الله في أعناق علماء الدين لعهد ثقيل، وإن أمانة الإسلام في نفوس علمائه لعظيمة وإنهم لمسؤولون عليها يوم تنشر الصحائف في هذه الدار وفي تلك الدار»[1].

تحليل النموذج:

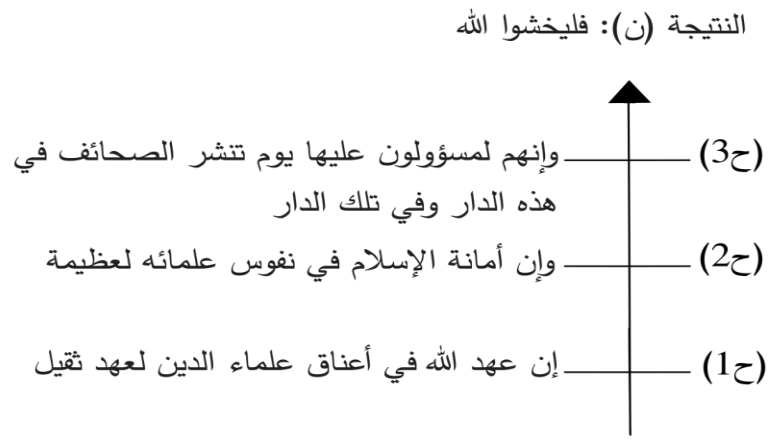

الحجة الأولى: "إن عهد الله في أعناق علماء الدين لعهد ثقيل".

ابتدأ الخطيب بعهد الله لما له من أهمية بالغة عند علماء الدين، مستخدما في حجته جمع القلة "أعناق" على وزن "أفعال" ما يتناسب مع علماء الدين، فعددهم محدود مقارنة مع

[1] – أحمد طالب البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص472 .

الآخرين، وهو يحقق تراتبية الصرف وهذا ما أكده الناجح في كتابه العوامل الحجاجية بقوله: « وليس النظام الصيغي يقوم على السلمية بل إن الأمر يتجاوزه إلى نوعية الجموع في العربية (جمع القلة، جمع الجمع، جمع الكثرة)» [1]، وقد أراد الخطيب من التوكيد ب"إن" و"لام التوكيد" إنزال المتلقي منزلة المنكر – وليس المخاطب بالمنكر– ، لكن الخطيب أراد بذلك أن يجعل من حجاجه أكثر إقناعا، بتدعيم مقولاته الحجاجية بالتوكيد، وابتداء الخطيب بالعهد قبل الأمانة متوخيا أنها تشمل العهد ما أعطى تبريرا لتواجده في أسفل السلم الحجاجي.

الحجة الثانية: " إن أمانة الإسلام في نفوس علمائه لعظيمة".

من الحجة الأدنى في السلم الحجاجي إلى الحجة الثانية مبينا الخطيب مدى عظمة الأمانة في نفوس العلماء، ولعل الخطيب هنا استعمل جموع الكثرة رعاية منه للنفس البشرية التي تتوفر هي الأخرى على مبدأ التراتبية الذي تتمتع به اللغة بمنظور التوجه الحجاجي اللساني، فمدار النفس البشرية تقوم فلسفيا على الأنا واللا أنا والهو، وهو انعكاس لما هو كائن في الدين الإسلامي من نفس أمارة بالسوء إلى النفس اللوامة إلى النفس المطمئنة فكان التعداد عند الخطيب نفس، ونفس، ونفس،...، وبذلك أصبحت نفوس، وزادت حدة الحجاج عند البشير الإبراهيمي.

الحجة الثالثة: "وإنهم لمسؤولون عليها يوم تنشر الصحائف في هذه الدار وفي تلك الدار"

بهذه الحجة يصل البشير الإبراهيمي إلى أعلى السلم الحجاجي، فبواسطة الرابط الحجاجي "الواو" ربط الحجة السابقة باللاحقة، والتي تنم عن مستوى حجاجي أقوى بدلالة تنشر الصحائف في هذه الدار وفي تلك الدار؛ إذ وقع الجمع بين الدارين زاد مساحة المسؤولية ما زاد موقف الرهبة أكثر، وعلى قرب تحمل تبعات المسؤولية بواسطة اسم الإشارة "هذه" الدار، وشمل هذا الجمع بين الدارين أيضا ماهو بعيد بدلالة اسم الإشارة" تلك" الدار

[1] – مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والأسلوبي، ص 126.

وعلى نطاق آخر، فقد استخدم المفردة"صحائف" طلبا لتزويد حجته بطاقة حجاجية أقوى ما استدعى الأخذ بصيغة منتهى الجموع على وزن "مفاعل"؛ لأنه غاية الجموع؛ وبذلك يكون الإبراهيمي قد أدرج الحد الأعلى من الجمع في حجته الأعلى من الحجاج؛ وذلك مراعاة منه لموقع هذا الجمع في تراتبية الجمع، لدلالته على عدد أكثر من جمع القلة في الحجة الأولى الواردة في أدنى السلم الحجاجي، وعدد أكثر من صيغة جموع الكثرة في الحجة الثانية فأوجد في حجته الأخيرة مفردة "صحائف"بدل "صحف"، حتى أبان حجاجه على النتيجة الضمنية (فليخشوا الله).

ثالثا – السلالم التنازلية:

تختلف هذه الصبغة الحجاجية عن سابقتها بكونها تأخذ بعدا نسقيا تنازليا، « وهو حجاج من الأقوى إلى الأضعف تترتب فيه الحجج تنازليا، ويكتسي نجاعة حجاجية أكبر عند توجيهه إلى المتلقي الشاك أو الجاحد الذي لا تنفع معه الحجج الضعيفة في بداية الخطاب»[1]، ومن هنا يتضح أن الحجة الأقوى التي ينطلق منها الحجاج تستقي أهمية كبيرة من حيث الأنفعية الحجاجية،«والحجاج طبقا لهذا القانون يمثل استراتيجية خطابية، فالمتلقي إذا أذعن للحجة الأقوى أصبح من اليسير أن يسلم للحجة الأقل قوة، ثم التسليم للحجة الأقل»[2].

وقد حظيت خطب الشيخ البشير الإبراهيمي بتوافر قسط من الحجج التي تسير على تراتبية تنازلية يمكن عرض نماذج منها وهي:

النموذج الأول:

«وقد عرفوا المقامات الثلاثة فأعطوا لكل مقام حقه غير منقوص، عرفوا مقام الألوهية فأعطوه ما يستحق من توحيد وتمجيد، وعرفوا مقام النبوة فأعطوه ما يستحق من تعظيم

[1] – عبد العالي قادة، الحجاج في الخطاب السياسي، ص 373، نقلا عن: عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، ص85.

[2] – ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي، عبد العالي قادة، ص 373، نقلا عن المرجع نفسه، ص 85.

واحترام واقتداء وتأس، وعرفوا مقام أنفسهم فأعطوها ما تستحق من تزكية وتكميل بالاستقامة على صراط الدين»[1].

تحليل النموذج:

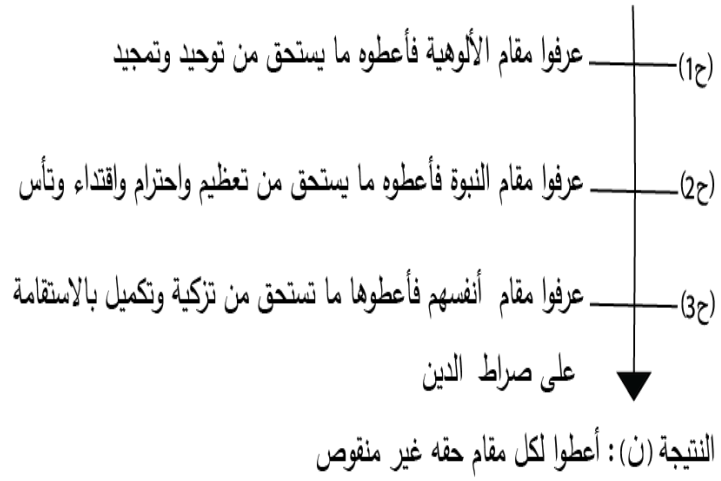

الحجة الأولى: "عرفوا مقام الألوهية فأعطوه ما يستحق من توحيد وتمجيد"

ينطلق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من حجته الكلية (وقد عرفوا المقامات الثلاثة فأعطوا لكل مقام حقه غير منقوص)؛ ليفصل فيها من خلال حجج جزئية مكونة لها؛ ولأن مقام الألوهية هو الأرفع بين المقامات، كانت الحجة الأولى التي بدأ بها الخطيب مقتطفه فعتبة الحجاج في الحجاج التنازلي تتطلب تقديم الحجة الأقوى من البداية جاعلة من المتقبل يذعن ويسلم لحجاج المخاطب من الوهلة الأولى، وهذا ما تعين على البشير الإبراهيمي، فما كان عليه إلا أن يقدم الحجة الأكثر إقناعا والأعلى تراتبية، وقد جاءت حاملة لطاقة ظاهرة ناجمة عن الشحنة الحجاجية التي أحدثها تكرار الفعل اليقيني "عرفوا"، تلتها نتيجتها المباشرة (إعطاء الألوهية ما تستحق من توحيد وتمجيد)، ساعد في استحضار النتيجة مباشرة الرابط الحجاجي "الفاء" الذي سرع في إيراد النتيجة، وإن هذا البناء الحجاجي يصور لنا مدى قدرة

[1] – أحمد طالب البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص138.

الخطيب على التأثير في المتلقي من خلال استدعاء الحجة الأقوى، والأخذ بها منطلقا يسلب ذهن المخاطب منذ اللحظة الأولى لإيراد الحجج.

الحجة الثانية: "عرفوا مقام النبوة، فأعطوه ما يستحق من تعظيم واحترام واقتداء وتأس".

تتهاوى الحجج على مستوى السلم الحجاجي وفق الترتيب المقامي؛ حيث أوصل الحجة الأولى بواسطة الرابط الحجاجي "الواو" بالحجة الثانية؛ لأن مقام النبوة يليه؛ وفي تكرار الفعل "عرفوا" توكيد لتيقنهم من المعرفة للمقامات؛ لتلتحق بها النتيجة (أعطوه ماسيتحق من تعظيم واحترام واقتداء وتأس).

الحجة الثالثة: "عرفوا مقام أنفسهم فأعطوها ما تستحق من تزكية وتكميل".

وصل الشيخ الإبراهيمي إلى آخر حجة؛ لأن مقام النفس هو الأقل رتبة، وقد سارت تراتبية الحجج في وجهة حجاجية واحدة نحو الأسفل بترتيب المقامات؛ ليحتضن السياق اللغوي نتيجة (أعطوها ما تستحق من تزكية وتكميل بالاستقامة على صراط الدين)، وكانت النتيجة المطروحة"عرف السلف كل المقامات"، والتكرار في هذه الحجج زادها تكثيفا حجاجيا مع الجملة الفعلية "فأعطوه ما يستحق" دلالة على الاستمرار والحدوث؛ لذا عمد الخطيب إلى جعل السياق اللغوي في كل حجة يحتضن التكرار من باب التوكيد، فهذا الإصرار يزيد من ترسيخ حجاج الشيخ في ذهن المتلقي عملا على إقناعه بالحجة المطروحة (أعطوا لكل مقام حقه غير منقوص).

النموذج الثاني:

«أمر بألا يقتل إلا المقاتل أو المحرض على القتال، أو المظاهر على المسلمين، نهى وتوعد عن قتل النساء والصبيان والشيوخ الهرمى والقعدة والرهبان المنقطعين في الصوامع نهى عن عقر الحيوان المنتفع به، نهى عن إتلاف الزرع وإحراق الأشجار وقطعها»[1].

[1] - أحمد طالب البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 94-93.

تحليل النموذج:

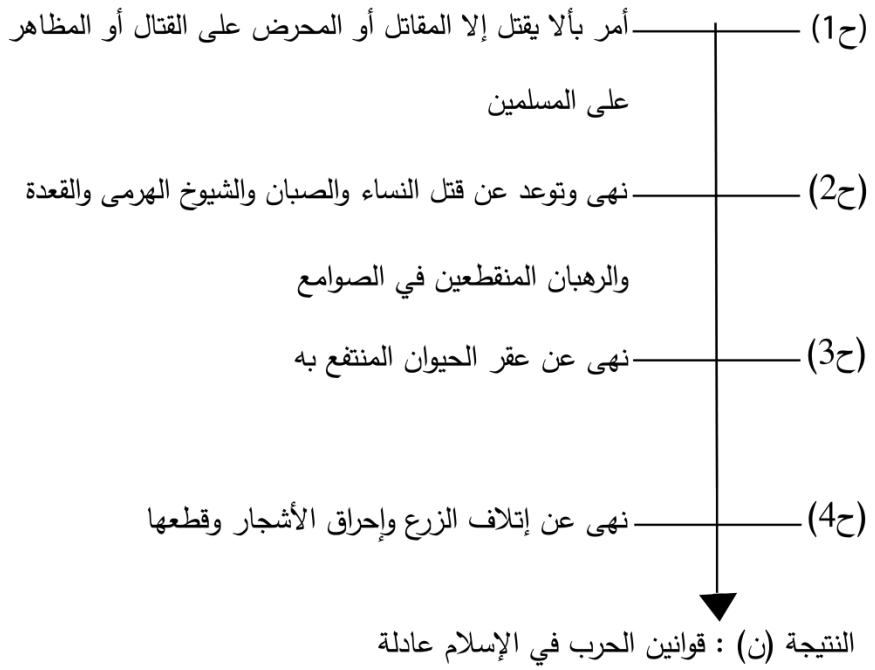

الحجـة الأولـى: "أمـر بـألا يقتـل إلا المقاتـل أو المحـرض علـى القتـال، أوالمظـاهر علـى المسلمين".

الحجة الأولى حاملة الأمر بحصر القتل على المقاتل أو المحرض أو المظاهر على الإسلام، مستندا على صيغة اسم الفاعل على وزن "مفعل" و"مفاعل" بغية إيجاد الوصف الذي يليق بمن يقتل، فإن تسليط الخطيب الضوء على الأمر لم يكن اعتباطيا بقدر ما كان لغرض تنبيه المخاطب لعدالة القوانين الإسلامية، وهو يعلم مكانة حكم الأمر في الإسلام فحاج به في المرتبة الأولى وسعى لاتخاذه منفذا للظفر بتلك الشحنة النفسية التي يحملها تنبيه المتلقي لفعل الأمر من الوهلة الأولى.

الحجـة الثانيـة: "نهـى وتوعد عن قتل النسـاء والصـبيان والشـيوخ الهرمـى والقعدة والرهبـان المنقطعين في الصوامع"

نحو النتيجة يستمر التدفق الحجاجي نزولا من أعلى السلم إلى أدناه؛ حيث تساند كل حجة سابقتها بقوة أقل، فمن الأمر إلى النهي، وإذ تتوافر هذه الحجة على الدعم الذي يزودها

به الرابط الحجاجي "الواو" في تعدادات المنهي عن قتلهم، ما أعطى الحجة قوة خاصة بها.

الحجة الثالثة: "نهى عن عقر الحيوان المنتفع به".

من النهي المتعلق بالعاقل ينزل المحاجج مرتبة أخرى أسفل السلم الحجاجي إلى النهي عن قتل الحيوان المنتفع به، وهو نهي متعلق بغير العاقل دلالة على شمولية التشريع الحربي الإسلامي.

الحجة الرابعة: " نهى عن إتلاف الزرع وإحراق الأشجار وقطعها".

يصل الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المحطة الأخيرة من رحلته الحجاجية، بترديد آخر للنهي بصفة أدنى متعلقة بالجماد، معربا عن أن إتلاف الزرع وإحراق الأشجار، وقطعها منهي عنه في الإسلام، والملاحظ هو تكرار لفظة "النهي" في الحجج الثلاث في السلم الحجاجي؛ لما للتكرار من حجاجية،« بمعنى أن التكرار يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي وتساعد على نحو فعال في إقناعه أو حمله على الإذعان ذلك أن التكرار يساعد أولا على التبليغ والإفهام ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان فإذا ردد المحتج لفكرة حجة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي»[1] فكانت النتيجة محمل قصد البشير الإبراهيمي (قوانين الحرب في الإسلام عادلة).

النموذج الثالث:

«والدّين هوملاك التهذيب النفسي، والعقل هو قسطاس الآراء التي تقوم عليها الحياة والعرض هو مقياس الشرف الإنساني، والمال هو قوام الحياة، والنسب هو مناط الفخر وملاك القوميات والنظام التفاضلي والتنافس المحمود، فإذا انهارت هذه الكليات ارتكست الإنسانية وتردت إلى الحيوانية، فحاطها الإسلام بحصون منيعة»[2].

[1] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر الغربي بنيته وأساليبه، ص 168.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 94.

تحليل النموذج:

الحجة الأولى: "والدين هوملاك التهذيب النفسي".

في هذا المقتطف يكثر الخطيب من التدفق الحجاجي؛ ليحاجج بأكثر من حجة حتى يصل إلى النتيجة مناط القصد وعين التوجه الحجاجي، ولقد أبان من البداية عن الحجة الأكثر قوة والأكثر طاقة حجاجية، وليس ببعيد أن ينطلق بها الشيخ عن قناعة عنده وعن قناعة يدركها عند المتلقي؛ لذلك كان حري بالشيخ البدء بما يجعل المتقبل أكثر انبهارا وشدا لحجته؛ لهذا كانت الحجة (والدين هو ملاك التهذيب النفسي).

الحجة الثانية: "والعقل هو قسطاس الآراء التي تقوم عليها الحياة".

وبواسطة الرابط الحجاجي "الواو"توالت المتتالية الحجاجية دعما للحجة الأولى لكن بأقل قوة مع الحجة (العقل هو قسطاس الآراء التي تقوم عليها الحياة)، ولقد يتضح في هذا القول أن الدين أقوى كحجة من العقل؛ إذ الحديث عن الدين حديث عن العقل، فلا دين دون عقل وما التهذيب النفسي إلا لصاحب عقل، فتكون بذلك حجته الأولى أعم وأرقى حجاجيا من

الثانية، لكن يبقى العقل على وفق الخطيب هو صاحب الوزن العادل السديد للآراء في الحياة، فماكان له إلا أن يورده في المراتب الأولى.

الحجة الثالثة: " والعرض هو مقياس الشرف الإنساني".

وبواسطة الرابط الحجاجي "الواو" ربط بالحجة التالية باعتبار العرض يختص بالشرف فمن الدين إلى العقل إلى العرض ينزل الحجاج نحو النتيجة المقصودة.

الحجة الرابعة: "والمال هو قوام الحياة".

ومع الحجة (والمال هو قوام الحياة)، ينحدر السلم الحجاجي إلى المال كقوام للحياة لكنه الأضعف بين الحجج السابقة، وذاك لتعلقه بالحياة الدنيا؛ حيث واصل الخطيب حجاجه مستندا على الحجة الأضعف باعتبار ما مر من الحجج قبلها.

الحجة الخامسة: " والنسب هو مناط الفخر، وملاك القوميات والنظام التفاضلي والتنافس المحمود".

اعتمد الخطيب أيضا على فاعلية الرابط الحجاجي "الواو" في الربط التنازلي بين الحجج ليصل بواسطته إلى الحجة حديث النسب، وهو أمر دقيق في العلاقات العرقية الإنسانية ولعله أضيق وأخص الكليات؛ لذلك كان أهلا للأخذ باسفل السلم الحجاجي.

الحجة السادسة: " فإذا انهارت هذه الكليات ارتكست الإنسانية وتردت إلى الحيوانية".

من باب أن أمر التأثير على المتلقي قد تم من بداية القول؛ وذلك على اعتبار الحجج الواقعة أسفل السلم الحجاجي، والتي عمل المحاجج من خلالها على الدفع بالمتلقي مباشرة إلى الإذعان، هاهو الخطيب وبواسطة الرابط الحجاجي "إذا" يدرج حجته الشرطية والتي تلحق بها نتيجتها (ارتكست الإنسانية وتردت إلى الحيوانية)؛ لتصبح هده الحجة ونتيجتها مجددا حجة للنتيجة المطروحة (فحاطها الإسلام بحصون منيعة)، والتي من أجلها استنطق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي اللغة، فأصبحت هذه الأخيرة تحمل في طياتها شارات

حجاجيته؛ ليفرض على المتلقي إقناعا وتأثيرا من داخل اللغة ذاتها، فلا يجد المخاطب نفسه إلا وقد أخذ بحجاجه، وهذا الحاصل في هذا المقتطف، إذ يريد من خلال تراتبية حجاجه التنازلية أن يظفر بإقناعه بالنتيجة المطروحة.

رابعا – السلالم التراكمية:

يتعلق الحجاج في هذا النمط من السلالم بنوع مختلف عن التصاعدي أو التنازلي «ويعرف هذا النوع من الحجاج أنه الخطاب الذي تتعدد فيه الحجج وتتراكم دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الأضعف أو العكس، ودون مراعاة التفاوت الحاصل في القوة التدليلية لتك الحجج، فكل حجة تكون أقوى وأكثر فعالية في اللحظة التي تستعمل فيها، وهو أكثر عفوية وتلقائية من النوعين السابقين»[1]، إذ أيّ حجة تخدم قصد المحاجج يمكن الحجاج بها ومجانبة التركيز على طاقتها، وإنما مدار هدفه هو تحقيق ما يتطلع إليه واستغلال كل ماجادت به اللغة خدمة له؛ ليكون هذا السلم حصارا لذهن المتلقي، فمتى توجه تفكيره لأمر يناقض كلام المحاجج إلا وتلقى حجة إن كانت تحمل قوة أو ضعفا فطاقتها في هذا السلم تختلف باختلاف آراء المتقبل؛ حيث يتضمن الطابع الحجاجي التراكمي تنوعا يحوي في المقابل أي شك أي رفض وحتى أي قبول.

وقد استثمر البشير الإبراهيمي هذا النوع من السلالم في خطبه، سيعرض البحث نماذج منها:

النموذج الأول:

«أيها الإخوان المتلاقون على هوى واحد هو هوى الوطن الجامع، المتعبدون بعقيدة واحدة هي عقيدة تحرير هذا الوطن الجامع، الطالعون كالكواكب، من أفق واحد هو هذا الشرق

[1] – الحجاج في الخطاب السياسي، عبد العالي قادة، ص374، نقلا عن: عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، ص 86 .

الذي أطلعت سماؤه الشمس والقمر، وأطلعت أرضه الأنبياء والحكماء»[1].

تحليل النموذج:

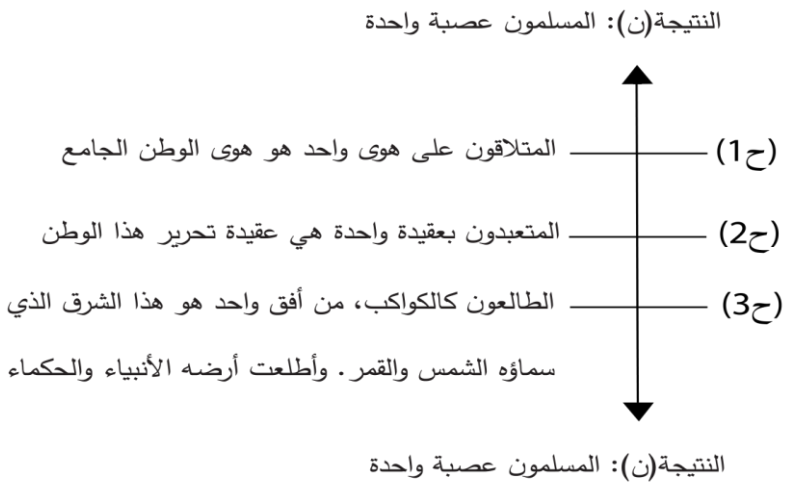

الحجة الأولى: "أيها الإخوان المتلاقون على هوى واحد هو هوى الوطن الجامع".

مناديا جمهور الحضور بالإخوان المتلاقين، وهو اسم فاعل، فمن الحجة الأولى نستقي حضورا أوليا للصفة، وأضاف الصفة الثانية وهي "الجامع ف« من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج اختيار الصفات أو النعوت»[2]، التي لها دور هام في ذلك فهذه

الحجة مرتكزة على الصفات، ابتداء من لفظة "الإخوان"؛ إذ « تعد ألقاب القرابة من هذه الصفات»[3]، فلفظ "الأخ" وغيره لا تستعمل لتكون علامة على التضامن في حد ذاتها فقط بل ليبني عليها المحاجج فعلا حجاجيا، كما أنها تمثل في ذاتها حججا[4].

الحجة الثانية: " المتعبدون بعقيدة واحدة هي عقيدة تحرير هذا الوطن الجامع".

بدون رابط انتقل البشير الإبراهيمي إلى الحجة الثانية المتضمنة لصفة اسم الفاعل

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج2، ص465.

[2] – عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتكاه بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، 1998، ص 316.

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص487.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(المتعبدون)، وتكرار صفة "الجامع"؛ إذ« تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه، وذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه»[1].

الحجة الثالثة: "الطالعون كالكواكب، من أفق واحد هو هذا الشرق الذي أطلعت سماؤه الشمس والقمر. وأطلعت أرضه الأنبياء والحكماء".

باسم الفاعل أيضا يعود و يعتمد عليه كصفة للحاضرين، مشبههم بالكواكب مازاد هذه الحجة تكثيفا حجاجيا من خلال التشبيه التام، ولا قول يرتفع فوق قول شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني في إثبات حجاجية التشبيه:« واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صوره الأصيلة إلى صوره كساها أبهة (...)، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها(...)، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر»[2]، وهو وسيلة البشير الإبراهيمي في الوصول إلى بلوغ كمال وصف الحاضرين، « ومما يلحظ في هذه الحجج من دليل على استقلالها هو أنها تكاد تخلو من الروابط فيما بينها، مما يعزز صفة الاستقلال الدلالي لكل(...) حجة»[3] كما أنه يمكن استبدال حجة مكان حجة دون أن يكون هناك خلل في تسلسل الملفوظ [4]، فهو سمة خالصة لهذا النمط من السلالم؛ إذ لا يوجد ارتباك في المعنى أثناء استبدال الحجج كما هو موجد في التطبيق على النموذج:

"أيها الإخوان:

المتعبدون بعقيدة واحدة هي عقيدة تحرير هذا الوطن الجامع.الطالعون كالكواكب، من أفق واحد هو هذا الشرق الذي أطلعت سماؤه الشمس والقمر وأطلعت أرضه الأنبياء

[1] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – ص486.

[2] – عبد القاهر بن عبد الرحمان (أبو بكر الجرجاني)، أسرارالبلاغة في علم البيان، تح: السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 92 – 93 – 94 .

[3] – عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، ص87.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والحكماء، المتلاقون على هوى واحد هو هوى الوطن الجامع، فالمسلمون عصبة واحدة".

فكل حجة أخذت مكان الأخرى تقديما أو تأخيرا لم تزعزع من قصد الخطيب شيئا، وهذا يؤكد القول باستقلالية كل حجة،« وقد عرف الشعر العربي القديم بهذه الصفة، إذ يشكل البيت الواحد وحدة دلالية قائمة بذاتها، لاارتباط له بما يسبقه، ولا ما يتبعه»[1].

كل هذه الحجج تراكمت لتحقيق نتيجة ضمنية وهي (المسلمون إخوة)، وما يمكن استشفاؤه في هذه الحجج، التراكم الملحوظ للوصف وتراكم الترديد من قبل الواحد« فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعد من أفانين القول الرافد للحجاج المدعمة للطاقة الحجاجية...[2] »؛ مما أعطى بعدا توكيديا.

النموذج الثاني:

« سلوا إخوانكم وجيرانكم في مصر ماذا لقوا من العدو الغادر في مدة سبعين سنة، سلوهم هل صدق له معهم عهد أو بر له يمين، سلوهم هل جلا عن أرضهم في المواعيد الكثيرة التي قطعها على نفسه بالجلاء، وهل وقف عند نصوص المعاهدات التي أبرمها ووقع عليها؟»[3].

[1]– ينظر: حياة جاسم، وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق (د ط)، 1972، ص279، نقلا عن: عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي، السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، ص87.

[2] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي– بنيته وأساليبه – عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2 ،2011، ص168.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص240.

تحليل النموذج:

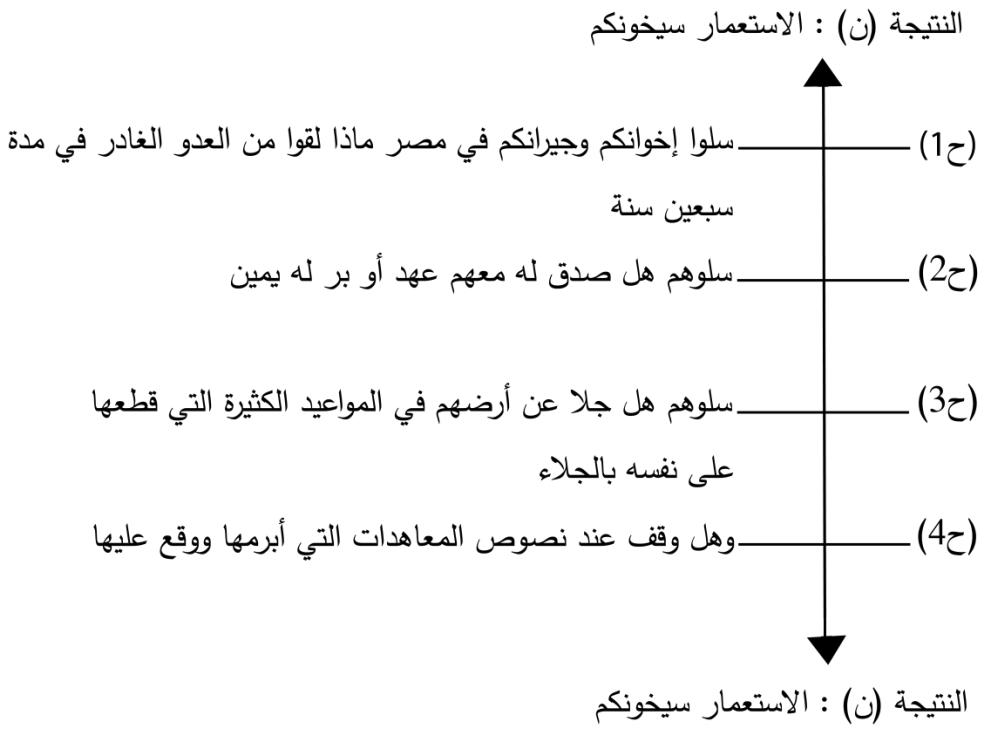

الحجة الأولى: "سلوا إخوانكم وجيرانكم في مصر ماذا لقوا من العدو الغادر في مدة سبعين سنة".

ابتدأ البشير الإبراهيمي هذا المقتطف الحجاجي من خطبته بفعل الكلام التوجيهي الأمر وماله من قوة حجاجية، « لأن أسلوبي الأمر والنهي نابضان بالإثارة قادران على تحريك الوجدان وإحداث ما ينشد المتكلم تحقيقه في المتلقي من انفعال»[1]، واستند كذلك على الاستفهام (ماذا لقوا من العدو الغادر في مدة سبعين سنة)، وهو استفهام غير حقيقي خرج عن معناه؛ ليتخذ في خطبة الشيخ الإبراهيمي موقعا آخر أكثر تأثيرا، مستلزما معنى آخر وهو تنبيه الحضور إلى غدر المستعمر، وهو أيضا فعل كلامي توجيهي وبذلك يكون الخطيب قد مارس سياقا لغويا واحدا.

الحجة الثانية: "سلوهم هل صدق له معهم عهد أو بر له يمين".

[1]– سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي– بنيته وأساليبه – ص153.

بتكرار فعل الكلام التوجيهي "سلوهم" ، والاستفهام (هل صدق له معهم عهد أو بر له يمين)، استرسل الخطيب في حجاجه، وعلى نفس الوتيرة مع الاستفهام السابق الذى أخرجه من الحقيقة إلى الاستلزام، فالخطيب لا يسأل، وإنما التنبيه أيضا على خداع المستعمر فالمستعمر لايمكن أن يبيت على نية صافية إزاء الليبيين.

الحجة الثالثة: " سلوهم هل جلا عن أرضهم في المواعيد الكثيرة التي قطعها على نفسه بالجلاء".

تكرارا للفعل الكلامي التوجيهي "سلوا"، وللاستفهام، وتكرارا للضمير"هم" واستعمالا للوصف من خلال"الكثيرة"؛ حيث استنزف المحاجج العديد من أدوات السلم الحجاجي مطعما حجته بأداة أخرى هي "المواعيد"، والتي تعبر عن منتهى الجموع؛ ليصل إلى أعلى مراتب الجموع، وبالتالي إلى تقوية حجته، ومنه عدم صدق الاستعمار في كل مواعيده بالجلاء.

الحجة الرابعة: "وهل وقف عند نصوص المعاهدات التي أبرمها ووقع عليها"

بواسطة الرابط الحجاجي" الواو" ألحق البشير الإبراهيمي الحجة الأخيرة، وبنفس الطريقة في الحجج السابقة اعتمد على الاستفهام الذي نقله من معناه الحقيقي إلى معنى غير مباشر من أجل إشراك ذهن المتلقي في البحث عن هذا المعنى المستلزم، فغايته الحجاجية تنبيه الليبيين إلى مكر وخداع الاستعمار، وقد استغنى البشير الإبراهيمي في هذا المقتطف التراكمي عن الروابط ماعدا الحجة الأخيرة وهذه قرينة مثبتة للحجاج التراكمي.

بتغيير موضع الحجج نصل إلى استرسال مرتب لايحدث ارتباكا في القصد، وتحقيق النتيجة المطلوبة، كما هو الحال هنا: "سلوا إخوانكم المصريين هل جلا عن أرضهم في المواعيد الكثيرة التي قطعها على نفسه بالجلاء، وهل وقف عند نصوص المعاهدات التي أبرمها ووقع عليها، سلوهم هل صدق له معهم عهد أو بر له يمين، سلوا إخوانكم وجيرانكم في مصر ماذا لقوا من العدو الغادر في مدة سبعين سنة، فالاستعمار خائن".

المبحث الثالث: العوامل الحجاجية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

أولا – مفهوم العوامل الحجاجية:

لم تتوقف النظرية اللغوية لأنسكومبر عند حدود السلالم الحجاجية وتبعاتها، بل كانت منفتحة على آفاق العوامل الحجاجية التي شكلت أساسا فيها، وكانت البداية عندما«أدرج ديكرو مفهوم العامل الحجاجي لأول مرة في مقال نشره عام 1982م، ثم فصل القول فيه تنظيرا...، وبعد ذلك جاء بمقال آخر منشور عام1983م، وقد جاء اهتمامه بظاهرة العوامل الحجاجية، بوصفها من الأدوات التي تجعل الخطاب منسجما يقود المتلقي الى وجهته التي يريد»[1]، ويعرفها كل من جاك موشلر وآن ريبول في كتابهما القاموس الموسوعي للتداولية بقولهما:« والعامل الحجاجي – حين يجري في الجملة – واسم لغوي يقيد احتمالاتها عندما يعين لها وجهة حجاجية»[2].

فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بتقييد وحصر الإمكانات الحجاجية لقول ما، وتضم العوامل الحجاجية أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر[3]، ويقدم بهذا الشأن أبو بكر العزاوي مثالا توضيحيا:

- «الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.
- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الاول أداة القصر "لا...إلا"، وهي عامل حجاجي لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أوالمحتوى الإعلامي، والذي ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانيات الحجاجية التي

---

[1]– مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي – تنظير وتطبيق على السور المكية – ص 101.

[2] – جاك موشلر، آن ريبول، الحجاج والوجهة الحجاجية، مقال في كتاب القاموس الموسوعي للتداولية، ص338.

[3]– ينظر: أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

يتيحها»[1]، أما القولان التاليان:

- الساعة تشير إلى الثامنة أسرع.
- لاتشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع

فالقول الأول سليم، لكن الثاني يبدو غريبا، والمثال "الساعة تشير إلى الثامنة" له إمكانات حجاجية متعددة، وقد يخدم نتائج من قبيل: الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار...، فهو يخدم نتيجة"أسرع" كما يخدم النتيجة المضادة "لاتسرع"، وعند دخول العامل الإمكانيات تقلصت لتصبح النتيجة الممكنة: لاتشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع[2].

ويؤكد أأبو بكر العزاوي على أهمية العوامل الحجاجية بقوله:« إن الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها»[3]، إذ« نجد أن القيم الحجاجية التي نعتبرها بصفة عامة آثارا للخطاب أو للسياق التداولي هي قيم من درجة أولى مسجلة في البنية اللغوية ذاتها لدى "أنسكومبر" و"ديكرو"»[4]، وتساعد العوامل الحجاجية في تأمين الوجهة الصحيحة نحو النتيجة « وذلك بنقل المتقبل من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ فلا يضيع بين النتائج التي يؤدي إليها القول الحجة، فلا تتعدد تبعا لذلك المسالك التأويلية» [5]؛ ويقود العامل إلى تقوية الحجة وإثباتها لتأكيد وترسيخ المعنى[6]، فالعوامل الحجاجية تلعب دورا هاما في الوصول سريعا للنتيجة المطلوبة وتقويتها، دون أن يفكر المتلقي في كثرة التأويلات.

---

[1] – أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص28.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 28– 29.

[3] – المرجع نفسه، ص 55.

[4] – جاك موشلر، آن ريبول، الحجاج والوجهة الحجاجية، مقال في كتاب القاموس الموسوعي للتداولية، ص321.

[5] – عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 35.

[6] - ينظر: خالد ناصري، الخطاب النبوي الشريف في الأربعين النووية، مقاربة تداولية في القصد والحمل والتقبل، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2019/ 2020، ص 211.

ثانيا – عاملية النفي:

يعرفه الشريف الجرجاني(ت816هـ) في كتابه "التعريفات" بقوله: « هو ما لاينجزم بلا وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل»[1].

أما من الناحية الحجاجية فهو يضطلع بدور كبير في العملية الإقناعية إذ« النفي عامل حجاجي يحقق به الباث وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي وتسليمه عبر توجيهه إلى النتيجة (ن)» [2]، ويضيف عز الدين الناجح: « والنفي فيما نرى تلفظ على تلفظ فهو توجيه على توجيه؛ لذلك بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة "بسرعة"، ولا يجد المتقبل حرجا أو كد ذهن في إدراك المفهوم»[3].

وإذ يستشف تمركز هذا العامل في الخطب، ما توجب تقديم نماذج من مثل:

نموذج العامل " لا":

«فلا يقول المتوسمون في آيات الله وسننه : إن النصر كان خارقة غيبية»[4].

تحليل النموذج:

ردا على من يعتقد أن نصر أصحاب محمد في معركة بدر كان خارقة غيبية، أورد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نفيه لذلك؛ إذ فضيلته على دراية تامة أن المسألة ليست بهذا المعطى، وإنما الحاصل أمر مخالف آخر أراد المحاجج توثيقه بواسطة عاملية النفي، هذا الردع الحجاجي يحمل بطبيعة النفي اعتقادا ضمنيا؛ وما النفي إلا رد فعل عليه، إذ وهو ما يتأتى من تعرية الجملة لتصبح (يقول المتوسمون في آيات الله وسننه أن النصر كان خارقة غيبية)؛ حيث « إن الملفوظ الأول "ق" كما هو بين خال من كل عامل ومن كل صرفم

[1] – علي بن محمد (أبو الحسن السيد الشريف الجرجاني)، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، ص 205– 206 .

[2] – عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 47.

[3] – المرجع نفسه، ص 50.

[4] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5 ، ص84.

تصدق عليه وظيفة العامل الحجاجي فهو قائم على الإثبات المحض الذي لا يتجاوز طاقته الإخبارية الإبلاغية مداها الإعلامي...» [1]، والحاصل أن الإمكانيات الحجاجية لهذه الحجة مفتوحة على احتمالات متعددة على شاكلة (إذن الخوارق موجودة)،(فهو فضل من الله على أصحاب محمد)، بمعنى نتيجة من قبيل(ليس جهادا لأصحاب محمد)، والقول بهذه النتائج هو بحسب رأي الناجح: « وما قلنا هذا إلا لاعتبار أن اللغة بجميع مستوياتها تقوم على الحجاج حتى أن ديكرو يعتبر أن الحجاج في الملفوظ بأكمله يعود لطاقة المفردة الحجاجية بما تحمله من اقتضاءات واستلزامات ومعان حافة»[2]؛ لذلك حق للقول المثبت حمل صفة الحجاجية، وحق للخطيب إثبات العكس من هذا الاعتقاد، وطرح وجهة نظره المخالفة وتوجيه ذهن المخاطب للنتيجة المستنتجة مدار اهتمامه، جعله يصطفي النفي للوصول إلى اقتناع الطرف الآخر برأي الشيخ؛ لتغدو (فلا يقول المتوسمون في آيات الله وسننه: أن النصر كان خارقة غيبية) هذا اللجوء إلى عاملية النفي كان كفيلا بتوجيه الحجة إلى الاتجاه المعاكس، وإبطال الجملة المثبتة ونتيجتها، وتوجيه ذهن المتلقي نحو النتيجة(جهاد أصحاب محمد)، إذ الاسترسال يتحقق بين الحجة والنتيجة كما يلي:(فلا يقول المتوسمون في آيات الله وسننه: أن النصر كان خارقة غيبية، فهو جهاد أصحاب محمد).

[1] – عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 64 – 63.

[2] – المرجع نفسه، ص64.

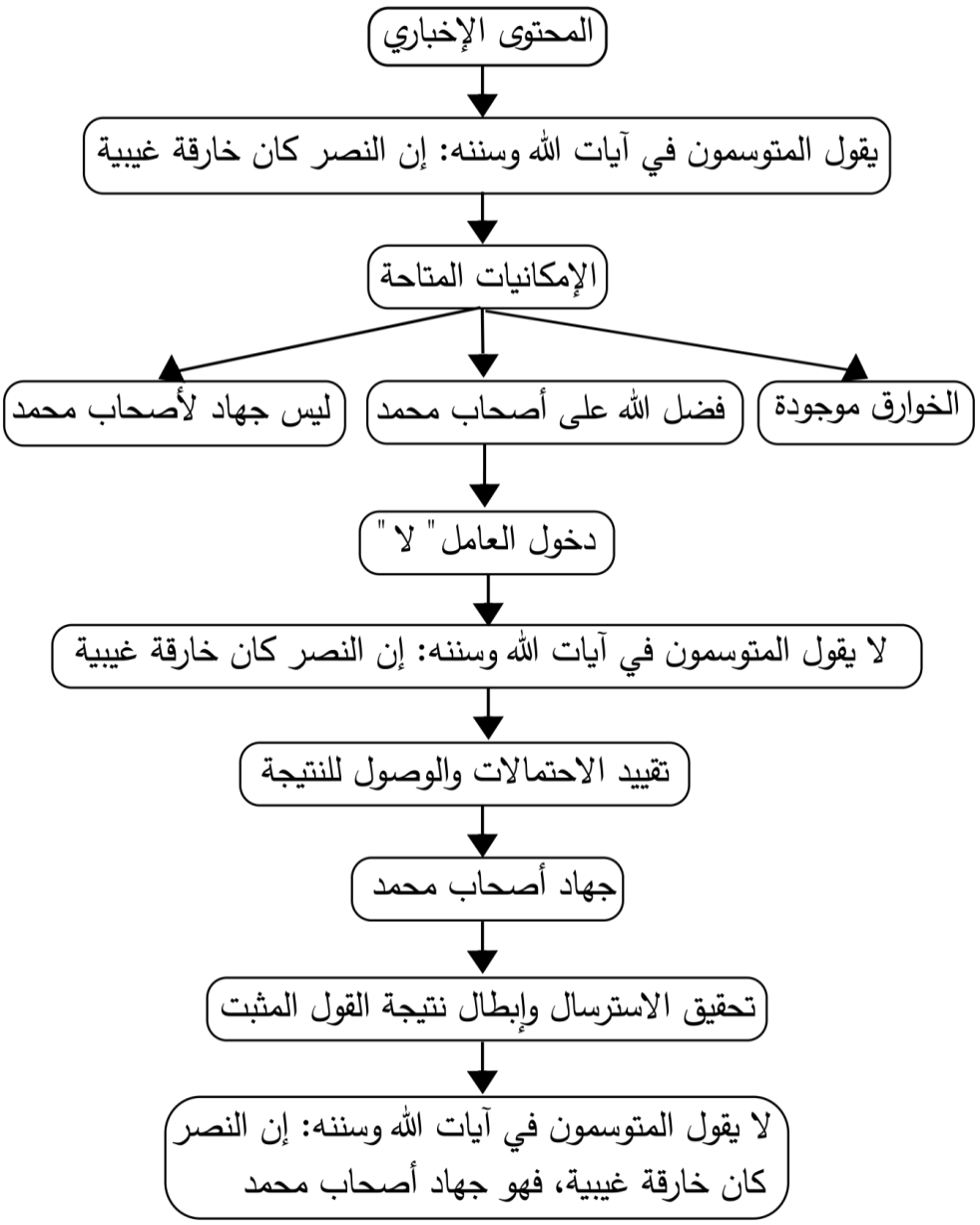

المخطط (2): مخطط توليفة الحجة ذات العامل "لا"

-نموذج العامل " ليست":

«ومن بين ما هو موجود في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نستقي النموذج التالي: إنها ليست معاهدة... إنها استعمار جديد أشنع من الاستعمار الإيطالي الذي بلوتم مرّه وعانيتم شرّه»[1].

[1]- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 4 ، ص 240 .

تحليل النموذج:

بحماسته القومية العربية وبتشبعه بالانتماء الإسلامي، حرص الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على رفض المعاهدة بين ليبيا والإنكليز، وبطبيعة الحال قوله هذا جاء للرد على من يرى أنها فعلا معاهدة حقيقية؛ أي إن هناك قولا مثبتا من قبل، عمل الخطيب على دحضه، ومادام « كل نفي، يمثل رفضا لإثبات سابق، والغرض منه هو إظهار أن التلفظ المنجز بواسطة جملة مثبتة هو لسبب أو لآخر، غير ذي صلة بالموضوع »[1]، فقد كان العامل الحجاجي النفي أداة لتفعيل رأيه المخالف للقول المثبت (إنها معاهدة) ، التي تسمح بتوقع النتائج التالية:(فثقوا بالمستعمر، لهذا ابقوا على عهدكم به، إذن قد أمنتم على أنفسكم وبالتالي هي الحرية)؛ بمعنى النتيجة المرتبطة بالقول المثبت هي (إنها معاهدة، وبالتالي الحرية)، هذه الحجة ونتيجتها هي التي أدت بالبشير الإبراهيمي إلى أن ينفي هذا الادعاء بواسطة عامل النفي الحجاجي "ليست"، (إنها ليست معاهدة)، ما أدى إلى توجيه القول نحو نتيجة معاكسة مبطلا القول السابق؛ ليصل المحاجج بالمتلقي إلى النتيجة المطروحة الظاهرة في القول وهي (إنها استعمار جديد أشنع من الاستعمار الإيطالي الذي بلوتم مره وعانيتم شره)؛ إذ أبطل الخطيب الحجة التي تؤكد أن ما يقوم به المستعمر الإنكليزي هو معاهدة وأثبت الحجة أنها ليست كذلك، ومن نافلة القول أنه وبواسطة مساندة العامل الحجاجي "إن" الذي أدرجه الشيخ قد زاد حجاجه ثقلا، هذا التظافر من وسيلتي الحجاج النفي والتوكيد شكل زعزعة في ذهن المتلقي حول قبوله للنتيجة السابقة، والتوجه به نحو النتيجة المطروحة.

[1] – أزفالد ديكرو، السلميات الحجاجية، تر: أبوبكر العزاوي، وراقة بلال، فاس، المغرب، ط1، 2020، ص84.

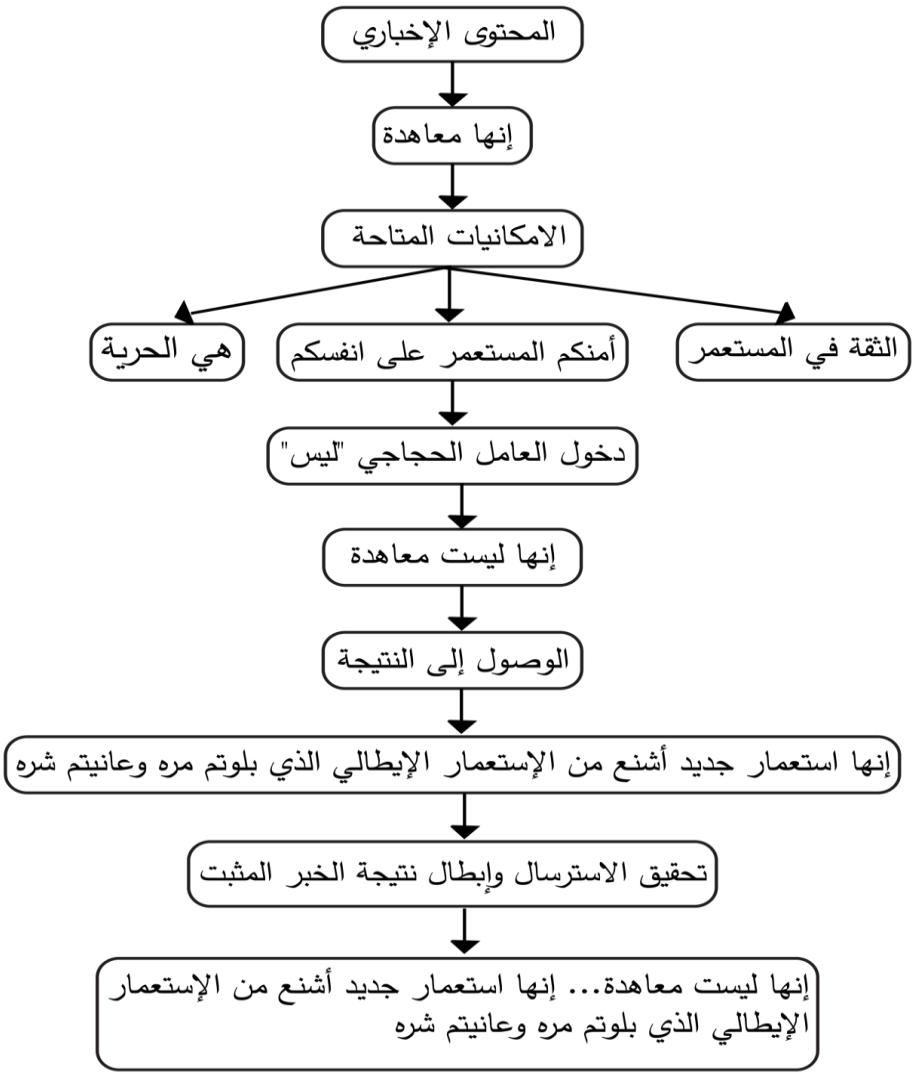

المخطط (3): مخطط توليفة الحجة ذات العامل " ليست"

نموذج العامل " لم":

«لم يؤثر الفاتحون المتعاقبون على الشمال الإفريقي، ولا أثرت الأديان الراحلة إليه، جزءا مما أثر الإسلام».[1]

تحليل النموذج:

بنزعته الدينية الإسلامية آثر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نفي تأثير كل الفاتحين المتعاقبين على الشمال الإفريقي كما أثر الدين الإسلامي، ولا مناص أن هذا النفي الذي

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 467.

أدرجه الخطيب كان له دور كبير في توجيه جملته الوجهة الحجاجية المناسبة نحو النتيجة التي يطرحها المخاطب ويقتنع بها المتلقي؛ ومما هو معروف أن النفي يتضمن الإثبات ما يعني وجود الجملة المثبتة ضمنيا (أثر الفاتحون المتعاقبون على الشمال الإفريقي، وأثرت الأديان الراحلة إليه جزءا مما أثر الإسلام)، وقد احتج هنا« بالنفي الوصفي الذي يعرض إذا جاز التعبير، الوقائع بشكل مباشر، ولا تتمثل وظيفته المباشرة في الاعتراض»[1]، وترك هذه الجملة إلى عديد التأويلات والاسترسالات التالية: (التأثير كان من الكل، والاختلافات تؤكد ذلك، فاقرؤوا التأثير في كتب التاريخ)؛ بمعنى نتيجة أن تأثير الإسلام ليس كليا، وطبعا بعد إقحام المحاجج للعامل الحجاجي "لم"، فإن النتيجة تتضح من خلال تعطيل النتيجة السابقة والتوجه بالقول نحو النتيجة التي يتبناها الخطيب، بمساعدة العامل الحجاجي "النفي" الذي وجه المسار وجهة واحدة نحو النتيجة (تأثير الإسلام كلي)؛ وبذلك يصدق الاسترسال التالي:(لم يؤثر الفاتحون المتعاقبون على الشمال الإفريقي، ولا أثرت الأديان الراحلة إليه جزءا مما أثر الإسلام، فتأثير الإسلام كان كليا). وعليه يكون العامل الحجاجي " لم" قد أسهم في توجيه القول الوجهة الحجاجية نحو النتيجة المعاكسة لنتيجة الجملة المثبتة، وعمل المحاجج على تأكيد النتيجة محل اهتمامه بواسطة تكرار "النفي" ب"لا".

[1] – أزفالد ديكرو، السلميات الحجاجية، ص83.

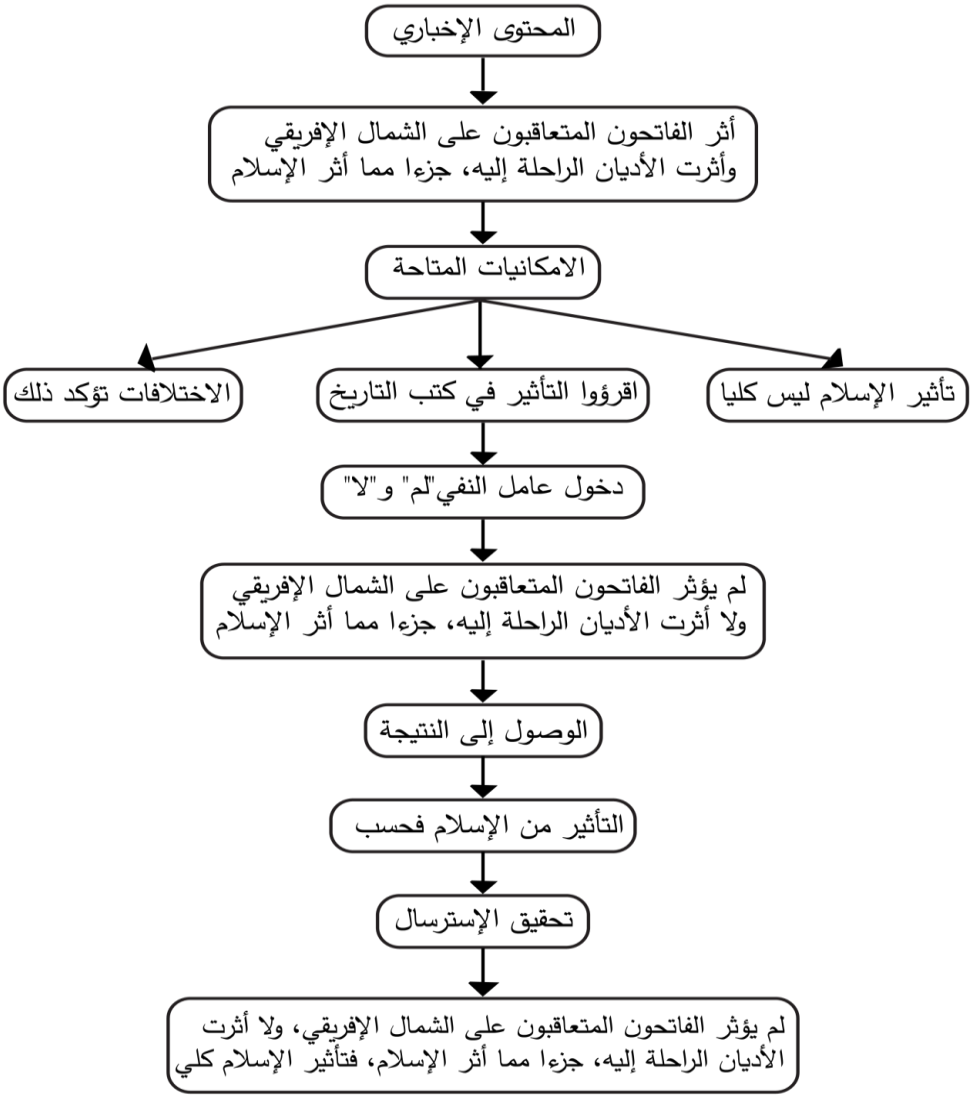

المخطط (4): مخطط توليفة الحجة ذات العامل "لم"

_نموذج عاملي النفي "ما" و"لا":

«فوالذي نفسي بيده ما سمعت منه كلمة واحدة من الآية التي هي موضوع الدرس ولا لمحت أمارة وإشارة تدل على أن الدرس في التفسير»[1].

تحليل النموذج:

متوسلا بأعلى مراتب سلمية التوكيد وهي القسم "والذي نفسي بيدة"، بدأ الخطيب حجاجه

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج1، ص362.

من أجل تأكيد ما سيطرحه، وفي قوله(ماسمعت منه كلمة واحدة من الآية التي هي موضوع الدرس ولا لمحت إمارة ولا إشارة تدل على أن الدرس في التفسير)، نفي واضح بواسطة الأداتين "ما" و"لا" لوجود كلمة من الآية أو إشارة وأمارة ترتبط بالتفسير، وهو نفي جدلي يقوم على نفي ما سبق ذكره من إثبات طرف ثانٍ أن هناك عالم من مشائخ جامع الزيتونة ومن أبعدهم صيتا في عالم التدريس يقرئ التفسير، وبهذا يكون الخطيب قد وصل إلى نتيجة بواسطة عاملية النفي، ملغيا على إثر ذلك كل الاحتمال الوارد من خلال الملفوظ آناء تعريته من العامل الحجاجي، والتي من بين ما تحتمل: (إذن قوموا بزيارة جامع الزيتونة)، و(فكل ماقيل صحيح)؛ بمعنى النتيجة المرادة (الطريقة صحيحة)، فقد رد على قول من يعتبر هذا العالم مفسرا بالنفي، وهو تكذيب واضح للحجة المثبتة من قبل من ادعى وجود عالم للتفسير في جامع الزيتونة، ما يؤكده ابن يعيش (ت643هـ) بقوله: « اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب؛ لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظة لا فرق بينهما إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب»[1]، فمن الواضح أن هذا النفي تشكيك صارخ من الخطيب لما سمعه، غايته منه التأثير على المخاطب وجعله يغير وجهة نظره اتجاه مفسر جامع الزيتونة فبواسطة العامل الحجاجي النفي "ما" و"لا" استطاع الخطيب أن يغير تلك النظرة المأخوذة عن هذا الصرح العلمي الديني بشكل عام، والعمل على تنبيه المخاطب لوجود ثغرة سلبية فيه، كل هذا بواسطة عاملية النفي التي اصطبغت حجاجه، فكانت النتيجة المناقضة للحجة المثبتة التي رد عليها الشيخ البشير الإبراهيمي وهي(فهي طريقة خاطئة في التفسير).

لقد أدرك الخطيب جيدا كيف يستغل ما توفره اللغة من تقنيات حجاجية؛ لتحقيق غايته التأثيرية؛ إذ ما يصبو إليه الشيخ البشبر الإبراهيمي هو « حمل المخاطب على عدم الاعتقاد

[1] – يعيش بن علي (أبو البقاء، ابن يعيش)، شرح المفصل، تعليق: جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنبرية، مصر، ج 8، (د ط)، (د ت)، ص107.

في القضية»[1]، ونفي الخطيب لم يرده لفراغ ولم بورده من فراغ، فأما ما يريده فهو الوصول بالمخاطبين إلى الاقتناع بالنتيجة، وأما ما لم يورده من فراغ، فهو حجة البشير الإبراهيمي القائمة على النفي نفسها؛ أي ما سمعه قبلا كان مدعاة لهذا الطرح الحجاجي، فبادر بنفي الاعتقاد بوجود عالم من المفسرين في جامع الزيتونة ذو كفاءة، وبإعطاء الدواعي التي أسهمت في تشكيل رأيه، والوصول أخيرا للنتيجة التي توصل إليها على وفق هذه المبررات من أجل استيعاب ذلك التكذيب من المتلقي أو على الأقل الظفر بالحد الأدنى من المقبولية وهو غرس الشك في نفسه.

يتم عرض التحليل في المخطط التالي:

[1] – شكري المبخوت، إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس، (د ط) 2006، ص176.

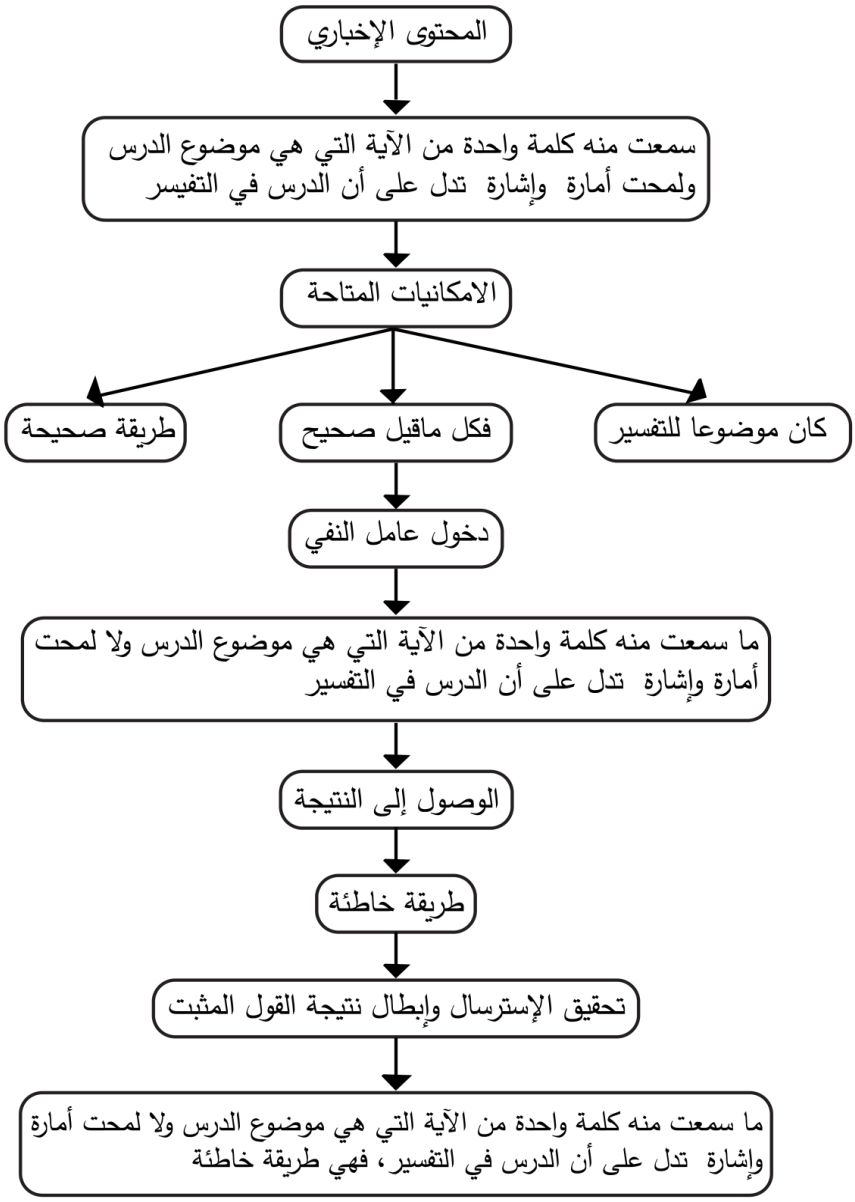

المخطط (5): مخطط توليفة الحجة ذات العاملين (ما... لا)

ثالثا – عاملية القصر:

يعرف الشريف الجرجاني القصر بأنه: « تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأول مقصورا، والثاني مقصورا عليه»[1].

أما عن الاستعمال الحجاجي فإن « من بين العوامل الأكثر ورودا في اللغة القصر؛ ذلك لأن هذا العامل صورة من صور تقييد الفكرة المطروحة، والضغط على محتواها الخبري لكي يجعل المتلقي يلتفت إليها فلعله يذعن »[2].

وعلى كثرته في اللغة، فهو أيضا موجود في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على أنواعه، إذ يمكن عرض نماذج منه، كما يلي:

نموذج عامل القصر(ما... إلا):

«وما كان كل الذي سمعت إلا حكاية لجدل عنيف، وتمثيلا لمعركة لفظية مستعرة بين السيد الجرجاني وعبد الحكيم* حول عبارة لعلها من المفسرين الاصطلاحيين»[3].

تحليل النموذج:

إذ يواصل الخطيب –ضمن خطبته–سرد أحداث عاشها في تونس وتحديدا في جامع الزيتونة؛ ومعلوم أن مكانة الشيخ تؤهله للقول دونما معارضة من قبل المتلقي، لكن الكفاءة التداولية تجعله يستبق كل ما قد يفتح باب الشك أو الإنكار؛ إذ القصر« يكون للأمر الذي ينكره المخاطب ويشك فيه»[4]، فكون قول البشير ينبيء بأن سياق حديث العالم لا علاقة له

---

[1] – علي بن محمد (أبو الحسن السيد الشريف الجرجاني)، معجم التعريفات، ص147.

[2]– مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص 108 .

*عبد الحكيم بن شمس الدين(السيالكوتي): نشأ بسيالكوت في البنجاب، الهند(ت1067 هـ)، كان رئيس العلماء عند سلطان الهند، من مؤلفاته: حاشية على تفسير البيضاوي، حاشية على شرح الشمسية، وعلى حاشيته للسيد الشريف للاستزادة يمكن العودة إلى كتاب: عبد الحي بن فخر الدين الحسيني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام المسمى ب"نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، ج1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج1، ص362.

[4] – عبد القاهر بن عبد الرحمان (أبو بكر الجرجاني)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 256.

بالتفسير، قد لا يخلو الأمر من ردة فعل المخاطب الحاملة للدهشة بالنظر لمكانة جامع الزيتونة في تلك الفترة، وما قد يعتريه من شك أو إنكار، ومع ما يمتلكه الشيخ من زاد ثقافي يعينه على استقراء الأمور، وبفضل منهج علمي قائم على الملاحظة، ومعاينة الواقع القائم في الجلسة مابين العالم والطلبة، كل هذا جعل الخطيب يضمّن حجته أسلوب القصر ويفيد منه في التوجيه نحو النتيجة، ما يحقق استمالة المتلقي « فالحجة لها غاية إقناعية أصيلة لأنها تبحث عن إقناع المتلقي بفكرة ما أو جعله يتخذ سلوكا معينا؛ أي إن الاهتمام بالحجة يقتضي ضمنيا الاهتمام بالإقناع»[1]، وتحسبا لذلك فقد عمد المحاجج إلى تقوية حجته بواسطة هذا العامل، وقد توافر القول على قيمة حجاجية قصر السمع على جدل عنيف وتمثيلا لمعركة مستعرة، وقد قيد سمعه وقصره على ذلك، فالعامل الحجاجي يوجه قول البشير نحو وجهة حجاجية واحدة لتتلاشى على إثرها كل الاحتمالات التي قد تتبادر في ذهن المخاطب، هذه الاحتمالات التي تتبادر له من مثيل أن: (هناك كلام لم يسمعه أوليس بتفسير، دعوة لحضور من يهتم بموضوع الاختلاف في اللفظ)؛ لذلك حصر البشير الإبراهيمي التوقعات التي يحتملها الملفوظ، ومن الممكن أن تتبادر إلى ذهن المتلقي سريعا نحو الحجة التي تلي العامل "ما، إلا" (حكاية لجدل عنيف، وتمثيلا لمعركة لفظية مستعرة بين السيد الجرجاني وعبد الحكيم حول عبارة لعلها من المفسرين الاصطلاحيين)، فقد ساعد العامل الحجاجي على توجيه القول نحو النتيجة (ليس بتفسير).

وتبسيطا للقول أكثر يمكن تتبع التمثيل التالي:

[1] – فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص14.

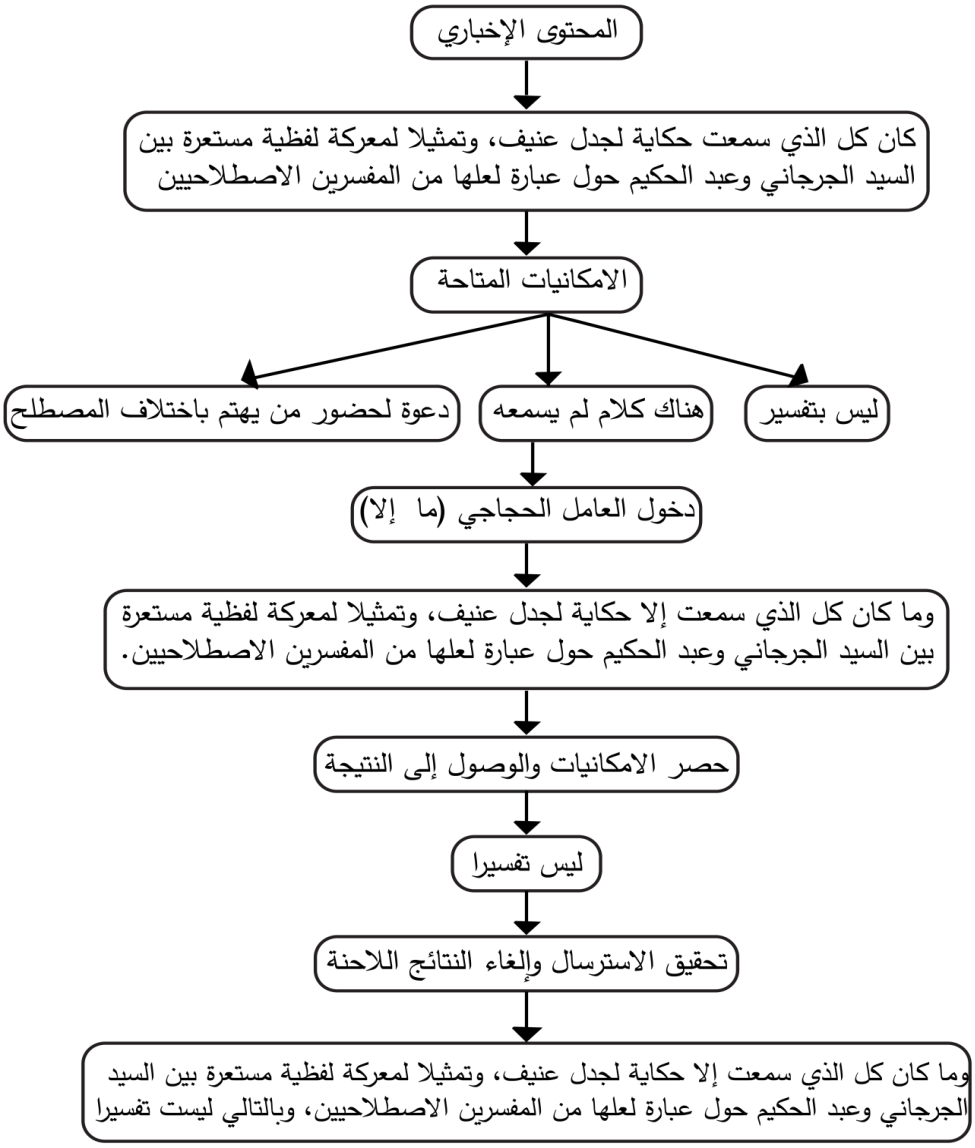

المخطط (6): مخطط توليفة الحجة ذات العامل (ما... إلا)

نموذج العامل " لم... إلا ":

«وإن المسلمين لم يؤخذوا إلا من الابتعاد عن خشية الله»[1].

تحليل النموذج:

عمل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على الحد من تأويلات المتلقي؛ لرصد النتيجة الأكثر إقناعا والأقوى تأثيريا، وحتى يشرك المتلقي معه في اللحاق سريعا بالنتيجة مؤدى

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص210.

الحجاج معتمدا على ما توفره العاملية الحجاجية، « فهذه العوامل الأسلوبية واللغوية لا بد لمرسل الخطاب من معرفة أوجه استعمالها والمواضع المثلى لذلك الاستعمال حتى يتحقق له النجاح الحجاجي» [1]، فقد اتخذ من العامل الحجاجي "لم إلا" آلية لتقييد الإمكانيات التي يحملها القول في ذهن المتلقي نحو وجهة حجاجية واحدة تعمل على تقريب النتيجة، وإلغاء كل الاحتمالات التي تجعل من القول لاحنا، والقول إذا ما تنحى عنه العامل الحجاجي " لم إلا"، من المؤكد أنه يأخذ في الاسترسال ويتخذ أبعادا تأويلية متباينة متعددة، كما أن هذه التنحية تجعل القول حبيس الإبلاغ والإخبار، ومشتتا بين كثرة التأويلات، ومدار تأويلات قول البشير الإبراهيمي متسع، ومن بين ما قد يتشاكل على ذهن المتلقي هذه النتائج:(يؤخذ المسلمون من أمور أخرى، لا يؤخذون من أعمال غيرها)، ودخول العامل الحجاجي أدى إلى حصر وتقييد هذه الإمكانيات والتوجه بالقول وجهة حجاجية واحدة نحو النتيجة المرجوة من قبيل(لا يؤخذون من غيرها)، وبذلك يتحقق الاسترسال (وإن المسلمين لم يؤخذوا إلا من الابتعاد عن خشية الله، فلا يؤخذون من غيرها).

[1] –محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر – دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص196.

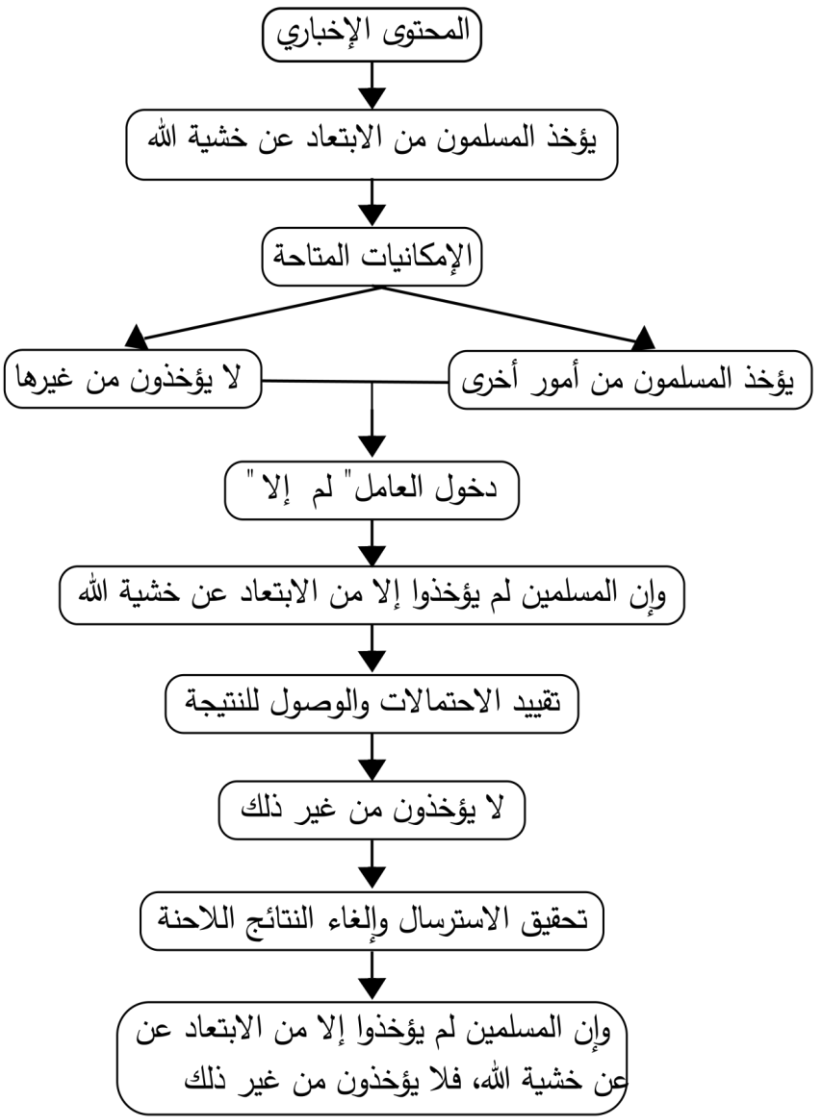

المخطط (7): مخطط توليفة الحجة ذات العامل "لم... إلا"

نموذج العامل " لا... إلا ":

«لا يحلو لي إلا أن أخاطبهم بهذا الوصف الجليل»[1].

تحليل النموذج:

تقديرا وحبا للوفود العربية والإسلامية خاطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إخوانه بوصف خاص يليق بتجسيد هذه العاطفة، ولقد أبان على ذلك استخدام الخطيب للحجاج اللغوي القائم على عامل القصر "لا إلا"، وما له من قدرة على التوجيه الحجاجي نحو نتيجة

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص465.

محددة يقصدها الخطيب ويرضاها المخاطب، ويعمل على التسريع بالوصول إليها، ومؤتى حجاجية القول تعود إلى أن تقديم الشيخ قوله دونما عاملية القصر توسع الامكانيات الدلالية للقول، فمن الممكن أن يترتب عنه الاسترسالات التالية: (هناك أوصاف أخرى من الممكن أن أخاطبكم بها، لن أزيد عليه، لا وصف غيره)، ومن الملاحظ أن المحاجج أسرع بإيراد النتيجة التي أرادها باعتماده على عاملبة الاستثناء، وقلص من تعدد النتائج، ووصل بالمتلقي إلى النتيجة (لا وصف غيره)، وبهذا يكون الخطيب قد استطاع نقل قوله من الإخبارية إلى الحجاجية من خلال الحد من كثرة التأويلات، ومساعدة المخاطب على التوجه مباشرة إلى نتيجة قوله المطروحة دون أن يضيع ذهنه بين تعدد التأويلات، « عن طريق إعادة إنتاج الملفوظ بالتقييد ضمن جملة واحدة (...)، على أمل استدراجه إلى منطقة الاعتقاد والإيمان بهذا القول، فالعامل يأتلف مع المحتوى في نطاق واحد ضمن عملية تشاكل»[1]، وهذا ماكان في قول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لما اتخذ من عاملية القصر "لا إلا" مطية لتوجيه ملفوظه.

[1]– مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص 102 .

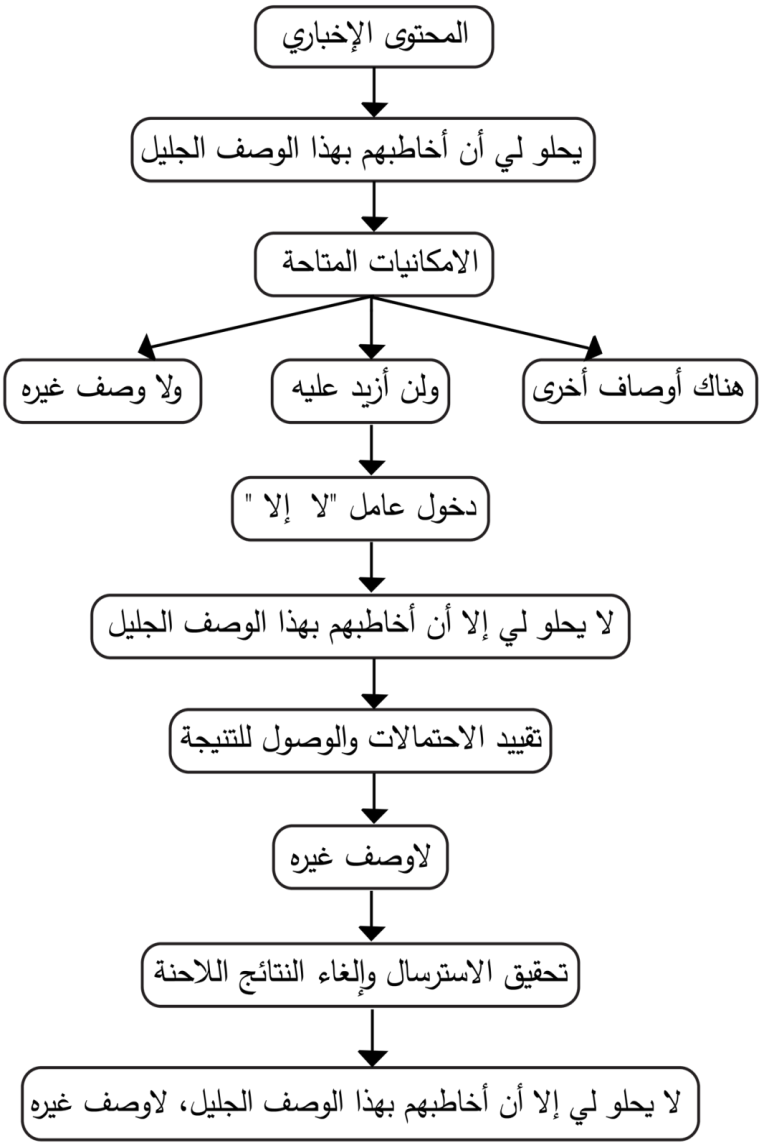

المخطط (8): مخطط توليفة الحجة ذات العامل "لا... إلا"

نموذج العامل " ليس... إلا ":

« وأنه ليس بينهم وبين دخولها إلا فراق الروح للجسد»[1].

تحليل النموذج:

في جملته هذه يؤكد البشير الإبراهيمي بأن دخول الجنة قريب من المجاهدين في سبيل الله، ومن أجل العمل على إيصال النتيجة محل اهتمام الخطيب، وتحقيق التأثير المطلوب في المتلقي، أخذا بالاعتبار كثرة الإمكانيات التي يحملها القول، وحتى يتمكن من تقييدها

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص85.

وتوجيه ذهن المخاطب إلى نتيجة واحدة هي هدف وغاية الخطيب، استعان بالعامل الحجاجي" ليس... إلا "، طلبا للإسراع في النتيجة ومساعدة المخاطب على الوصول إليها من خلال التوجيه الذي يمده العامل في قول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وإذ يتم رصد إمكانيات قولية من قبيل:(توجد أشياء أخرى بينهم وبين دخولها، قد اختاروا الجهاد)، والواقع أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي باستعانته بالعامل الحجاجي "ليس... إلا" يكون قد مارس فعلا حجاجيا إذ طوق كل الإمكانيات التي تتوافر عليها الجملة، وذلك بحصرها وتقييدها بواسطة العامل الذي ساعد في توجيه القول نحو وجهة حجاجية واحدة مبتعدا عن كل التأويلات التي تشتت ذهن المتلقي، والوصول به إلى نتيجة واحدة يقصدها الخطيب، فيكون التركيز على هذه النتيجة والبحث من خلالها على التأثير في المتلقي، ثم إن العامل الحجاجي "إن" ساعد كذلك على نسج القوة الحجاجية ومد الجملة بطاقة حجاجية أكثر؛ إذ التوكيد ب"إن" يكون للشاك، والمتردد، بما أن التوكيد « تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد» [1]، وهذا ما يستدعي بطبيعة الحال وجود تخمينات أخرى في حال طرح الشيخ لحجته دون عامل حجاجي؛ حيث يبقى القول حبيس الجانب الإخباري، ما يفتح باب التاويلات في ذهن المتلقي؛ لذلك أنزله منزلة المتردد وقضى على جميع الاحتمالات التي قد ترد في ذهنه وتشوش عليه الوصول إلى النتيجة مبتغى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؛ فإن هذا التساند بين عاملية التوكيد والاستثناء شكلت دعامة، وطاقة حجاجية متعاونة من أجل توجيه الحجاج نحو نتيجة واحدة، وهي المطروحة لاحقا في قول الخطيب(فاختاروا السوق ميدان الجهاد) ويقابله في ذلك التأثير وإقناع المخاطب؛ مايحقق الاسترسال (وأنه ليس بينهم وبين دخولها إلا فراق الروح للجسد، فاختاروا السوق ميدان الجهاد).

[1]– يحي بن حمزة (العلوي المؤيد بالله)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، ج1 1914، ص176.

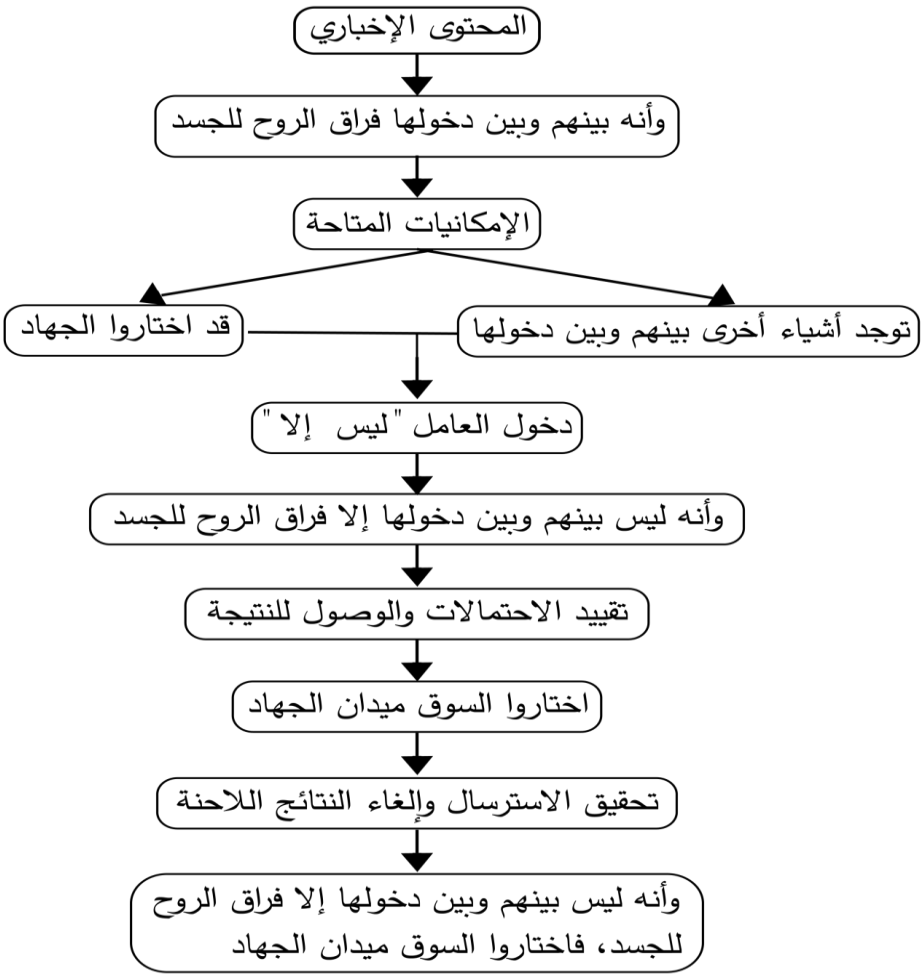

المخطط (9): مخطط توليفة الحجة ذات العامل " ليس... إلا""

نموذج العامل "إنما":

«وإنما أعني تلك الحقائق التي سعد بها أصحاب محمد وأسعدوا بها العالم»[1].

تحليل النموذج

يصل البشير الإبراهيمي من خلال قوله إلى نفي أن يكون مايعنيه غير الحقائق التي أسعدت أصحاب محمد وأسعدوا العالم، ولا يعني حقائق أخرى، وهذا يعود لدور العامل الحجاجي إنما الذي قصر مايعنيه على أصحاب محمد وحسب، هذه الفائدة الحجاجية التي اضطلعت بها "إنما"، والتي تحدث عنها عبد القاهر الجرجاني بقوله: « اعلم أنها تفيد في

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص472.

الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيها عن غيره، فإذا قلت إنما جاءني زيد عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لاعمرو»[1]، فلا يذهبن ذهن المتلقي لغير هذه الحقائق مدعاة اهتمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، فيكون بذلك قد عمل على إثبات ما يعنيه بعد العامل الحجاجي "إنما"، ونفي أن يكون يعنى حقائق أخرى، هذا كان كفيل بنقل الجملة من مجرد الإبلاغ إلى الحجاج.

في حين إبقاء الجملة على صيغتها الإخبارية يجعل ذهن المتلقي ينفتح على تأويلات كثيرة، ويشتغل على تفسيرات عديدة، وحتى ينهى الخطيب هذا التدفق الاحتمالاتي، جاء بالعامل الحجاجي "إنما"؛ ليوجه الحجاج وجهة واحدة نحو النتيجة التي يقصدها الخطيب، ولا أدل على ذلك سوى تعرية الحجة من العامل للتأكد من غزارة الاحتمالات التي يمكن أن ترد ما استدعى الاستعانة بالعامل للحد منها، فدخول العامل الحجاجي "إنما" أدى إلى التسريع في الوصول إلى النتيجة وحصر الإمكانيات، وتوجيه الحجاج نحو النتيجة(لست أعني حقائق أخرى)؛ ليختزل العامل الحجاجي "إنما" النتيجة فيها ويلغي الامكانيات المحتملة من مثل: (لست أعني حقائق أخرى، فقد أسعدت الكل، إذن تلك الحقائق سبب سعادة العالم وأصحاب محمد)، لكن دخول العامل الحجاجي أسهم في تقليص الإمكانيات الحجاجية، وتوجيه الحجة نحو التنيجة التي يريدها الخطيب لتصبح (وإنما أعني تلك الحقائق التي سعد بها أصحاب محمد وأسعدوا بها العالم، ولست أعني حقائق أخرى).

[1]– عبد القاهر بن عبد الرحمان (أبو بكر الجرجاني)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 258.

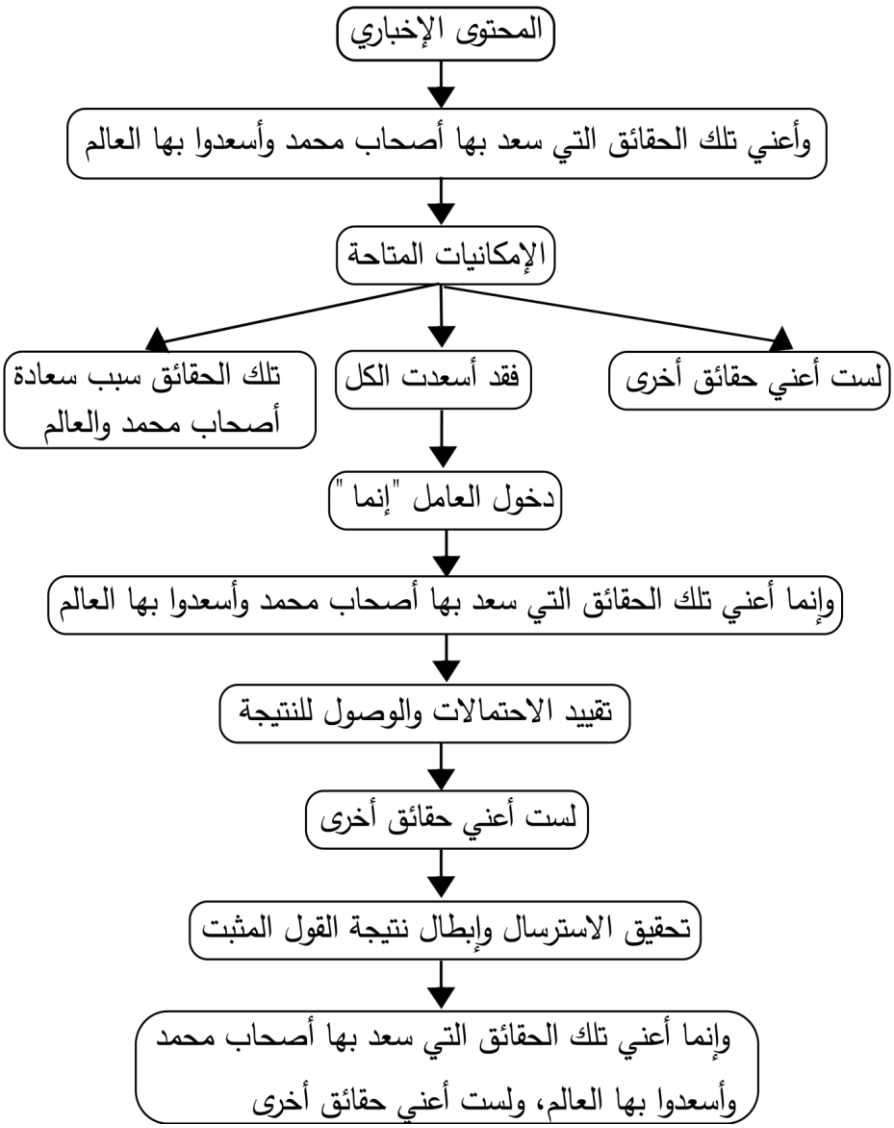

المخطط (10): مخطط توليفة الحجة ذات العامل " إنما "

رابعا – العوامل الحجاجية المعجمية:

يعرفها شكري المبخوت بأنها:« مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة، مثل "منذ" الظرفية و"تقريبا" و"على الأقل...» [1].

وبإحالة في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فإنه بوسع البحث استحضار نماذج توضح بعض العوامل المعجمية:

نموذج العامل" كاد":

«فهو الذي ألح عليها عن قصد وتعمّد حتى كاد يزهق روحها» [2].

تحليل النموذج:

يستأنف الخطيب حجاجه متوسلا بالعامل الحجاجي "كاد"، حتى ينهي أي احتمالات قد تعتري ذهن المخاطب، وحتى يستوعب ذهنه نتيجة واحدة، فقد بات أكيدا أن تعرية الحجة من العامل الحجاجي تضفي عليها طابعا إخباريا ما يؤدي إلى ضبابية في الوصول إلى النتيجة المتوخاة، ذلك أن الجانب الإخباري يسمح بمرور العديد من النتائج والتكهنات التي تجعل المتلقي لا يصل إلى النتيجة محل اهتمام الخطيب، لكن استخدام الشيخ للعامل الحجاجي "كاد" قلص الاحتمالات الممكنة ووجه القول نحو نتيجة واحدة، فعرض الحجة دون العامل؛ أي في صورة إخبارية يكون كما يلي:(فهو الذي ألح عليها عن قصد وتعمد حتى يزهق روحها)، إذ الملاحظ هنا أن "حتى" بمعنى "كي"؛ أي (فهو " الذي ألح عليها عن قصد وتعمد كي يزهق روحها)؛ إذن لم يعد من الممكن معرفة الاحتمال الأقرب أو النتيجة المقصودة، إذ آفاق الاحتمالات الممكنة تنفتح، والقصد بقي متلبسا غير واضح الملامح فالعبارة تحمل كثافة دلالية، ما يبقى المتلقي ضائعا بينها، طبعا الخطيب استخدم العامل

[1] – شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص377.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص294.

الحجاجي "كاد" ليقضي على كل هذه التكهنات في القول التي قد تكون: (مازال يحاربها، لا تستعيد مجدها، الاستعمار متحامل عليها)، هذه النتائج الممكنة تقلصت بإدخال الخطيب للعامل الحجاجي؛ حيث توضحت الدلالة أكثر نحو قرب إزهاق روح اللغة العربية، وزادت من التوجيه الحجاجي نحو النتيجة بعينها؛ وذلك أن النتائج استنفذت ولم تبق إلا نتيجة واحدة وهي(فلا تستعيد مجدها)؛ بمعنى أن الاسترسال يتحقق وفق مايلي: فهو الذي ألح عليها عن قصد وتعمد حتى كاد يزهق روحها، فلا تستعيد مجدها، وبطبيعة الحال يعود الفضل في توجيه الحجة وجهة حجاجية واحدة للعامل الحجاجي "كاد"، الذي اشتغل عليه الخطيب.

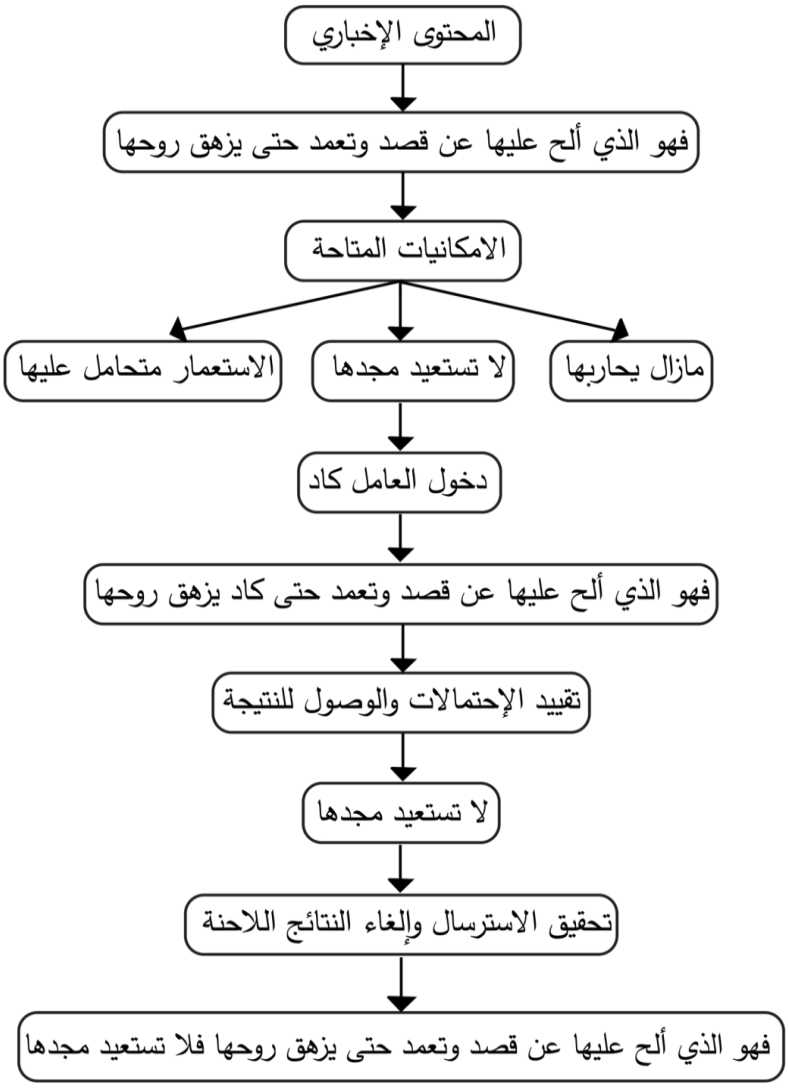

المخطط (11): مخطط توليفة الحجة ذات العامل " كاد"

نموذج العامل " مازال ":

« فقد كانت ليبيا – ومازالت – كما وضعها الله جسرا بين الشرق والغرب مرّ عليه الفاتحون من أسلافنا يحملون إلينا الهدى ودين الحق»[1].

تحليل النموذج:

في محضر كلامه عن ليبيا أفاض الشيخ في وصفه لها، ففي قوله هذا بيان واضح لاعترافه بمكانة ليبيا بين الأمة، لكن من الملاحظ أن العامل "مازال" كان له فضل في مد قول البشير الإبراهيمي بطاقة إضافية، حتى يتمكن من التأثير في المخاطب، ثم إن قول المحاجج في حال تمّ تنحية العامل الحجاجي عنه، سيختلف أمره إذ ذاك؛ بمعنى أن خروج العامل الحجاجي يقتضي بالضرورة بقاء الجانب الإخباري في القول(فقد كانت ليبيا كما وضعها الله جسرا بين الشرق والغرب مرّ عليه الفاتحون من أسلافنا يحملون إلينا الهدى ودين الحق)، طبعا هذا الاطراد سيفتح باب التأويلات على اختلافاتها، ولعل أبرزها: (قد انتهى دور ليبيا، ليست كذلك الآن، حافظوا عليها)، وما غاب هذا الجانب عن الخطيب لذلك وبحنكته التداولية أدرج سريعا العامل الحجاجي "مازال"؛ وعليه أنهى أي تأويل يحتمله القول، وأراح ذهن المتلقي من عبء التخمين في النتيجة الأكثر ملاءمة، وقيّد الإمكانيات نحو نتيجة يتوخاها الخطيب، يكون الاسترسال التالي فيها صائبا غير لاحن: فقد كانت ليبيا – ومازالت – كما وضعها الله جسرا بين الشرق والغرب مر عليه الفاتحون من أسلافنا يحملون إلينا الهدى ودين الحق، فحافظوا عليها، ودخول العامل الحجاجي إلى الجملة الإخبارية، جعلها تحمل بعدا حجاجيا أقوى مع الاحتفاظ بالجانب الإخباري.

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص239.

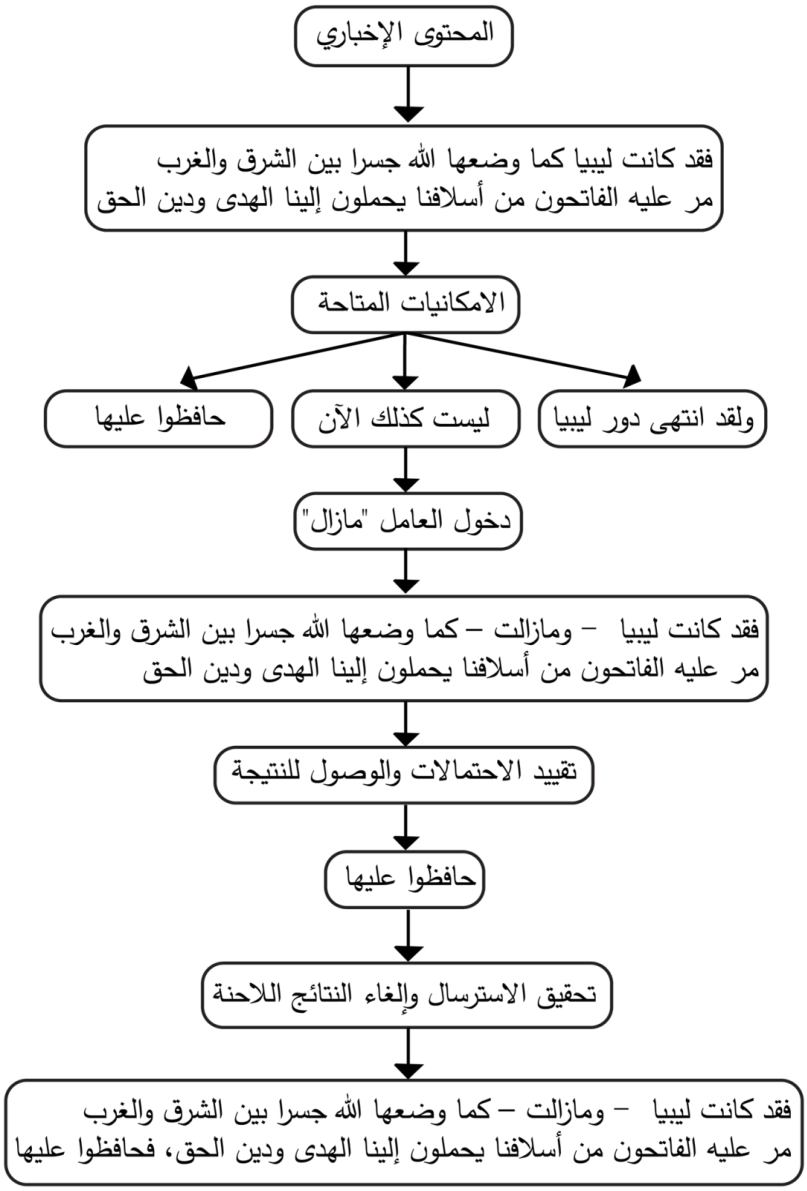

المخطط (12): مخطط توليفة الحجة ذات العامل "مازالت"

نموذج العامل" قليلة ":

«هذه هي الروح التي لبست تلك الفئة القليلة حين تراءت الفئتان»[1].

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص85.

تحليل النموذج:

يشير البشير الإبراهيمي في حجته إلى الروح التي لبست أصحاب بدر، وحتى يكون حجاجه أكثر قوة اختار الصفة "قليلة" حتى يثبت أن العبرة في قوة الإيمان وليس في العدد وقد كان السياق اللغوي متناسقا، فصفة "قليلة" تشير إلى الكم؛ إذ تتناسب مع الفئتان، فمدار القول يسير حذو الكم، غير أن ورود الحجة دون هذا العامل المعجمي يجعل المتقبل في توهم، وهو ما انتبه إليه البشير الإبراهيمي، فالقول:(هذه هي الروح التي لبست تلك الفئة حين تراءت الفئتان)، يحيل ذهن المتلقي إلى تنوع الإمكانيات التي يحملها، ما يحدث تشويشا عنده عن أي فئة يتحدث الخطيب؟ فهذه الإمكانيات قد تكون:(والفئة الكثيرة غلبت، العبرة ليست بالكثرة)، هذا الاسترسال ليس مقبولا كله، وإنما بدخول العامل الحجاجي المعجمي "قليل" أبان عن الإمكانية التي قصدها البشير الإبراهيمي، وأيضا تقييدها لدى المخاطب والابتعاد بذلك عن الاحتمالات الأخرى، وزاد القول طاقة حجاجية؛ « لأن الحجة الواردة في جملة العامل الحجاجي تكون أقوى منها عندما تكون مجردة عن العامل، وتتم عملية ارتباط القول بالعامل الحجاجي، عندما يروم المرسل تحريك آليات الإقناع عند المتلقي»[1]، وأبقى بذلك على النتيجة التي يريدها وهي (فالعبرة ليست بالكثرة) ، وعليه يمكن تقبل الاسترسال التالي:(هذه هي الروح التي لبست تلك الفئة القليلة حين تراءت الفئتان، فالعبرة ليست بالكثرة)، من هنا يمكن القول: إن الصفة "قليلة" قد جعلت المتلقي يستنتج بنفسه النتيجة؛ إذ عملت على تقوية التوجيه الحجاجي نحو النتيجة المرجوة.

[1]– مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص 104 .

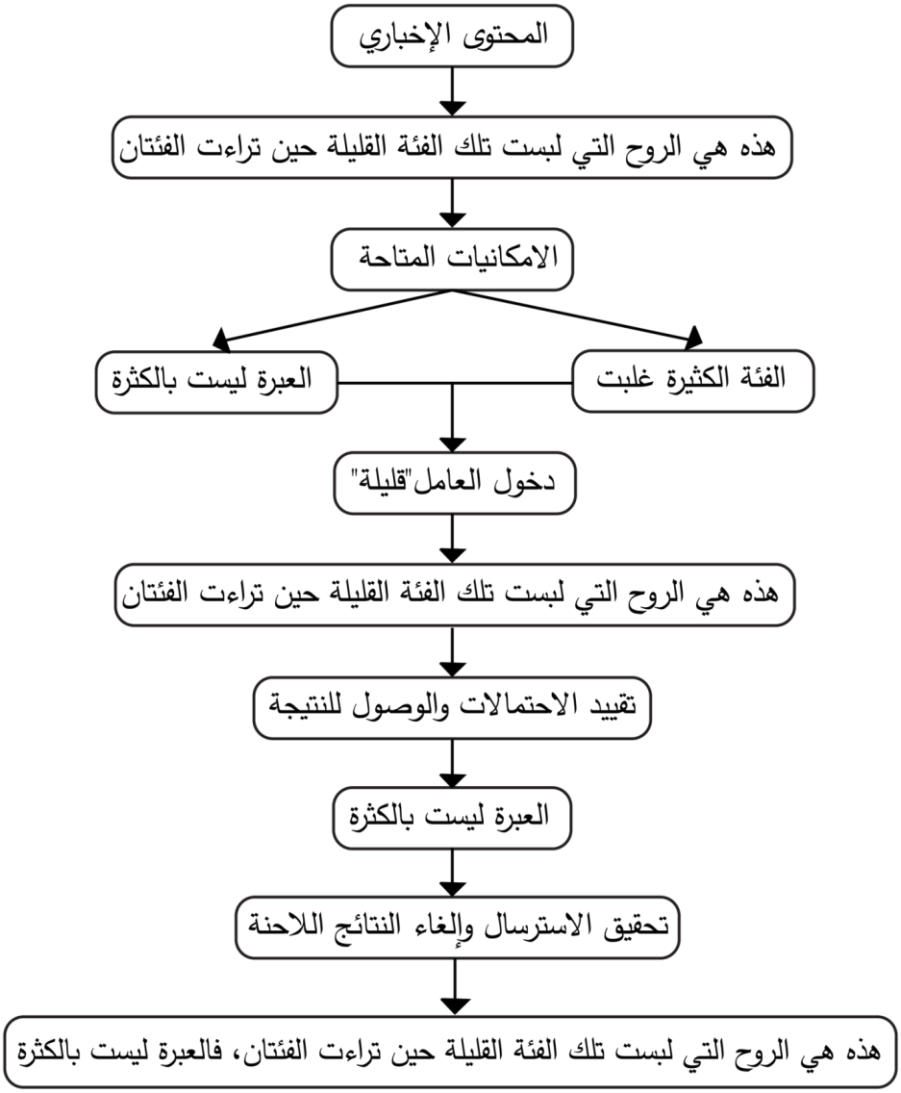

المخطط (13): مخطط توليفة الحجة ذات العامل "قليلة"

نموذج العامل " كثير":

«إن مواطن العروبة متفرقة متباعدة وإن الرابط الطبيعي بينها هو هذه اللغة، وقد ألم بها من أحداث الدهر ما أضعف تلك الرابطة حتى رثت حبالها، وغالبتها العامية في كثير من أحكامها وكثير من مفرداتها»[1].

تحليل النموذج:

إن التدفق الحجاجي الذي يوفره العامل "كثير" في قول البشير الإبراهيمي نابع من

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص294 – 293.

حسن اختياره لهذا العامل، فهذه المفردة « بوصفها من الأدوات التي تجعل الخطاب منسجما يقود المتلقي إلى وجهته التي يريد، فغاية العامل الاحتجاج لما يقيده ويحصره ضمن آليات الطرح بإشباع مشاعر المتلقي وفكره لجعله مستعدا لقبول القضية المطروحة دون أن يكون ثمة خروج عليها»[1]، وكذا احتساب السياق اللغوي الذي فرض توازنا بين المفردات المعجمية كل هذا كان مدعاة الشيخ لاختيار هذه المفردة بعينها، ذاك أن القول يدور حول اللغة العربية ومدى غلبة العامية عليها فالإشارة واضحة أن السياق فيه جانب كمي، والمتضمن لصيغة منتهى الجموع (مواطن)، و(أحداث) تعبيرا عن الكثرة، هذا من جانب اللفظة" كثير" وتواجدها ضمن مفردات مواكبة لها في السياق اللغوي، أما من جانب حرصه على تلقي القول من قبل المتقبل، فذاك عين ما يرعاه البشير الإبراهيمي؛ إذ أخذ على عاتقه ما قد يتبادر في ذهنه من تأويلات، ونتائج خادمة للمعنى الحرفي، ما يجعل النتيجة التي يرنو إليها الخطيب غامضة بالنسبة للمخاطب، فما كان من البشير الإبراهيمي إلا الإفادة من عاملية "كثير"؛ وذلك بإقحامها في الجملة حتى تتلاشى تلك الدلالات المفتوحة، وتتجلي النتيجة مطلب وهدف الشيخ، على اعتبار أن الجانب الظاهر للبنية اللغوية عند حذف العامل هو المسؤول عن تعدد التأويلات فالحجة عند حذف العامل الحجاجي المعجمي"كثير" قائمة على الشكل التالي: (غالبتها العامية في أحكامها ومفرداتها)، تستدعي إمكانيات متعددة كمثل:(أنهت معياريتها، القليل منها بقي سليما، انهضوا بها، ستأخذ مكانها)، لكن الواضح أن استخدام الشيخ للعامل الحجاجي "كثير"، ثم تكريره مرة أخرى ما زود الحجة بالنتيجة التي يستهدفها الخطيب، وقضى على كل الاحتمالات، إذ كان دور العامل الحجاجي واضحا في توجيه القول نحو النتيجة المقصودة من خلال أنه كان تخصيصا بهذه الصفة وهي صفة الكثرة ما أدى بالمتلقي إلى استنتاج النتيجة المرادة؛ ما استدعى أن القليل

[1]– مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص 101 .

منها سلم ولم تغالبه العامية، وتم على إثرها الانتقال من الجانب الإخباري إلى المعطى الحجاجي، حتى أنه يمكن الاسترسال بين القول على وفق مايلي:

وغالبتها العامية في كثير من أحكامها وكثير من مفرداتها، فالقليل منها بقي سليما.

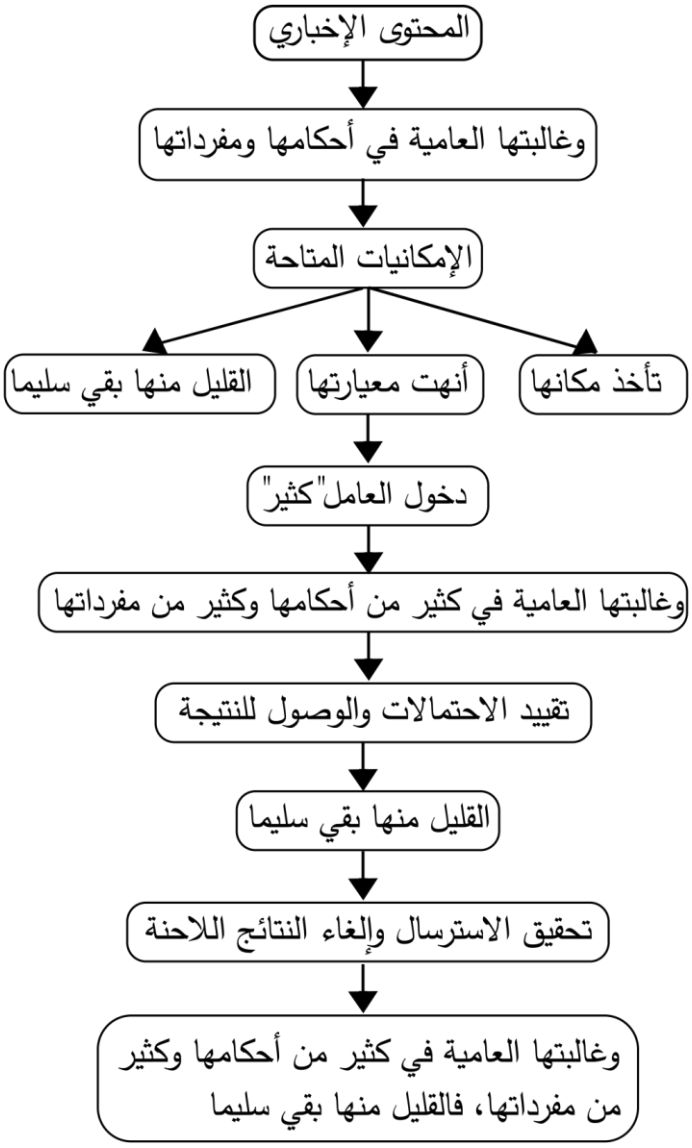

المخطط (14): مخطط توليفة الحجة ذات العامل " كثير"

المبحث الرابع: الروابط الحجاجية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

أولا – مفهوم الروابط الحجاجية:

النصوص عبارة عن جمل متصلة بعضها ببعض، ولا يتأتى هذا الترابط إلا بأدوات تسمح بمرور المعنى وسريانه من جملة إلى جملة، و« لما كانت للغة وظيفة حجاجية وكانت التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج»[1]؛ من بينها الروابط الحجاجية؛ حيث « إن هذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو إلى وأنسكومبر إلى رفض نموذج شارل موريس والدفاع عن فرضية التداوليات المندمجة(La pragmatique intégrée)، وترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها »[2].

من ثمة « اقترح ديكرو وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات باعتباره بديلا للوصف التقليدي»[3].

ويقدم فان دايك تعريفا للروابط الحجاجية في كتابه النص والسياق بقوله: « إن العلاقات بين القضايا والأحداث إنما يعبر عنها على نحو خاص بواسطة مجموعة من العبارات من مختلف أنواع التراكيب مما يمكن أن نطلق عليه هنا اسم الرابط، وقبل كل شيئ تنتمي إلى هذه المجموعة روابط أصلها راجع إلى تركيب أنواع من الوصل التشريكي (عطف) سواء منها المنسوقة أو الدالة على الفرعي من الجمل مثلا حرف "الواو"، وحرف"أو"، وأداة التعليل "لأن"، وكذلك "من أجل أن"، ووظيفتها هو تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة.»[4].

وعلى هذا فإن« الرابط كلمة تعليق وتوجيه يصل بين معلومات نص وحجاجاته ويضع

---

[1] – أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص26 .

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – فان دايك، النص والسياق – استقصاء في البحث في الخطاب الدلالي والتداولي – ص 82–83 .

خاصة ما في النص من معلومات في خدمة مقصده الحجاجي الشامل»[1].

أما أبوبكر العزاوي فيقدم تعريفا مختصرا للروابط بقوله:« فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة»[2].

وعن أنواع الروابط الحجاجية فيحددها كمايلي:

أ. « الروابط المدرجة للحجج: (حتى، بل، لكن، مع، ذلك، لأن، ...).

ب. الروابط المدرجة للنتائج:(إذن، لهذا، وبالتالي...).

ج. الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما...)، والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

د. روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...).

هـ. روابط التساوق الحجاجي (حتى لاسيما...).» [3].

بينما يعرفها عبد اللطيف عادل في كتابه "بلاغة الإقناع في فن المناظرة" بتعريف قريب من تعريف أبي بكر العزاوي، إلا أنه يحصرها في نوعين فقط، ويظهر ذلك في قوله:« هي مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين (أو أكثر) داخلين في استراتيجية حجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج)، وهي صنفان:

- روابط مدرجة للحجج، مثل: (لأن، لكن...).
- روابط مدرجة للنتائج، مثل: (إذن، أخيرا...).

[1] – كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، (دط)، 2008، ص 120.

[2] – أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.

[3] – المرجع نفسه، ص 30.

وعموما، فإن العلاقة بين الحجة والنتيجة ليست اعتباطية، بل هي ناجمة عن توجيه تحكمه المشيرات اللغوية الحجاجية»[1].

فالروابط تسهم في الانسجام والتماسك النصي؛ لتغري المتقبل وربما يحمله على الإذعان أو التسليم بالأطروحة، ولا سيما إذا كان يتزود من المرسل بمعرفة لم يكن يعرفها سابقا بإنشاء حدث إقناعي موجه إلى التدليل على صحة الدعوى،[2] هذه المزية التي تضطلع بها تجعل لها دورا هاما في بناء النص شكلا وحجاجا.

ثانيا – الروابط التعارضية:

في هذا الشأن « ميز ديكرو وانسكومبر، في دراساتهما العديدة للأداة "Mais"بين الاستعمال الحجاجي والاستعمال الإبطالي(Réfutation)، وإذا كانت اللغة الفرنسية تشتمل على أداة واحدة تستخدم للحجاج والإبطال، فإن لغات أخرى تتوفر على أداتين (...)، ولكن اللغة العربية، وإن كانت تلتقي مع الإسبانية والألمانية في توفرها على أداتين، فإنها تختلف عنها (وتلتقي في هذا مع الفرنسية) في أن كل أداة؛ أي أن كلا من "بل" و"لكن"يستعمل للحجاج والإبطال»[3]. وتكتسي هذه الروابط مكانة في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، يمكن تقديم نماذج منها على وفق ترسيمة أبو بكر العزاوي:

نموذجا الرابط التعارضي "لكن":

النموذج الأول:

«إن المسلمين إخوة بحكم الله، ولكنهم اتبعوا خطوات الشيطان»[4].

[1] – عبد اللطيف عماد، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان، بيروت لبنان الجزائر، الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص100.

[2]– ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص72.

[3]– أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص57.

[4] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، 59.

تحليل النموذج:

مقولة الخطيب ابتدأها بالمؤكد "إن" توكيدا لحجته، كما وكانت قائمة على الجملة الاسمية تحقيقا للتوكيد ودلالة على الثبات والاستقرار؛ ما يعني الافتراض بثبوت أخوة المسلمين واستقرارهم على ذلك بوفق حجة البشير الإبراهيمي، والحاصل بحكم الله، هذه الحجة تترتب عنها نتيجة وهي(الإسلام قارب بينهم)؛ ليستخدم الخطيب الرابط الحجاجي "لكن" محدثا فاصلا بين الحجة الأولى والثانية على اعتبار أنهما لا تنتميان إلى وجهة حجاجية واحدة، فبعد الحجة الأولى، ومالها من طاقة حجاجية التي مكنها منها عامل التوكيد، يستدرك البشير الإبراهيمي مجددا مستفيدا من حجاجية الرابط التعاندي " لكن" يستدرك حجته بما يليه مقدما حجته الثانية (اتبعوا خطوات الشيطان)، هذه الجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد؛ أي إنها خالفت سابقتها الاسمية؛ إذ شكل الحجاج عند الخطيب منعطفا آخر فلا الطاقة الحجاجية نفسها، ولا الوجهة الحجاجية نفسها، وغدت الحجتان متعاندتين بمقتضى الدور الحجاجي المنوط ب"لكن؛ ل« أن المتكلم يقدم "أ" و"ب" باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة "ن"، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها؛ أي "لا – ن"»[1] ، فالسياق اللغوي الذي تتموقع فيه الحجة الثانية أعطاها أحقية تملك القوة، ذلك « أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته»[2]، ونتيجة الحجة الثانية مطروحة على مستوى النص مباشرة وهي:(فكان جزاؤهم أنه كلما تقاربت بهم الديار باعد بينها الاستعمار)، وبما أن الحج الثانية أقوى من الحجة الأولى، فإنها توجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا – ن"»[3].

[1]– أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص58.

[2]– المرجع نفسه، ص58.

[3]– المرجع نفسه، ص59.

المخطط (15): ترسيمة الرابط التعارضي "لكن"

النموذج الثاني:

« أنا لا يرضيني أنني في وطني كل، لأنني مرجع لإخواني العلماء، ومطاع من أتباع جمعيتي؛ لأن هذا الكل مهما قوي ضعيف، ولكن يسرني أن أكون جزءا من هذا الكل العظيم وهو علماء الإسلام، بل أفخر بهذا وأعلم ماله من الآثار النافعة للأمم الإسلامية»[1].

تحليل النموذج:

ينطلق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في حجته مستعينا بضمير المتكلم "أنا"؛ مفيدا مما يحمله من لمسة حجاجية توكيدية إذ يحقق « إيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره»[2]، نافيا أن يكون راضيا على وضعه من كونه كل في وطنه مستعينا بالمؤكد "أنني" وما للتوكيد من وقع في نفس المتلقي، مفضلا الكل على أنه مرجع لإخوانه العلماء ومطاع من أتباع الجمعية معربا عن أنه ضعيف مهما قوي، ليكون اتجاه الحجاج نحو نتيجة واحدة (فهو لا يكفيني)، وبواسطة الرابط الحجاجي "لكن" يستدرك ليناقضها ويلقي بالحجة الأقوى بفضل الرابط ومزيته في دحض النتيجة السابقة من خلال (يسرني أن أكون جزءا من هذا الكل العظيم وهو علماء الإسلام)، فبعد عدم الرضا والضعف هاهو بواسطة الرابط

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص80.

[2] – محمود بن عمر (أبو القاسم، جار الله االزمخشري)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، فتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض السعودية، ج 1، ط1، 1998، ص161.

التعارضي"لكن" يعود ويتراجع في موقف مغاير مع العظم والسرور كجزء من الكل وهم علماء الإسلام، وقد استطاع الرابط أن يشد أزر الحجاج نحو الحجة الأقوى للوصول إلى النتيجة التي يريدها الخطيب، وهي(فهو يكفيني)، وهي نتيجة القول برمته كون أن البشير الإبراهيمي أحد علماء الأمة العظماء، وما يحسن التنبيه إليه هو وجود الرابط "بل" بعد الحجتين السابقتين وهو رابط تساوقي حقق توزيع الإمكانات الحجاجية على مستوى الملفوظ ككل فكان له هنا نصيب الحجة الأقوى؛ من حيث إنه مرادف للرابط الحجاجي "حتى"؛ لذلك فمن الطبيعي أن يكتسب دورها الحجاجي في جعل الحجة التي تليها أقوى من سابقتها حتى وإن كانت بعد الرابط "لكن"، فبعد أن كان الخطيب مسرورا هاهو يرتقي بعد الرابط "بل" إلى حجة أرقى، وهي الفخر بأنه جزء من كل عظيم لكنهما تؤديان إلى نفس النتيجة.

التحليل على النحو التالي:

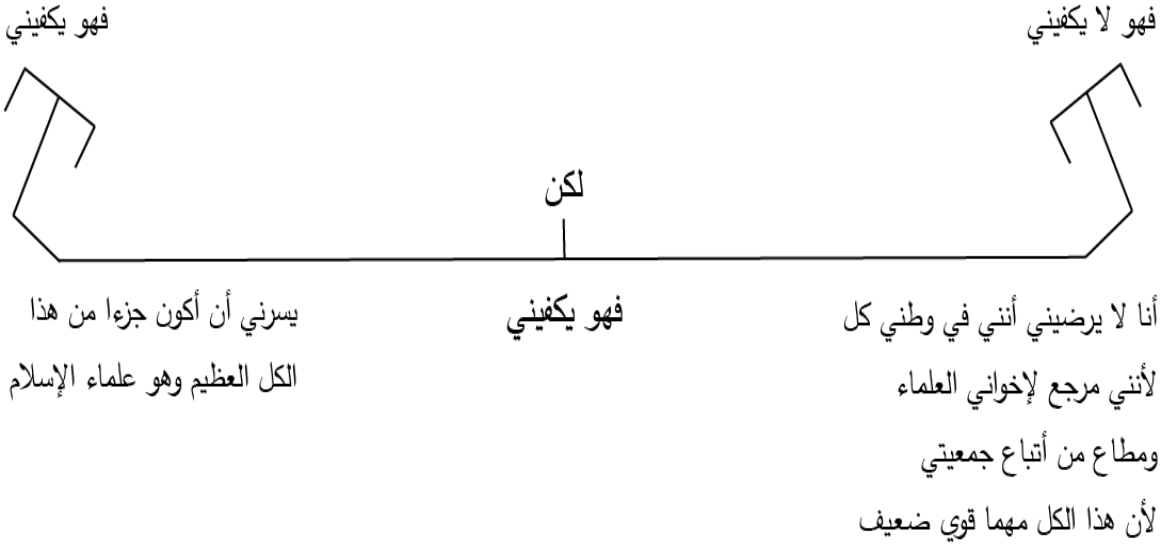

المخطط (16): ترسيمة الرابط التعارضي "لكن"

نموذج الرابط التعارضي "بل":

«لا إحياء للإسلام لأن الإسلام حي بل إحياء الإسلام في نفوسنا»[1].

تحليل النموذج:

استثمر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عاملية النفي؛ ليبعد أي ظن بأن الإسلام ميت وذلك في حجته(لا إحياء للإسلام لأن الإسلام حي)، معللا بأن الإسلام حي، وليس في حاجة إلى من يحييه، فالإحياء لا يكون إلا لميت، كما وتحمل حجته النتيجة (الإسلام ليس في حاجة لإحيائكم)، ولم يتوقف الشيخ عند هذا الحد، وإنما أضاف حجة ثانية؛ ليتدفق الحجاج نحو وجهة حجاجية مضادة استثمر على إثرها الإمام المعطيات الحجاجية التي يوفرها الرابط الحجاجي "بل" الضامن لورود الحجة الأقوى بعده، والأقرب إلى النتيجة؛ إذ يتمتع بقدرته على إدراج الحجة الأكثر قوة،«فالرابط الحجاجي "بل" يربط بين الحجج، والنتائج، والنتيجة المضادة "لا – ن" ستصبح نتيجة القول برمته؛ لأن الحجة التي بعد "بل" أقوى من الحجة التي قبلها» [2]، وعليه فالحجة التي تلي الرابط الحجاجي(إحياء الإسلام في نفوسنا)، تدحض نتيجة الحجة السابقة؛ بمعنى أن نتيجتها المتوقعة هي (الإسلام في حاجة لإحيائكم)، هذه النتيجة ضمنية عاندت النتيجة السابقة، وهو ما يبحث عنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وبطبيعة الحال هذا يستدعي شراكة ذهنية من المتلقي في الوصول للنتيجة مقصد الشيخ وسيرورة الحجاج الموجهة بواسطة الرابط الحجاجي "بل" تأخذ بالقول نحو النتيجة الضمنية الأقرب إلى النتيجة الخالصة من القول برمته، وهي من قبيل (الإسلام في حاجة لإحيائكم).

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص210.

[2] – أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص63.

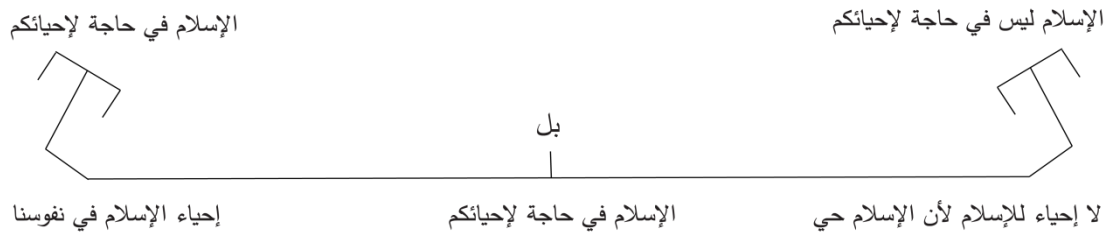

المخطط (17): ترسيمة الرابط التعارضي "بل"

ثالثا – الروابط الحجاجية التساوقية:

تعمل الروابط الحجاجية التساوقية على الوصل بين الحجج، محققة الدعم للوصول لنتيجة واحدة، « ونقول عن حجتين إنهما متساندتان إذا سيقتا لتعزيز النتيجة نفسها، ومثاله "هذا الكتاب مفيد وثمنه مناسب، اشتره إذن"»[1].

نموذج الرابط التساوقي "حتى":

« والإسلام يأمر بالوفاء لذاته، ويجعله من آيات الإيمان، وينهى عن الغدر، ويجعله شعبة من النفاق، يأمر بالوفاء حتى في الحرب التي هي مظنة الترخيص في الأخلاق، والتساهل في الفضائل، يقول ﷻ[2]:﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدْتُم ﴾»[3].

تحليل النموذج:

يسوق الخطيب قوله على صيغة متوالية من الحجج خادمة لنتيجة واحدة، فحجته (الإسلام يأمر بالوفاء لذاته ويجعله من آيات الإيمان)، اتبعها بالحجة الثانية الداعمة لها بواسطة الرابط الحجاجي التساوقي "الواو" (ينهى عن الغدر، ويجعله شعبة من النفاق)، ثم الحجة اللاحقة (يأمر بالوفاء حتى في الحرب التي هي مظنة الترخيص في الأخلاق والتساهل في الفضائل، يقول تعالى: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) والتي جاءت بالحجة

[1] – الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، عالم الفكر، العدد 1، مجلد34، 2005، ص228.

[2]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص94.

[3] – النحل، الآية: 91.

الأقوى بفضل الرابط الحجاجي التساوقي "حتى"، فالإسلام بعد أن أمر بالوفاء وجعله من آيات الإيمان ونهى عن الغدر وجعله من آيات النفاق بحسب حجتي البشير الإبراهيمي الواردة قبل "حتى" هاهو الخطيب يقدم الحجة الأكثر تأثيرا في المتلقي مستفيدا من المعطى الحجاجي، والطاقة الحجاجية التي يوفرها الرابط"حتى"؛ ليدرج بعدها حجته تقربا من النتيجة المتوخاة، ويرجع بذلك ميزان الثقل الحجاجي إلى ما بعدها؛ حيث تنطوي حجته على أمر الإسلام بالوفاء في الحرب على ما يكتنف الحرب من فتح باب الإحلال في كثير من الأمور على وفق القانون الوضعي المرخص له من البشر، فالإسلام لم يكتف بحيز الوفاء كمفهوم خاص متداول بين الاشخاص، وإنما تجاوزه ليشمل الوفاء في الحرب، ولقد كانت هذه الحجة الناطق بعدالة الإسلام، والحجة التي جعلت من الحجتين السابقتين تبدو أقل قوة، ومع العلم أن الأمر بالوفاء يستدعي عدم الغدر، هذا في الحجة الأولى، والأمر سيان في الحجة الثانية، فالنهي عن الغدر يستدعي بالضرورة الوفاء، ما أضفى على الحجتين ترادفا حجاجا وتوازنا طاقويا ووجهة حجاجية واحدة؛ لذلك كان حري بالخطيب أن يقوي من حجته دعما للنتيجة فكانت حجة الوفاء في الحرب أقوى طرحا أين خالف بذلك تقاليد الحرب بوصف مساحة الخداع فيها مفتوحة ف(الحرب خدعة)، وإن تصعيد النسق الحجاجي من الخطيب كان مرده البحث عن الكيفية التي يقنع بها المخاطب بالنتيجة محل اهتمام البشير الإبراهيمي، فقد أضفت "حتى" بطابعها الحجاجي المساند للحجج التي تسبقها دعما من خلال ربطهما بالحجة الأقوى « وهذا يوافق الوصف الحجاجي الذي قدمه ديكرو وأنسكومبر للأداة المقابلة ل"حتى" الحجاجية في اللغة الفرنسية، أي الأداة "Méme" فالحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط يمبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة(C lasse argumentative) أي أنها تخدم نتيجة واحدة، ثم إن الحجة التي ترد بعد "حتى" هي الأقوى»[1]، وما زاد الحجة قوة هو الاستشهاد بقول المولى ﷻ: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُم﴾ما سهل الوصول إلى النتيجة(الوفاء قاعدة من تشريع الحرب في الإسلام).

[1] – أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 73.

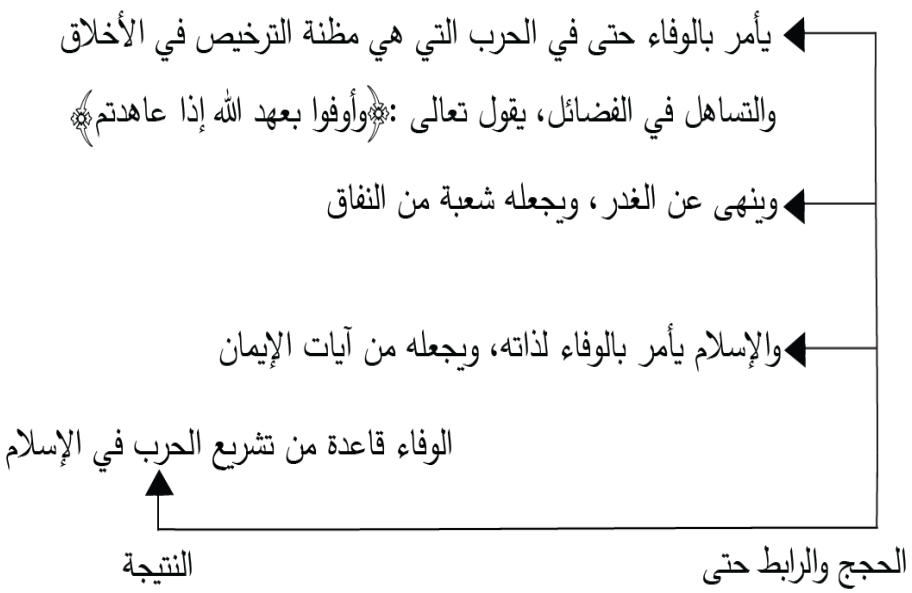

المخطط(18): مخطط الرابط التساوقي " حتى"

نموذج الرابط التساوقي "الواو":

«يا اتباع محمد عليه السلام هذا هو اليوم الأزهر الأنور وهذا هو اليوم الأغر المحجل وهذا هو اليوم المشهود في تاريخكم الإسلامي بهذا الشمال، وهذا اليوم هو الغرة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة، وهذا هو التاج المتألق في مفرقها، والصحيفة المذهبة الحواشي والطرر من كتابها»[1].

تحليل النموذج:

في هذا المقتطف يبدأ الخطيب حجاجه مشيرا إلى يوم استرجاع مسجد كتشاوة (يأأتباع محمد عليه السلام هذا هو اليوم الأزهر الأنور) ، وكان ولا بد أن يرفع من مكانة هذا اليوم فلا أدل على هذه الرفعة إلا "أفعل التفضيل" "الأزهر"،"الأنور"؛ ليواصل حجاجه مدعوما بالرابط التساوقي "الواو"، الذي لا يكتفي بالجمع بين الحجج فقط، وإنما يتجاوز دوره إلى شد أزرها ليلحق بها حجة موالية لها تؤخذ على أنها سند مقوي للحجة السابقة، وفي الحجة (هذا هو اليوم الأغر المحجل)، ساهم أيضا الرابط الحجاجي"الواو" في تقديم الحجة اللاحقة كسند

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص306.

يسير في اتجاه حجاجي واحد مع ما سبقها من الحجتين الأولى والثانية، ويعمل على ترتيبها ودعمها، « وهنا يكمن دور الروابط الحجاجية واستثمار دلالاتها في ترتيب الحجج، ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصل مواضع الحجج بل وتقوي كل حجة منها الحجة الأخرى»[1]، ووصلا لما كان، فقد عمد البشير الإبراهيمي إلى اتباع النسق نفسه من خلال اتخاذ فعل التفضيل "الأغر"عنصرا مقويا لحجته هذه أيضا، إذ يكمل الخطيب حجاجه مستعينا ب"الواو" ليسوق الحجة الثالثة (هذا هو اليوم المشهود في تاريخكم الإسلامي بهذا الشمال)؛ بغية السير نحو النتيجة المقصودة، وطبعا أراد الإمام من اليوم المشهود تشبيها بليغا؛ حيث إنه شبه يوم استرجاع مسجد "كتشاوة" بيوم عرفة، ومكمن الشبه يقع في ذلك الوقوف في عرفة الذي يقابله حضور المسلمين في مسجد كتشاوة، وعلى اعتبار أن يوم عرفة هو إكمال الدين، فإن رجوع مسجد كتشاوة للأمة الجزائرية هو الآخر إكمال للاستقلال بعدها، ومن جديد استخدم البشير الإبراهيمي "الواو"، حتى يدرج الحجة الموالية؛ لغرض تقريب النتيجة أكثر(هذا اليوم هو الغرة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة)، ففضيلته يسوق حجته المدعمة بطاقة حجاجية تتمثل في الوصف " اللائحة" و " المباركة"، ولا أدق على بيان أهمية هذا اليوم إلا إعطاؤه الوصف المناسب الذي يرفع من قيمته، وهنا تكمن أهمية الصفة« فلا يقتصر المرسل على معناها المعجمي، أو تأويله، بل يبتغي التقويم والتصنيف واقتراح النتائج، التي يريد حصولها أو فرضها »[2]، وفي هذا المقتطف لا يتوانى الخطيب عن إضافة حجة أخرى؛ لترسم الطريق في وجهة حجاجية واحدة، ونحو النتيجة المبتغاة والوصول إليها ما هو إلا وصول إلى التأثير في المتلقي من خلال حججه المتتابعة بفضل الرابط "الواو" والذي بفضله تساندت الحجج وتقوت؛ ليلحق ذلك بالحجة الأخيرة الأقرب إلى النتيجة(هذا اليوم هو الغرة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة، وهذا هو التاج المتألق في

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ص472.

[2] – المرجع نفسه، ص، 487.

مفرقها والصحيفة المذهبة الحواشي والطرر من كتابها)، التي وصلت إلى أن يوم استرجاع مسجد كتشاوة يمثل الغرة بالنسبة للثورة ويمثل التاج والصحيفة المذهبة ما زود الحجة بتكثيف حجاجي قربها أكثر من النتيجة(يوم استرجاع مسجد كتشاوة أعظم إنجاز للثورة)، والواقع أن التشبيه البليغ"هو التاج المتألق" و"الصحيفة المذهبة"، في الحجة الأخيرة أمد الملفوظ بفائض من القوة الحجاجية، إذ القول يتضمن استخدام الأثمن، وذاك أن الشيخ اختاره على وفق تراتبية المعادن، فكان التاج الذي من الأغلب أن يكون من الذهب والصحيفة المذهبة، وزد على ذلك ما يحمله التشبيه البليغ من تقريب المشبه(يوم استرجاع مسجد كتشاوة) والمشبه به (التاج المتألق) و(الصحيفة المذهبة)، والخطيب حال حذفه لأداة التشبيه بدى أكثر اقتصادا في لغته، لكنه أكثر حجاجية كون التشبيه البليغ يختزل أداة التشبيه، فيكون موقع المشبه مباشرة أمام المشبه به؛ مما يحدث في ذهن المتلقي مطابقة بينهما فتنتهي الحدود الفاصلة بين المعاني الأصلية للمفردتين، ويترقى الحجاج عند البشير الإبراهيمي، ويزيد التأثير قوة في المخاطب، ولقد استغل الخطيب بكفاءته التداولية الرابط الحجاجي "الواو"؛ لتوفير رصيد أكبر من الحجج؛ ليحظى في المقابل بقبول أكثر من قبل الحضور، إذ عمل هذا الرابط على الوصل بين الحجج مع ما تحمله من كم عددي ما زاد في الطاقة الحجاجية للملفوظ بأكمله وهذا ما أراده الخطيب حين استعماله لهذا الرابط تحديدا إذ توالت الحجج تحقيقا للنتيجة المقصودة (يوم استرجاع مسجد كتشاوة أعظم إنجاز للثورة).

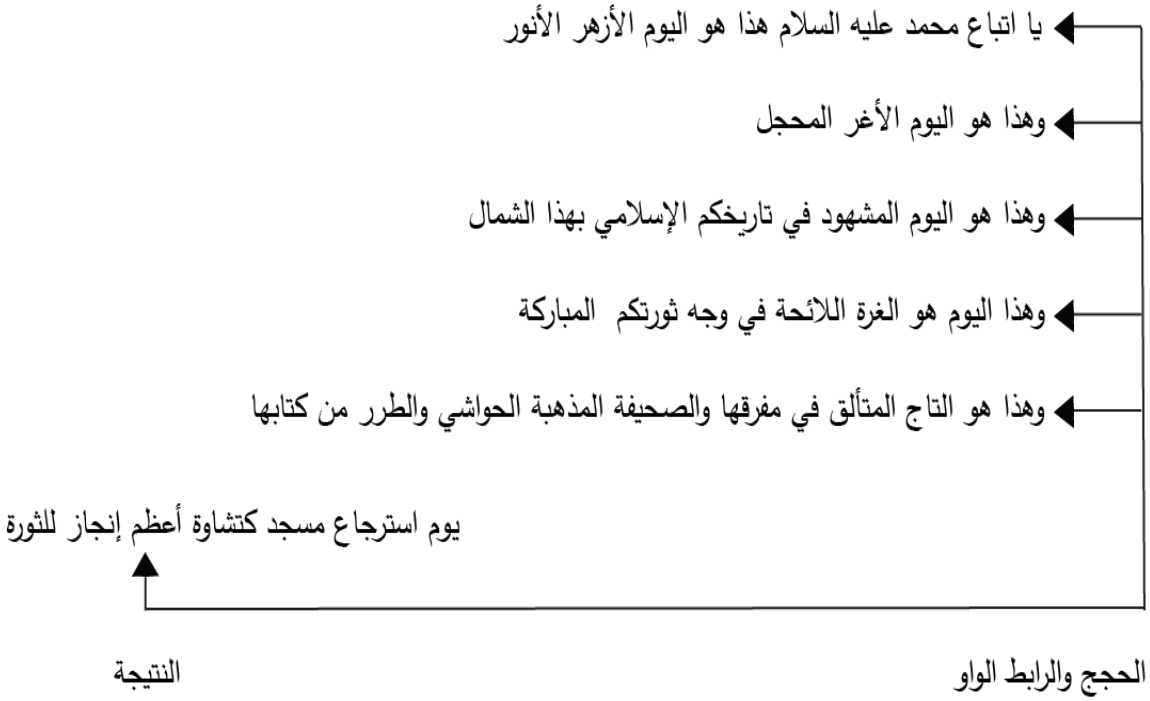

المخطط(19): مخطط الرابط التساوقي " الواو'

نموذج الرابط التساوقي "بل":

« وإني فرح بهذه الجمعية التي هي قطعة من قلبي، وهي امتداد للحركة التي دعوت إليها وكلما سمعت أنها ملكت شيئا من أرض أو امتدت شبرا، فإني أشعر بالسرور والغبطة، بل إذا بلغني أن الشيخ أمجد الزهاوي يشعر بقوة في جسمه وفكره ازددت فرحا».[1]

تحليل النموذج:

كعادته في استخدام المؤكدات وباستعمال الرابط الحجاجي التساوقي"الواو"، يؤكد الخطيب فرحه بالجمعية مشيرا باسم الإشارة "هذه" دلالة على القرب، فمادامت الجمعية قطعة من قلبه، فلا أحق إلا أن تكون الأقرب إليه، ويواصل الخطيب حجاجه معبرا عن فرحه بهذه الجمعية، لكن في مستوى أرقى، فبعد أن كان فرحا، هاهو يصعد من وتيرة عاطفته من الفرح إلى السرور والغبطة، مستغلا حجاجية المفردة من الجانب المعجمي فالفرح شعور دائم يحسه الخطيب اتجاه الجمعية بينما السرور شعور مؤقت؛ حيث وظف هذه

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص210.

المفردة وفق امتلاك الجمعية أوامتدادها ساعتها فقط يحس بالسرور؛ لذلك فهو مقصور على الامتلاك والامتداد، ناهيك عن استعماله للمفردة غبطة التي تشمل المسرة؛ وبذلك يكون الخطيب قد حقق ثراء حجاجيا من خلال ذلك التدفق المنهمر للحقل المعجمي الخاص بالكلمة، كما تحمل هذه الحجة نتيجة من قبيل (الشيخ يزداد فرحا)؛ ليربطها بواسطة الرابط الحجاجي "بل" بالحجة اللاحقة (إذا بلغني أن الشيخ أمجد الزهاوي يشعر بقوة في جسمه وفكره ازددت فرحا)، والتي تمثل الحجة الأقوى باعتبار موقعها بعد الرابط الذي تمتاز الحجة اللاحقة له بكونها الأقوى تراتبيا في ما يخص الحجج التي تسبقها، فالرابط الحجاجي "بل" هنا يقوم مقام "حتى"؛ « لأن "بل" التي ندرسها هنا مرادفة ل "حتى"، وهي تختلف عن "بل" الإبطالية التصحيحية المرادفة ل" لكن"» [1]؛ حيث ساق الحجة بعد الرابط الحجاجي "بل" للتعبير عن الزيادة في الفرح، فإذا كان في الحجة الأولى فرحا، فإنه في الحجة الثانية ازداد فرحا، فتتقوى الحجة بمضاعفة الفرح. ويمكن عرض التحليل على النحو التالي:

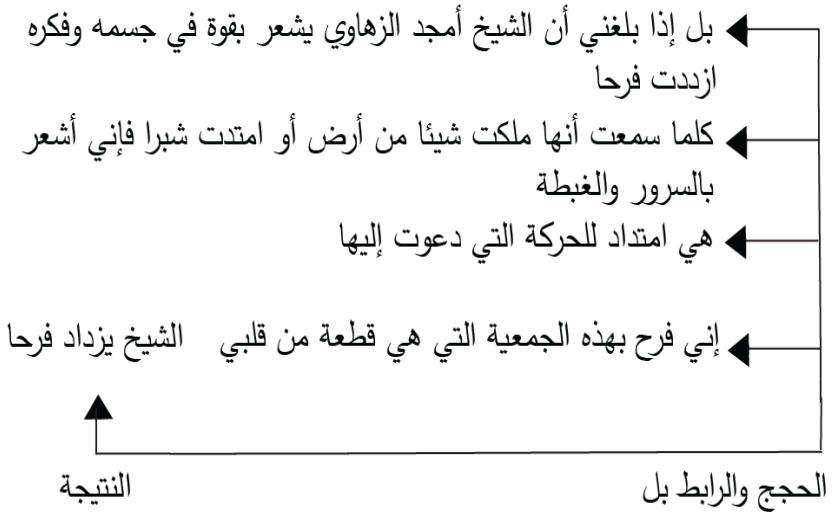

المخطط (20): مخطط الرابط التساوقي "بل"

[1] – أبو بكر العزاوي؛ اللغة والحجاج، ص91–92 .

رابعا –الروابط المدرجة للنتائج:

تقدم بعض الحجج نتائجا خالصة منها، ولا يتأتى البناء الشكلي والحجاجي إلا بروابط تمكن من طرحها، و« تعمل هذه الروابط الحجاجية على الربط بين الحجة والنتيجة، لأنها تصل المقدمة بالاستنتاج، وتتدخل في توجيه الدلالة الحجاجية »[1].

نموذج الرابط الاستنتاجي "الفاء":

«يا معشر الجزائريين : إذا عدت الأيام ذوات السمات، والغرر والشيات في تاريخ الجزائر فسيكون هذا اليوم أوضحها سمة وأطولها غرة وأثبتها تمجيدا»[2].

تحليل النموذج:

تنهض هذه الحجة على النداء أولا فالخطيب يعلم ما للنداء من فاعلية حجاجية تجعله خليقا بتنبيه المخاطب؛ لذلك استقر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على النداء اختيارا، مناديا بلفظة "معشر"، واختياره لهذه المفردة يمد قوله بطاقة حجاجية أكثر من ندائه للجزائريين مباشرة؛ لما تنطوي عليه المفردة نفسها من معنى معجمي، وبحثا منه على المواءمة مع السياق اللغوي بأكمله، كان هذا الاختيار معطى لابد من لدن خطيب يحمل كفاءة تداولية؛ لأن السياق اللاحق ينبئ بمقابلة بين الأيام؛ لذلك كان حري بالخطيب أن يلتمس المفردة الأقرب لهذا السياق، ولا أدل على ذلك إلا كلمة "معشر" ، إذ تقوم على معنى الجماعة التي تشترك في الوصف، وحجاجه اللاحق يحمل معنى المقابلة بين الأيام بحثا عن الصفات المائزة لها، فما كان من الخطيب إلا مناداة الجزائريين بمعشر، فتكون في سياق واحد مع الأيام التي تشترك هي الأخرى في السمات، وقد ابتدأ الخطيب بهذه الحجة(يا معشر الجزائريين إذا عدت الأيام ذوات السمات، والغرر والشيات في تاريخ الجزائر) كشرط لضمان النتيجة مع ما اعتد به من فاصلة موسيقية (ذوات، سمات، شيات) تجذب السمع،

[1] – آمنة بلعلى، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص117، نقلا عن: مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص71.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص307.

وبذلك تعتبر حجة للنتيجة التي تليها (سيكون هذا اليوم أوضحها سمة وأطولها غرة وأثبتها تمجيدا) فالفاء أدرج النتيجة المستنتجة في جواب الشرط، وما أسهم في تزويد النتيجة بطاقة حجاجية مكثفة هو استخدام أفعل التفضيل(أوضح، أطول، أثبت) في إثباته بأن يوم"استرجاع مسجد كتشاوة" هو الأكثر تميزا، ولقد ساعد الرابط الحجاجي"الفاء" في تقريب النتيجة سريعا، مع دعم من حرف "السين" وماله من إيحاء في قرب الحدث ومنه سرعة تحصيل النتيجة.

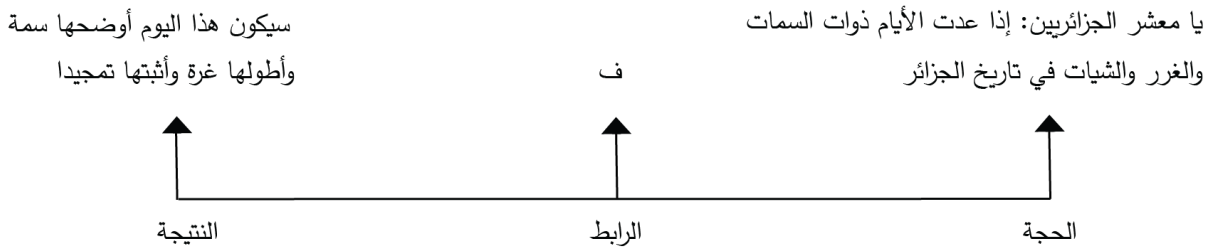

المخطط (21): مخطط الرابط الاستنتاجي"الفاء"

نموذج الرابط الاستنتاجي "هكذا":

«فلا يعرفون أن "أفيروس" هو ابن رشد، وأن "أفيسن"" هو ابن سينا، وأن "جيبرال طار"هو جبل طارق، وهكذا يتكلم أبناؤنا اليوم بهذه الأسماء، وهكذا ينطقون بها»[1].

تحليل النموذج:

ينفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي معرفة أبناء الأمة لعلمائهم، فباستعمال التوكيد "إن" نفى أن يكونوا على معرفة بان أفيروس هو ابن رشد، وبواسطة الرابط التساندي ألحق الحجة الثانية متخذا أيضا من المؤكد "إن" أداة لتوفير مزيدا من الطاقة الحجاجية، واعاد الكرة في الحجة الثالثة من خلال تقديمها بواسطة العامل الحجاجي "الواو"؛ ليعمل على ترتيب الحجج نحو وجهة حجاجية واحدة، هذا الفيض من تكرار المؤكدات جاء دعما للنفي، ما يزيد في تكثيف الطاقة الحجاجية للقول، وهذا التساوق الحجاجي شكل شواهدا قدمها

[1] - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص294.

الخطيب؛ لتكون حججه مدعاة للتصديق والتأثير؛ ليصل الخطيب إلى إدراج الرابط الاستنتاجي"وهكذا" الذي عمل على إيراد النتيجة المطروحة (يتكلم أبناؤنا اليوم بهذه الأسماء)، إلى أن يلحق النتيجة الثانية، وذلك بتكرار الرابط الحجاجي مرة أخرى "وهكذا"؛ إذ بواسطتة يصل الشيخ إلى النتيجة المستنتجة الثانية (ينطقون بها).

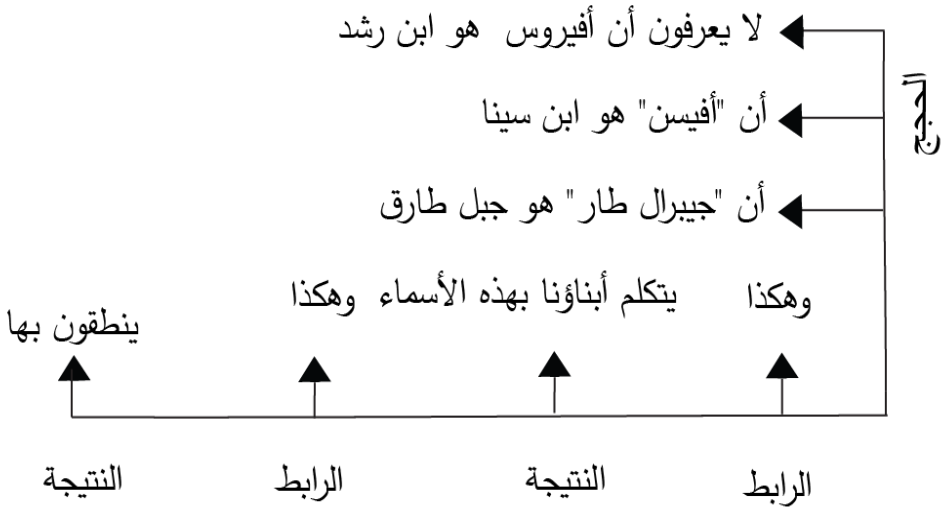

المخطط (22): مخطط الرابط الاستنتاجي"هكذا"

نموذج الرابط الاستنتاجي "إذن":

«ولنعلم أنه إن أصابها سوء ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون»[1].

تحليل النموذج:

بحميته ودفاعه عن العربية وحبه الفياض وولوعه بها، يواصل الخطيب حجاجه متخذا من الفعل (نعلم) سبيلا لتقوية حجته؛ وذاك أنه فعل يقيني نابع من قناعة الشيخ بصدق المعلومة الواردة بعده، وزاد من الطاقة الحجاجية الدعم الملحوظ من المؤكد" إن" حتى يسلب الشيخ ذهن المتلقي ويعمل على الإذعان له؛ بحيث استخدم أسلوب الشرط حتى يستدرج النتيجة بالضرورة في السياق الحاضن، ويعود من جديد ليضيف المؤكد الثاني

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص294.

"إنا"؛ حتى تنال النتيجة نصيبها من البعد التوكيدي وبالتالي تأخذ مكانها الذي يبتغيه الخطيب في ذهن المتلقي، ويصل الشيخ بحجاجه إلى النتيجة التي ربطها بالحجة بواسطة الرابط الحجاجي "إذن" (إنا إذن لخاسرون)، ولقد يلحظ أن الشيخ بثقافته الإسلامية دائما ما يستعين بحضور نصهما، وحضور المشهد القصصي لقصة يوسف ينبيء بوجود تلك المحاورة، وهو تجسيد نسبي لقول عبد الله الغذامي:« نص يتسرب إلى داخل نص آخر، ليجسد المدلولات، سواء وعى الكاتب بذلك أو لم يع» [1]، إذ فضيلته بتشبعه القرآني يكون على وعي تام بهذه المحاورة، وإنما استثمر الرافد القرآني عمدا؛ ما شكل إسقاطا بين حالة البشير الإبراهيمي وزمرته، وحال القصة في القرآن الكريم، وتتحقق بذلك شراكة بين ذهن المتلقي، وقول الملقي ما يستدرج المتقبل إلى تحريك ذاكرته، والتفتيش فيها؛ ليستجلب ماهو مخبوء فيها؛ ليتذكر ويربط ويستنتج ويتأثر، ثم يذعن.

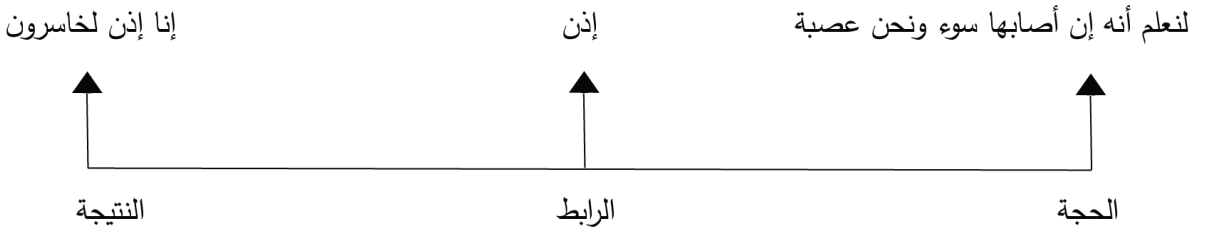

المخطط (23): مخطط الرابط الاستنتاجي "إذن"

ويستعرض الجدول التالي إحصاء السلالم الحجاجية في خطبة الجمعة التي ألقيت في جامع قرية "رأس الوادي" في أول جمعة أقيمت فيه1930:

[1] – عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، ط4، 1998، ص 325.

نوع السلم	العدد	النسبة
تنازلي	7	%58.33
تصاعدي	3	%25
تراكمي	2	%16.67
المجموع	12	%100

من خلال الجدول يتضح أن الشيخ محمد اليشبر الإبراهيمي قد ضاعف من وجود السلالم الأولى وماعلى بقية الحجج إلا تقديم الدعم، والمساندة، هذه الاستراتيجية الحجاجية شكلت حضورا لافتا في الخطبة محل الدراسة، ولعل كفاءة الشيخ التداولية أهلت السلم التنازلي أن يحتل الريادة الحجاجية في الخطبة بنسبة 58.33%؛ ما يعني أن سريان الحجاج عبر السلالم التنازلية، يقابله التأثير السريع على المتلقي منذ اللحظة الأولى التي يلقي فيها الإمام العتبة الأولى للحجاج الذي تتصدره حجته الأقوى على التراتبية السلمية ليهدئ من وتيرة الطاقة الحجاجية حجة بعد حجة، أما عن السلالم الحجاجية التصاعدية فقد كان لها النصيب الأقل، فحري بالشيخ أن يتوجه بالمتلقي عبر هذه السلالم – عمدا – الوجهة الحجاجية التي يرتضيها؛ وذلك بسلاسة تنقل المخاطب من حجة لأخرى عبر تراتبية انتقالية من الأضعف إلى الأقوى إلى أن يصل به إلى النتيجة المبتغاة أعلى السلم الحجاجي، هذا جعل النسبة تصل إلى 25%، وحاصل القول: إن غلبة السلالم الحجاجية التنازلية من حيث النسبة راجع لكون الحجة الأولى هي التي يكون لها الاستفتاح الحجاجي والتهيئة الخالصة له ما يستدعي قوتها، وبالتالي كان من أسباب اختيار هذا النوع من قبل الخطيب أنه يتمتع بخصيصة القوة المباشرة التي تحملها الحجج الأولى للسلم التنازلى بخلاف الحجاج التصاعدي الذي يتأخر في طاقته الحجاجية إلى أعلى السلم؛ لذلك كان ترجيح الشيخ له في مقابل السلم الحجاجي التراكمي الذي كان نصيبه الأقل بين الثلاثة الذي لم يشكل سوى 16.67%، ومن الواضح أن هذه النسبة راجعة لكون السلم الحجاجي

التراكمي، لايسير على نسقية واحدة مقارنة بالسلم التصاعدي أوالتنازلي؛ لأن التوجيه بالشكلين الأخيرين فيه تسلسل يجذب ذهن المتلقي.

يمكن عرض إحصاء العوامل الحجاجية التي استخدمها الخطيب في الجدول التالي:

نوع العوامل	العدد	النسبة
عامل النفي	11	%64.71
عامل القصر	4	%23.53
العوامل المعجمية	2	%11.76
المجموع	17	%100

يعطي هذا الجدول حقيقة إحصائية تبرز بشكل ملحوظ هيمنة العامل الحجاجي "النفي" فالنسبة 64.71% تعكس ذلك، والقول بارتفاع هذه النسبة مقارنة بغيرها راجع لاعتبارات أرادها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؛ إذ كان له غاية حجاجية من تزويد خطبته بعاملية النفي والأرجح أن الثنائية المائزة التي يتصف بها هذا العامل والمتمثلة في تضمينه لخبر مثبت قبلا؛ تولد عنه النفي اللاحق كان مدعاة للتكثيف منه، ناهيك عن السرعة في تحصيل النتيجة التي توفرها عاملية "النفي" من خلال تضييق الاحتمالات، ويستطيع على هذا النحو استثارة ذهن المتلقي ثم التأثير عليه؛ لذلك راعى الخطيب توافره في رحاب الخطبة بتفوق على العاملين الثانيين، أما ما اختص بنسبة عامل القصر وورود بنسبة 23.53% فراجع إلى خصوصيته التي تتمثل في قصر شيء على شيء ما يعني التحديد أكثر؛ ذلك أن الخبر متوافر ويقابله النفي، لكن القصر يقتضي التخصيص، فمن المنطقي أن تكون الحصة الأكبر للنفي وهذا ما أوضحه الجدول، ونظير ذلك تتأخر العوامل المعجمية إلى النسبة 11.76%، ولعل ذلك يعود إلى قيامها على المفردة بينما من المعروف أنه كلما زاد البناء زاد المعنى بشكل طردي، فعاملي "النفي" و"القصر" يبقيان تركيبا، وعليه فالحجاج بالتركيب كان اختيار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بداية بالنفي ثم القصر.

أما عن إحصاء الروابط في الخطبة، فهو كما يلي:

نوع الروابط	العدد	النسبة
الروابط التساندية	72	%92.31
الروابط المدرجة للنتائج	6	%7.69
الروابط التعارضية	0	%0
المجموع	78	%100

من خلال هذا الجدول الإحصائي يتضح البعد النمطي العام للغة، والذي يقوم على التكثيف في الروابط التساندية، وهو شأن من طبيعة اللغة، فمحمد البشير الإبراهيمي استفاض منه أولا لنظام اللغة الذي يفرض هذا النمط من الربط، ثم للحاجة الحجاجية له بداعي توفير أكثر كم من الحجج المتساوقة، والمتساندة، ولقد لوحظ ضمن هذه الروابط الحضور الكثيف للرابط الحجاجي "الواو" الذي غطى على البقية في الخطبة، والنسبة المرتفعة92.31% التي أخذ بها الشيخ ترجع لقدرة هذه الروابط على السماح بالتدفق الحجاجي، والجمع بين الحجج ما أسفر عن كونها كانت اختيارا للخطيب؛ لزيادة الطاقة الحجاجية وكذا فاعليتها في جمع الحجج، والعمل على توجيهها للنتيجة المتوخاة، أما الروابط المدرجة للنتائج، فقد اكتفى الخطيب بنسبة أقل وهي 7.69%، والأغلب أن ذلك راجع للوقع الحجاجي الذي يجعل الروابط التساوقية تفرض نفسها، من حيث قدرتها على تزويد الخطبة بالكم العددي للحجج وبالتالي الكيف الطاقوي للحجاج، والسير الأكيد نحو النتيجة، وعليه التأثير على المتلقي وجعله يقبل النتيجة غاية الخطيب، ويبقى الملاحظ في الجدول انعدام الروابط التعارضية ومن الممكن أن يكون ذلك راجع لسيرورة الحدث اللغوي الحجاجي الذي لا يقبل التعارض وأن قناعة الشيخ في هذه الخطبة تتجه دوما نحو الإئتلاف والتوافق الحجاجي للوصول إلى نتيجة واحدة، ما لا يسمح بإدخال الرابط التعاندي.

ملخص الفصل

وأخيرا... وبعد رحلة البحث في الحجاج عند حبر الأمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والاستمتاع بما طاب من لدنه؛ آلية وتقنيات وأدوات صنعت التأثير والإقناع، فكان المحاجج في ذلك موجه الرأي وسالب الفكر ومدبر العقل، متخذا من أرقى صور اللغة متاعا له وبعد الغوص عميقا في مفرداته وتراكيبه والإمعان في جودة الحجاج الإبراهيمي من خلال الحرص على الوقوف في بداية الفصل على أهم النظريات التي مرت؛ من أجل دراسة الحجاج والبحث فيه وكانت الإنطلاقة الكلاسيكية التي تحذوها أغلب الدراسات في معظم العلوم مع اليونان، وعلى هذه الخطى ركز البحث اهتمامه أولا على الحجاج البلاغي عند أرسطو طاليس، ثم المرور إلى نظرية الحجاج عند بيرمان وتيتيكا والبلاغة الجديدة، ومن البلاغة الأرسطية والبلاغة الجديدة، سار البحث متجها صوب الحجاج عند ستيفن تولمين، ليصل البحث إلى الحجاج اللساني الذى نادى به كل من ديكرو وأنسكومبر.

كما تم في هذا الفصل عرض مفهوم الحجاج وفق تصور عديد الباحثين على اختلاف قناعاتهم بمفهومه، من خلال مفاهيمه عند بعض الدارسين له من العرب أو من الغرب، ثم تتبع البحث تقنياته التي تسهم في تشكيل البعد الحجاجي في اللغة ومن ثم تعمل على إحداث التأثير في المتقبل.

ورصدا للحجاج في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، قد تم طرح نماذج تعكس قوة الحجاج عنده مع تبني الجانب التطبيقي في هذا الفصل لمقاربة أوزفالد ديكرو وأنسكومبر اللغوية فكانت السلالم الحجاجية تصاعدا، وكانت السلالم تنازلا، وكانت السلالم تراكما وكان الحجاج قوة، ثم كانت العوامل الحجاجية نفيا وقصرا ومعجما، وكان الحجاج توجيها، ثم ومع إدراج الروابط الحجاجية أين تم تقديم البحث لنماذج تعاندية وتساوقية واستنتاجية، وكانت الروابط تقدم الحجج تباعا في خدمة النتيجة التي يبتغيها الشيخ.

لقد وظف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي التقنيات الحجاجية الظاهرة في خطبه مستثمرا قدراته اللغوية التي أبانت عن قدرات حجاجية، فكانت اللغة حجته وكانت حلقة الوصل التي ربطت بين ما يقتنع به وبين ما يتطلع له من إقناع المخاطب.

خاتمة

وختاما، لهذا البحث الذي تناول موضوع المقتضيات التداولية في خطب محمد البشير الإبراهيمي، فقد كان علم استعمال اللغة على موعد مع بواكير اللغة عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وإذ جهد البحث–ما استطاع إلى ذلك سبيلا –غوصا في نظريات أفعال الكلام والافتراض المسبق والحجاج، وتطبيقا على خطب الشيخ مجمد البشير الإبراهيمي، تم التوصل بمقتضى هذا إلى النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

1. نظرية أفعال الكلام من أهم النظريات التداولية التي أوجدها أوستين وطورها تلميذه سيرل مركزا اهتمامه على الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر.
2. رصد البحث حضور نظرية أفعال الكلام في التراث اللساني العربي من ذلك الدرس البلاغي والأصولي.
3. تنوعت أفعال الكلام في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مرد ذلك إلى طبيعة اللغة أولا، ثم طبيعة الصنعة الخطبية إخبارا مع الوصف والتقرير وتوجيها مع الاستفهام والأمر والنهي وتعبيرا مع النوع الاجتماعي والنفسي وإعلانا مع الفعل المتحقق ساعة التلفظ و التزاما من خلال مايلتزم به الشيخ .
4. تسجيل حضور الفعل الكلامي في حالته المباشرة وغير المباشرة في خطبه ما استدعى في الفعل غير المباشر انخراط المتلقي ذهنيا معه.
5. عنوان الافتراض المسبق هو تلك المولدات التي تجعله يتحقق، وعلى وفق هذه المولدات تتعدد الأنواع التي تشبعت بها خطب الشيخ محمد البشر الإبراهيمي؛ فكان الافتراض المسبق الوجودي على مختلف مولداته والافتراض المسبق البنيوي على ما تردد من أسئلة الامام، والافتراض المسبق الواقعي وغير الواقعي والمعجمي؛ إذ أفاد الخطيب من كل مايشكل خلفية ومعرفة مشتركة بينه وبين المتلقي للانطلاق في عرض المعارف الجديدة.

6. تعدد النظريات الحجاجية منذ القديم إلى الآن ابتداء من المعلم أرسطو طاليس أين درسه بنظرة بلاغية، وبعد زمن من الركود تعود الأبحاث الحجاجية لتتابع النظريات ولكل نظرية خصوصيتها في قراءتها الحجاجية فمن بيرلمان والبلاغة الجديدة إلى تولمين والاهتمام بالسبب والنتيجة وصولا إلى النظرية اللسانية لانسكومبر وديكرو التي تحصر الحجاج في النسق البنيوي.
7. حفلت الخطب بكم هائل من الروابط على اختلاف أنواعها من روابط تعارضية تعاضدت من أجل الترقي بالحجاج إلى الأقوى، وتحقيق الوصول للنتيجة وروابط تساندية تعمل على الربط وتجميع الحجج وتحقيق الدعم نحو نتيجة واحدة، بالإضافة إلى الروابط المدرجة للنتائج.
8. لغة البشير الإبراهيمي مثلت جسرا بين ما يؤمن به، وبين مايريد أن يقنع به المتلقي، فتشاكلت وتعاضدت افتراضاته المسبقة ومقولاته الحجاجية وأفعاله الكلامية في بناء الخطب ما جعل التأثير فعلا واقعا.

التوصيات:

1. بما أن الفعل التداولي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كان بارزا في خطبه، وأنه مجال واسع، فلا يمكن لأطروحة مقيدة الصفحات أن تفي به فما الأطروحة إلا عتبة وحلقة لبحوث أخرى؛ لذلك حق لخطب الشيخ أن تدرس من قبل نظريات تداولية أخرى، والتي لم يسعف البحث دراستها مراعاة للكم المطلوب.
2. إذا كان هذا البحث قد تقيد بالمقاربة اللسانية، فهذا لايعني الاستقرار عليها وإنما سيفسح المجال لدراسة الخطب بالتوسل بمقاربات أخرى على كثرتها، ونظير تعدد الخطب ما يجعل أفق البحث فيها خصبا.
3. اعتماد نصوص من خطب البشير الإبراهيمي في المجال التربوي لما فيها من قيم تربوية تليق بثقافة المجتمع الجزائري.

وأخيرا يسدل الستار على هذه المسيرة التداولية وتنتهي جولات البحث في الخطب الإبراهيمية فنسأل الله أن يكون البحث قد وفق في عرض الجزء اليسير من المقتضيات التداولية لخطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، كما أساله أن يفتح لي باب التمكن من اللغة العربية مثلما وهب فضيلته الفصاحة والبلاغة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر:

-أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1997.

المراجع:

أولا -الكتب العربية:

1. إبراهيم اليازجي: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط3 1985.
2. أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، ط1، 1993.
3. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2010.
4. أحمد بن فارس (أبو الحسين بن فارس القزويني الرازي): الصاحبي في فقه اللغة، تح: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1997.
5. أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية/ مصر، (د ط)، 2002.
6. آمنة بلعلي: تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2002.
7. باديس لهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 ،2014.
8. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006.
9. بلخير أرفيس: في تداوليات الخطاب – دراسة تأصيلية في الدرس البلاغي عند العرب – البدر الساطع للطباعة والنشر، ط1، 2020.

10. جاسم خيري الحلفي: الخطاب الحائد في العربية، مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2020.
11. جميل حمداوي: المقاربة الحجاجية بين النظرية والتطبيق، دار الريف للنشر والطبع الكتروني، تطوان، المغرب، ط1، 2020.
12. جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 2014.
13. جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2016.
14. الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري): الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، (د ط)، (د ت).
15. حسن مسكين: مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت، لبنان، ط1، 2010.
16. حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، منوبة، 1998 .
17. حمادي صمود: من تحليلات الخطاب البلاغي، دار قرطاج، تونس، ط1، 1999.
18. حياة جاسم: وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، دار الحرية للطباعة بغداد، العراق، (د ط)، 1972.
19. خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس ط1، 2001.
20. خليفة بوجادي: اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم – بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2009.
21. رحيمة شيتر: تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، دار الكتاب الحديث، القاهرة مصر، ط1، 2016.
22. ردة الله الطلحي: دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة، السعودية، ط 1، 2003.

23. ريم الهمام: الاقتضاء وانسجام الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2013.

24. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي– بنيته وأساليبه – عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 2، 2011.

25. شكري المبخوت: إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس، (د ط) ،2006.

26. شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان، ط 1، 2010.

27. صابر الحباشة: التداولية والحجاج –مداخل ونصوص – صفحات للدراسات والنشر، دمشق سوريا، ط1، 2008.

28. صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

29. طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة الغربيين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د ط)، 1994.

30. طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2000.

31. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1، 1998.

32. عادل فاخوري: المعجم الفلسفي، معهد الإنماء العربي، ط1، 1988.

33. عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1979.

34. عبد العالي قادا: الحجاج في الخطاب السياسي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2015 .

35. عبد القاهر بن عبد الرحمان (أبو بكر الجرجاني): أسرار البلاغة في علم البيان، تح: السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1988.

36. عبد القاهر بن عبد الرحمان (أبو بكر الجرجاني): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1988.

37. عبد الله بن عبد الرحمان (بهاء الدين بن عقيل): شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة، مصر، ط 20، 1980.

38. عبد الله بن يوسف (أبو محمد جمال الدين بن هشام الأنصاري): مغني اللبيب في كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، حمد علي حمد الله، ط1، 1994.

39. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، دار المعرفة للنشر، بيروت لبنان، منوبة تونس، 2007.

40. عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية – قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، ط4، 1998.

41. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2002.

42. عزالدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2011.

43. علي بن محمد (أبو الحسن السيد الشريف الجرجاني): معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت).

44. علي محمود حجي الصراف: في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة – دراسة دلالية ومعجم سياقي – مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، ،2010.

45. عمرو بن عثمان (أبو بشر، سيبويه): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1992.

46. العياشي أدواري: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، منشورات الاختلاف، الرباط المغرب، الجزائر، ط 1، 2011.

47. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي- تنظير وتطبيق على السور المكية – منشورات ضفاف، كلمة، الاختلاف، دار ومكتبة عدنان، بيروت لبنان، أريانة تونس، الجزائر، العاصمة الجزائر، بغداد العراق، ط1، 2015.

48. مجيد الماشطة، أمجد الركابي: مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018.

49. محمد العبد: النص والخطاب والاتصال الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر ،2014.

50. محمد بن يزيد (أبو العباس المبرد): المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط1 ،1994.

51. محمد سالم محمد الأمين طلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر – دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

52. محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

53. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2002.

54. محمود بن عمر (أبو القاسم، جار الله الزمخشري): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، فتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض السعودية، ط1، 1998.

55. مسعود بن عمر(أبو سعيد، سعد الدين التفتازي): شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د ط)، (د ت).

56. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005.

57. مسعود صحراوي: لحظة ميلاد التداولية، دار التنوير للنشر والتوزيع، دار أزمنة، الجزائر، الأردن ط1، 2023.
58. هشام عبد الله خليفة: الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2021.
59. يحي بن حمزة (العلوي المؤيد بالله): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، 1914.
60. يعيش بن علي (أبو البقاء، ابن يعيش): شرح المفصل، تح: جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنبرية، مصر،(د ط)، (د ت).
61. يوسف بن أبي بكر(أبو يعقوب، السكاكي): مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 1987.

ثانيا – الكتب المترجمة:

1. أزفولد ديكرو: السلميات الحجاجية، تر: أبوبكر العزاوي، وراقة بلال، فاس، المغرب، ط1 2020
2. أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قينيني إفريقيا الشرق، 1991.
3. تون فان دايك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
4. ج ب براون، ج يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع،1997.
5. جاك موشلر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة أساتذة، دار سيناترا، تونس، (د ط)، 2010.
6. جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010.
7. جون ر. سورل: الأعمال اللغوية – بحث في فلسفة اللغة – تر: أميرة غنيم، دار سيناترا، تونس 2015.

8. جون ر. سورل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، الجزائر العاصمة الجزائر، بيروت، لبنان، بيروت، لبنان، ط1 ، 2006.
9. دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
10. روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
11. زيبيليه كريمر: اللغة والفعل الكلامي والاتصال، مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2011.
12. ف.ر. بالمر: علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د ط)، 1995.
13. فان دايك: النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي – تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2000.
14. فيليب بروتون، جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جدة السعودية، ط1،2011.
15. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية، سوريا، ط1، 2007.
16. كاترين كيربرات – أوريكيوني: المضمر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.
17. كريستيان بلانتان: الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، (د ط) 2008.
18. كلاوس بر ينكر: التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2005.

19. يان هوانغ: معجم أوكسفورد للتداولية، تر:هشام إبراهيم عبد الله خليفة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2020.

ثالثا – المجلات والدوريات:

1. بلخير أرفيس: أصول التداولية في التفكير البلاغي عند العرب، مجلة المقري، مجلد1، العدد 1، 2017.
2. الراضي رشيد: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، المجلد34 العدد1 سبتمبر2005.
3. سمية منصوري، مراد قفي: تلقي اللسانيات التداولية عند طه عبد الرحمان، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد 8، عدد1، 2024.
4. عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي: السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، مجلة أوروك، المجلد 9، العدد 2، 2016.
5. فوزية دندوقة: البعد التداولي لقضية التعريف التنكير، مجلة القارىء للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 4، العدد3، سبتمبر2021.
6. منى إبراهيم عزام: الافتراض المسبق في مسرح شوقي دراسة لسانية تداولية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، المجلد 69، العدد 69، أوت2021.
7. مصطفى بن عطية، محمد زهار: مصطلح الحجاج واستراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب القرآني، ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد6، العدد2، 2022.
8. مهدي مشتة: تجليات الافتراض المسبق في ديوان "الكبريت في يدي دويلاتكم من ورق" لنزار قباني، حوليات المخبر العدد 2، ديسمبر2014.
9. نزيهة زكور، غيلوس صالح: قضايا التداولية في التراث العربي – أفعال الكلام انموذجا – مجلة العمدة للسانيات وتحليل الخطاب، مجلد، العدد 5، 2018.
10. وهيبة بوشليق: الفاعل بين السمات النحوية والتداولية في اللغة العربية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلد6، العدد2، 2022.

رابعا– الرسائل الجامعية:

1. آسية مرهون: قضية المعنى في اللسانيات التداولية واللسانيات العرفانية –دراسة مقارنة– أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2024/2023.
2. خالد ناصري: الخطاب النبوي الشريف في الأربعين النووية، مقاربة تداولية في القصد والحمل والتقبل أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2019/ 2020.
3. رشيد حيدرة: تداولية الخطاب النحوي بين الضابط القواعدي والاستعمال الوظائفي، أطروحة دكتوراة، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2018/2017 .
4. عمار لعويجي: التحليل التداولي للخطاب الشعري – روميات أبي فراس الحمداني أنموذجا – أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2016/2015.
5. عيسى بلكرفة: الأبعاد التداولية في الخطاب السردي العربي المعاصر – رواية مديح الكراهية لخالد خليفة أنموذجا – أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2019/ 2020 .
6. نصيرة بن شريط: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي ناصر الفارابي، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2017/2016.

خامسا – المراجع باللغة الأجنبية:

1. M. Meyer: M. Meyer, Logikue, Langage et argumentation, èdition Hachette, 1982
2. Ducrot.O J.C. . Anscmbre Bruscelles: ardaga.1983 , L argumentaion donns la langue .
3. Chaim Perelman: Argumentaion; art.In Encyelopaedia Universalis .
4. Deborah schiffrin: Discourse markers, Cambridge University press, 1992. Grammar New York :Academic Prese.
5. Givon, T: (1979a)On Understanding - Grammar New York :Academic Prese
6. Stalnaker: in(ed) p cole "Assection" R.G.(1978)
7. Searle ,j . and d.Vandervcken : Foundafionsof Illocutionary Logic Cambridge University Press, 1985.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ – و
الفصل الأول: أفعال الكلام في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	08– 75
توطئة	08
المبحث الأول – أفعال الكلام	09
أولا – مفهوم الفعل الكلامي	09
ثانيا – أفعال الكلام عند. ج ل. أوستين	10
1. أسس تحليل أفعال الكلام عند أوستين	10
2. تصنيف أفعال الكلام عند أوستين	12
أ.فعل القول	12
ب.الفعل المتضمن في القول	13
ج. الفعل الناتج عن القول	13
ثالثا–أفعال الكلام عندج. سيرل	15
1. نمذجة سيرل لنظرية أفعال الكلام	15
2. أسس بنية القوة الإنجازية عند سيرل	17
أ.الغرض المتضمن في القول	17
ب.اتجاه المطابقة	18
ج.شرط الإخلاص	19
3.أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة عند سيرل	19
رابعا– أفعال الكلام في التراث اللساني العربي	23
1. موقع ظاهرة أفعال الكلام في البحث اللغوي العربي	23
2. معايير التمييز بين الخبر والإنشاء	25
3. الأفعال المباشرة وغير المباشرة في الدرس التراثي العربي	27
المبحث الثاني– الأفعال الإخبارية والتوجيهية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	30
أولا – الإخباريات	30

ثانيا- التوجيهيات	35
1. التوجيه بالأمر	36
2. التوجيه بالاستفهام	41
3. التوجيه بالنهي	47
المبحث الثالث- الأفعال التعبيرية والإلتزامية والإعلانية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	55
أولا- التعبيريات	55
1. الصنف الأول (البوحيات النفسية)	55
2. الصنف الصنف الثاني (البوحيات الإجتماعية)	60
ثانيا- الالتزاميات	63
ثالثا- الإعلانيات	68
ملخص الفصل	76
الفصل الثاني: الافتراض المسبق في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	78- 135
توطئة	78
المبحث الأول- الافتراض المسبق مفهومه وخصائصه	79
أولا- مفهوم الافتراض المسبق	79
ثانيا- خصائص الافتراض المسبق	84
1. مبدأ عدم الإخبارية	84
2. الثبات عند النفي	85
3. قابلية الإلغاء	87
4. مبدأ التأليفة	88
المبحث الثاني- الافتراض المسبق الوجودي والافتراض المسبق البنيوي في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	90
أولا- الافتراض المسبق الوجودي	90
1. الافتراض المسبق الوجودي المتولد باسم العلم والإضافة	91

2. الافتراض المسبق المتولد بأل التعريف	99
ثانيا – الافتراض المسبق البنيوي	104
المبحث الثالث: الافتراض المسبق الواقعي وغير الواقعي والمعجمي في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	112
أولا – الافتراض المسبق الواقعي	112
ثانيا – الافتراض المسبق غير الواقعي	116
1. النوع الأول	116
2. النوع الثاني: الافتراض المسبق المناقض للواقع	120
ثالثا: الافتراض المسبق المعجمي	125
1. أفعال تغير الحالة	125
2. التكراريات	131
ملخص الفصل	136
الفصل الثالث: الحجاج في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	139-229
توطئة	139
المبحث الأول- الحجاج، نظرياته، مفهومه، تقنياته	140
أولا- نظريات الحجاج	140
1. النظرية الكلاسيكية للحجاج البلاغي(نظرية أرسطو)	140
2. النظرية الجديدة في الحجاج البلاغي(الأرسطيون الجدد)	142
3. نظرية ستيفن تولمين	143
4. نظرية الحجاج اللغوي	144
ثانيا – مفهوم الحجاج	146
1. الحجاج عند بعض الغربيين	146
2. الحجاج عند بعض العرب	148
ثالثا – تقنيات الحجاج	149
المبحث الثاني- السلالم الحجاجية في خطب الشيخ محمد البشير	152

الإبراهيمي	
أولا – مفهوم السلم الحجاجي	152
ثانيا – السلالم التصاعدية	155
ثالثا – السلالم التنازلية	165
رابعا– السلالم التراكمية	172
المبحث الثالث –العوامل الحجاجية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	178
أولا – مفهوم العوامل الحجاجية	178
ثانيا – عاملية النفي	180
1. نموذج العامل " لا "	180
2. نموذج العامل " ليست"	182
3. نموذج العامل " لم "	184
4. نموذج العامل "ما.... لا "	186
ثالثا – عاملية القصر	190
1. نموذج العامل " ما... إلا "	190
2. نموذج العامل " لم... إلا "	190
3. نموذج العامل " لا ... إلا "	194
4. نموذج العامل " ليس... إلا "	196
5. نموذج العامل " إنما "	198
رابعا – العوامل الحجاجية المعجمية	201
1. نموذج العامل " كاد "	201
2. نموذج العامل " مازال "	203
3. نموذج العامل " قليلة"	204
4. نموذج العامل " كثير"	206

المبحث الرابع- الروابط الحجاجية في خطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	209
أولا – مفهوم الروابط الحجاجية	209
ثانيا – الروابط التعارضية	211
1. نموذجا الرابط التعارضي " لكن "	211
2. نموذج الرابط التعارضي " بل "	215
ثالثا – الروابط الحجاجية التساوقية	216
1. نموذج الرابط التساوقي " حتى "	216
2. نموذج الرابط التساوقي " الواو "	218
3. نموذج الرابط التساوقي " بل "	221
رابعا – الروابط المدرجة للنتائج	223
1. الرابط الاستنتاجي ' الفاء "	223
2. الرابط الاستنتاجي " هكذا "	224
3. الرابط الاستنتاجي " إذن "	225
ملخص الفصل	230
خاتمة	233
قائمة المصادر والمراجع	235
فهرس المحتويات	245

المستخلص:

حظيت التداولية باهتمام الباحثين، فشغلت بذلك مساحة واسعة من الدرس اللساني الحديث –تنظيرا وتطبيقا–، هذه المكانة نبهت إلى إمكانية البحث في الفعل التداولي لخطب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على المقتضيات التداولية في خطبه، والكشف عن أفعال الكلام والافتراض المسبق والحجاج مستعينة في ذلك بالمنهج الوصفي المزود بالإجراء التحليلي والإحصائي وصولا إلى نتائج أهمها: تنوع أفعال الكلام في خطب الشيخ من أفعال كلامية إخبارية وتوجيهية و تعبيرية وإعلانية والتزامية، وتتعدد أنواع الافتراض المسبق التي تشبعت بها الخطب، فكان الافتراض الوجودي والبنيوي والواقعي وغير الواقعي والمعجمي، كما حفلت الخطب بكم من الآليات الحجاجية من روابط على اختلاف أنواعها تعارضية وتساندية، بالإضافة إلى المدرجة للنتائج، والعوامل وحصرها للإمكانيات، والسلالم الحجاجية بكل أنواعها تحقيقا للإقناع والتأثير.

الكلمات المفتاحية: المقتضيات، التداولية، خطب، البشير الإبراهيمي.

Abstract:

Pragmatics has received the attention of researchers, and has occupied a wide area of modern linguistic study - both in theory and in application -

. This status has alerted the possibility of researching the pragmatic act of the sermons of Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi. The study aimed to identify the pragmatic implications in his sermons, and to uncover speech acts, presuppositions, and arguments, using the descriptive approach equipped with analytical and statistical procedures. Arriving at the results, the most important of which are: the diversity of speech acts in the Sheikh's sermons, including informative, directive, expressive, declarative, and obligatory speech acts. There are many types of presupposition that the sermons were imbued with. The presupposition was existential, structural, realistic, unrealistic, and lexical. The speeches were also full of argumentative mechanisms, including links of various kinds, conflicting and supportive, in addition to the listing of results, factors, and enumeration of possibilities, and argumentative ladders of all kinds to achieve persuasion and influence.

Keywords: pragmatic, requirements, speeches, Al-Bashir Al-Ibrahimi